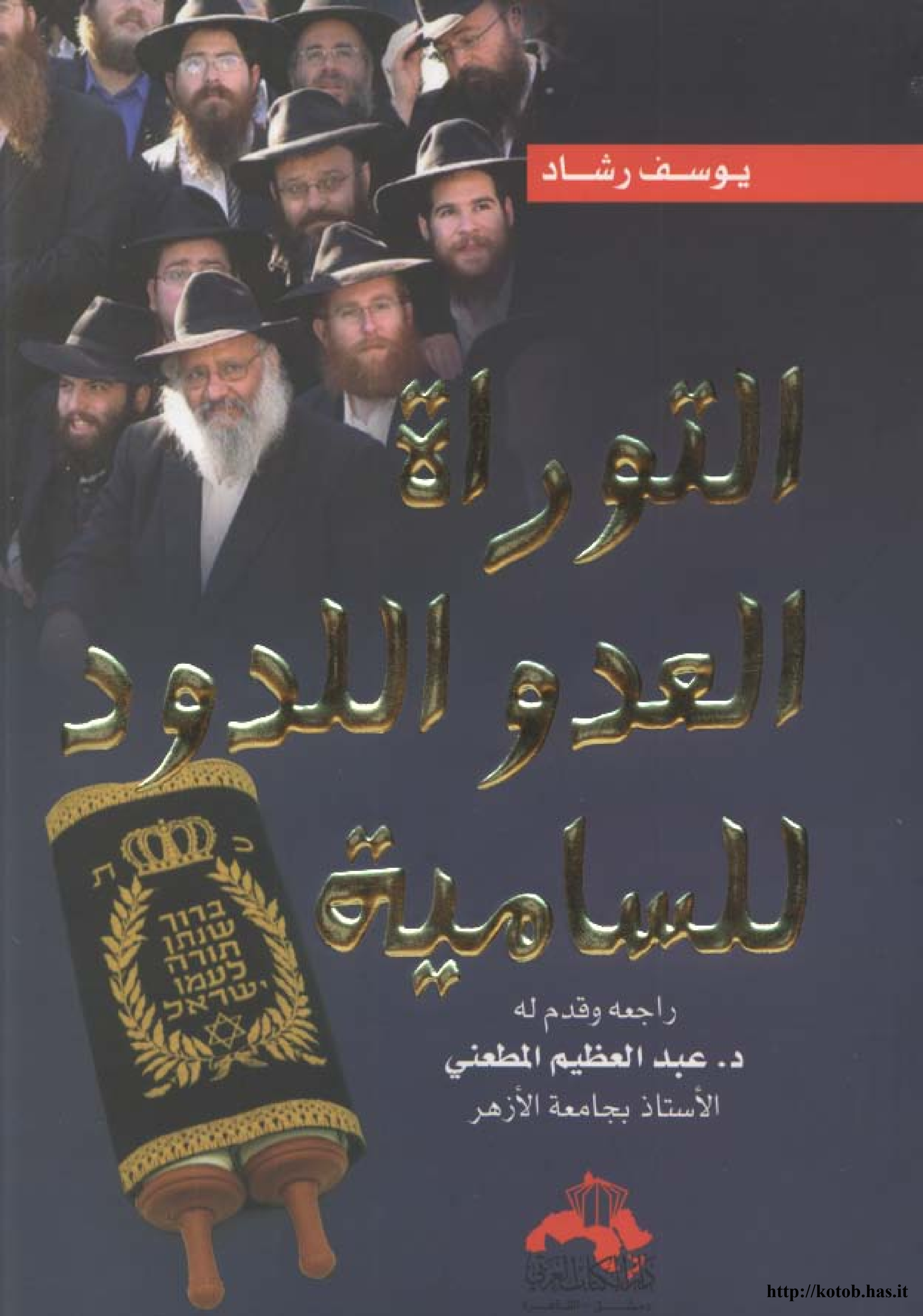
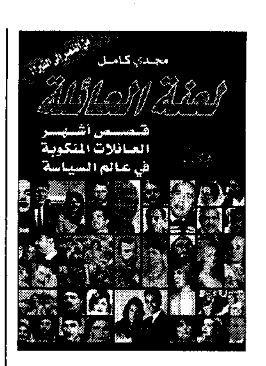

يوسف رشاد
التوراة
العدو اللدود
للسامية
ברוך
שנתן
תורה
לעמו
ישראל
راجعه وقدم له
د. عبد العظيم المطعني
الأستاذ بجامعة الأزهر

التوراة العدو

اللدود للسامية



اسم الكتاب: التوراة العدو اللدود للسامية

اسم المؤلف: يوسف رشاد

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٤٨١٣/ ٢٠٠٨

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977-376-415-X

التنفيذ الفني: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفني: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٦٠

دمشق: مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النورى - أمام البريد ت: ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢

مكتبة الفتال - فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦

فرع ثاني - ت: ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى
٢٠٠٨



دمشق - القاهرة

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى تلفاكس: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٢٣٩١٦١٢٢ - ٢٣٩٣٣٦٧١
لبنان - تلفاكس: ٤٣٤١٨٦/ ٠٥ - تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب.٣٠٤٣ الشويفات
E-mail: darkitab2003@yahoo.com - daralkitab-nassif@hotmail.com

التوراة العدو اللدود للسامية

◆

تأليف: يوسف رشاد

قدَّم له: الأستاذ الدكتور عبد العظيم المطعني
رحمه الله تعالى

◆

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم بقلم أ.د/ عبد العظيم المطعني

الأستاذ بجامعة الأزهر

هذه الدراسة التى بين يديك فريدة فى موضوعها، وهي دراسة وثائقية أعدها الباحث الكبير الأستاذ يوسف رشاد حول موضوعات حيوية تتصل بالكيان الصهيونى بوجه عام، وبإسرائيل الدولة العنصرية بوجه خاص حول رؤيتها لنفسها وللعالم من غيرها الذى تُطلق عليه "الجوييم" أي: الغرباء عن إسرائيل، ثم نتحدث فى وعي عن ماضي اليهود ومصادر عقائدهم وثقافتهم الحاضرة وما يريدون لأنفسهم فى المستقبل فى منطقة الشرق الأوسط وفى العالم أجمع، كل هذا مدعوماً بالوثائق التاريخية، وبأقوال وتصريحات مفكريهم وقادتهم السياسيين، ثم بما ورد فى أسفار التوراة وما أضيف إليها من أعمال أحبارهم وكهنتهم مستثمرين ما ورد فيها من أوهام ويُحيلون منها عقائد يُخضعون بها تصرفاتهم وعلاقاتهم عن أعداء اليهود التى يطلقون عليها "الجوييم" أى: الشعوب غير اليهودية.

ومن أبرز ما تضمنته هذه الدراسة بدعة معاداة السامية وكيف اتخذ منها اليهود سلاحاً فى تجنيد كل القوى المؤثرة عالميًّا من دول الغرب الكبرى ليكونوا حماة لليهود مع اعتبار أى نقد لليهود سمة من سمات معاداة السامية، وفى الحقيقة أن هذه العبارة مصطلح استخدمه اليهود ليُدينوا به كل مفكر أو كاتب أو سياسي يتطاول على اليهود أو يذكر عيباً من عيوبهم كما فعلوا ذلك مع روجيه جارودي، ثم إبراهيم نافع رئيس تحرير الأهرام السابق بسبب مقال نشره في الأهرام اعتبره

اليهود معاكساً ومسيئاً لسمعتهم، فهو إذن معاداة للسامية تستوجب مساءلة المتهمين بها تحت إشراف بعض قوى الغرب الكبرى وفى مقدمتها أمريكا وفرنسا، ومعاداة السامية فرية خالصة وجريمة مفتعلة وليس لها جذور تستند عليها لا قانونية ولا شرعية، وحتى لو كانت معاداة السامية صريحة معترفاً بها عالميًّا فليست السامية محصورة فى اليهود بل تندرج تحت وصف السامية الشرق الأوسط وفى مقدمتهم الشعوب العربية، فما معنى انحصار "السامية" فى اليهود إذن؟ إنها فرية أخرى يفتريها اليهود لابتزاز مشاعر العالم وأنهم أي اليهود مضطهدون ومظلومون، إنها حيل خادعة لم تجد من يقاومها من أحرار الفكر العالمى.

والمهمة العظمى التى قامت بها هذه الدراسة هي فضح المجتمع اليهودي والكشف عن الأحقاد التى تسيطر على كل تصرفاتهم ومطامع اليهود غير المعلن عنها إلا نادراً وأن اليهود يرون أنفسهم أسياد العالم وبخاصة فى المستقبل حين يُبسطون نفوذهم على العالم.

وبقيت مفاجأة تتضمنها هذه الدراسة وهى أن توراة اليهود التى بين أيديهم تعتبر هي العدو اللدود للسامية بالأمس والمعايير المرصودة في حقل السامية وبالتالى فإن اليهود هم الطرف المظهر العملي الظاهرى لفرية "معاداة السامية" فإذا كانت معاداة السامية جريمة يعاقب مرتكبها فإن أول الشعوب بالعقاب هم اليهود.

ويستطرد المؤلف الأستاذ يوسف رشاد فى سوق الشواهد من نصوص التوراة شارحاً معانيها بعد ذكرها بألفاظها موثقاً لها ليسهل على القارئ الرجوع إليها فى أسفار التوراة... هذه الأفكار التى تعرضها هذه الدراسة مسوقة منسقة وموثقة تحكمها علاقات عضوية أثرنا الإيجاز فى عرض ما تسنى منها دون الخوض في التفاصيل لئلا يطول بنا العهد، ولكي لا نقطع على القارئ لذة القراءة.

إنها دراسة وضعتها يد صانع نتيجة خبرة عميقة وواسعة بموضوعها، وقد وددت أن تتاح الفرصة لكل مثقف وشاب وشابة وإعلامى أن يطلع على هذه الدراسة التى تسد فراغاً واسعاً فى مجال معرفتنا بعدو لدود لنا يتربص بنا الدوائر ويريد أن يبسط نفوذه علينا، فهو عدو الماضى، وعدو الحاضر، وعدو المستقبل وأهم خطوة فى الانتصار على العدو هي معرفتة مكوناته العقيدية وآماله وأحلامه.

فاللهم اجز واضع هذه الدراسة جزاءً حسنا وانفع بها أمة الإسلام يارب العالمين.

كتبه

أ.د/ عبد العظيم المطعني

جامعة الأزهر

عفا الله عنه

مقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم التنزيل:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١) ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ سورة المائدة ٧٨ - ٨٢

وأصلى وأسلم على البشير النذير، الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يُوحَى، والقائل صلوات ربي وسلامه عليه في الحديث الذي رواه أبو هريرة:

(لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل) أخرجه الإمام أبوعبد الله بن بطة، قال الحافظ ابن الكثير: وفى سنده: أحمدبن محمد بن مسلم، وثقه الحافظ البغدادى، وباقى رجاله مشهورون على شرط الصحيح (مختصر ابن كثير ج١/٧٥[١]).

فأشهد أنك أديت الأمانة، وبلَّغت الرسالة، وجاهدت يهودَ، وأمرت بإخراجهم من جزيرة العرب، فأجلاهم أمير المؤمنين وثانى خلفائك سيدنا عمر بن الخطاب

(١) قال الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات معروفون من رجال "التهذيب" غير أبي الحسن أحمد بن محمد بن مسلم وهو المخرجي كما جاء فى أكثر من موضع من كتاب الحافظ بن بطة "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية" ولكني لم أجد ترجمة ابن مسلم هذا فى تاريخ الخطيب فالله اعلم(إنتهى من الإرواء ٥/ ٢٧٥).

رضي الله عنه وطردهم شر طردة، فرضى الله عن صحابتك الذين جاهدوا معك وقاتلوا يهود فى غزوات عديدة، وكانت آخرها غزوة خيبر.

ولا تزال المعارك بيننا وبين يهود سجالاً حتى يأتي وعد الله فيهم وآخر هذه المعارك تلك التى أخبرنا عنها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذى رواه أبو هريرة: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: "يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعالَ فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود" رواه مسلم.

وهذه هى آخر المعارك التى لن تقوم لليهود بعدها قائمة، وقد تنبأ أحد حاخامات اليهود أن سبيهم الأخير سيكون على يد بنى إسماعيل، وهو الحاخام "حاييم فيطال" تلميذ ومفسر وشارح أعمال حاخامه الأعظم "هاري" يقول ناقلاً عن أستاذه فى مؤلفه التفسيرى "شجرة المعرفة":

شهدت إسرائيل السبي إلى أربعة مناطق إلا أنها سوف تشهد سبيًا آخر الزمان وهو سبي إسماعيل لها وهو آخرها لكنه سيكون أصعبها وسيكون سببه أشد مما سبقه، وستصرخ إسرائيل فى عهده صراخًا عظيمًا، نقلا عن صحيفة هاتسوفية الإسرائيلية الصادرة في شهر نوفمبر من عام ١٩٩٤[(١)]

صدق هذا الحاخام وهو كذوب، فسبيكم الأخير أيها اليهود سيكون على يد أبناء إسماعيل - عليه السلام- وهم المسلمون المؤمنون الموحدون، فعلماء يهود يعلمون-كما يعلم علماء ودعاة المسلمين- أن نهايتهم ستكون على أيدينا، وهو وعد غير مكذوب.

إذن: علام كل هذه الضجة التى يفتعلونها بين الفينة والأخرى حول كل ما هو إسلامى؟ ولماذا يلصقون تهمة التطرف والارهاب بالإسلام والمسلمين عمومًا؟

---

(١) راجع كتابنا (السبي الأخير لليهود على يد أبناء إسماعيل-عليه السلام).

لدرجة قول أحد علمائهم -وهو البروفيسور "عمانوئيل سيفان" في إحدى ندواته: إن المسلمين استقوا تطرفهم وحقدهم على اليهود من قرآنهم، وأرد على هذا العمانوئيل فأقول له: إن كراهيتنا لبنى جلدتك نابعة من عقيدة راسخة وإيمان لا يتزعزع وذلك يرجع إلى أن قرآننا قد بيّن لنا خبيئة شعبكم وهو الكتاب المُنزَّل من عند الله العليم بأحوالكم وبكيدكم ومكركم، وأبان وأجلى لنا حقيقتكم أتم بيان، فكل من يقرأ هذا الكتاب المعجِز لا يسعه إلا أن يتخذ منكم موقفًا حذرًا؛ وذلك لكراهيتكم الضاربة في جذوركم لكل ما هو إسلامى، ولخوفكم على حياتكم؛ لعلمكم أن نهايتكم ستكون على أيدي المسلمين الموحدين.

ومع كل هذا فأقول أيضا لهذا العمانوئيل: بأن القرآن الكريم ليس وحده الكتاب الذى فضح شعبكم، فكتابكم المقدس والمسمى بالتوراة والموجود بين أيديكم اللآن هو الآخر يحمل بين طياته العديد من صفاتكم الذميمة، والذي يقرؤه يجد العجب العجاب، وقد استقيت وتتبعت وقرأت التوراة بأناة فاستخرجت من بين دفتي هذا العهد العتيق مائة صفة بالتمام والكمال من صفاتكم الذميمة والفاضحة والكاشفة لخصائص هذا الشعب المعاند، وكما ستقرأ عزيزى القارئ بين ثنايا هذا الكتاب المقارنة التى عقدتها بين هذا العهد القديم وبين قرآننا الكريم عن صفات هذا الشعب، ستجد المفاجأة الكبرى، وهى أن كتابهم المقدس كان أكثر وأقسى ذمًّا وفضحًا لهذا الشعب وعلى هذا تكون التوراة هي أعدى أعداء السامية [1]

---

(١) وهذا هو الهدف الأول لفكرة هذا الكتاب أن أثبت من خلاله أن فكرة العداء السامية التى يفتعلونها بين الحين والآخر هي فكرة واهية وباطلة ومختلقة كما فعلوا مع المفكر الفرنسي روجيه جارودى لمجرد أنه ألف عدَّة كتب أزاح من خلالها الستار عن عدة مواضيع كان أهمها ادعاءهم الكاذب بعدد القتلى اليهود فى معسكرات النازيين فما كان منهم إلا أنهم رفعوا ضده دعاوى قضائية وأرسلوا له خطابات تهديد -كذلك فعلوا مع الدكتور عبد الوهاب السيرى أرسلوا له خطابات تهديد- كما نشرت صحيفة الأهرام ذلك- ولست أدري هل سيرسلون تهديدهم هذه المرة لأحفاد كتبة التوراة، وعلى العموم فلست وحدي الذى قال بعداء التوراة للسامية فـ "موريس آدلر" الذى نشر فى كتب عن عالم التلمود (نقلاً عن مجهول) بأن العهد القديم من الكتاب المقدس هو من أشد كتب العالم عداءً للسامية، لا بل أشدها ففيه أوسع أنواع النقد الذاتى وأكثرها حدة كما أنه يتضمن أقصى أنواع الإدانة لبنى إسرائيل (راجع التلمود والصهيونية لأسعد رزوق) ويعلم الله أننى قلت بعداء التوراة للسامية من قبل أن أقرأ كلام موريس أدلر (راجع ملخص صفات اليهود من التوراة فى ثنايا هذا الكتاب).

ولست أدري بماذا سيرد هذا العمانوئيل على صفاتهم التى تحدثت عنها توراتهم، فهل سيقول بأن المسلمين استقوا كراهيتهم أيضًا من قراءتهم لتلكم الصفات؟!

أم سيقولون بأن المسلمين هم الذين دسوا هذه الصفات وألصقوها بشعب إسرائيل؟!

إذن التطرف والارهاب الذي يتحدثون عنه هم صانعوه ومخترعوه، وألصقوه زورًا وبهتانًا بالإسلام وكما سنرى فإن تطرفهم أصل من أصولهم الثابتة استقوه من توراتهم وتلمودهم ونما وترعرع معهم منذ نعومة أظفارهم وحتى عصرنا الحاضر، وهذا ليس افتراءً أو افتآتًا عليهم ولكنها الحقيقة، وكما أخذت العهد على نفسى عندما بدأت أخط هذا الكتاب بأن كل المعلومات استقيتها من كتبهم وأقلام كاتبيهم ورفعت شعارهم (من فمك أدينك يا إسرائيل).

إذن الكتاب الذى بين يديك عزيزى القارئ يبين لك كيف استقى اليهود تعاليمهم المتطرفة ومن أين اكتسبوها؟، فالتوراة تحمل بين طياتها العديد من صفات هذا الشعب المعاند المتهور، وكذلك التلمود الذي يعتبر بمثابة المرجع الرئيسي والأساسي الذي يستقون منه تطرفهم وغلوهم بل ويعتبرونه الكتاب المقدس الأسمى مقامًا، فمن خلال هذه التعاليم تربت الأجيال اليهودية جيلاً بعد جيل ونشأت وتشربت الحقد والكراهية وترعرعت ونمت فى أحضان الحاخامات الذين أوقدوا في صدورهم نار البغضاء وفى قلوبهم تغلي مراجل العداوة ممن ليسوا هم يهودًا أو ممن يسمونهم بالأغيار أو الجوييم.

يقول الأستاذ فهمي هويدي(١):

ليس صحيحًا أن قاتل رئيس الوزراء السابق إسحاق رابين شاب متطرف ولكنه ابن شرعي للثقافة التلمودية التى أقامت إسرائيل ذاتها وهي الثقافة التي استباحت

---

(١) الأهرام -مقال "انقلب السحر على الساحر"- ٩٥/١١/١٣.

اغتيال وطن بأكمله وباركت المذابح وعمليات الإبادة ومن ثمَّ غرست بذرة العنف فى الأعماق الإسرائيلية وربَّت أجيالاً صارت تتقرب إلى الله بقتل "الجوييم".

لقد قال الشاب إيجال عامير: إنه قتل رابين استجابة لأمر من الله وأنه باعتباره دارسًا للشريعة التلمودية يدرك أنه يمكن لأي شخص أن يقتل آخر إذا حاول إعطاء أرض إسرائيل للعدو، وهذا ما فعله رابين فى الضفة الغربية، ومن ثمَّ فالشاب لم يتلق فكرًا منحرفًا من منظمة سرِّية تعمل فى الخفاء ولكنه كان تلميذًا مجتهدًا ووفيًا فى الدولة والحاخامات الذين يُشرفون على تلك المدارس نصَّبوا أنفسهم حُرَّاسًا على المشروع الصهيوني، وقد استخدمتهم القيادة الإسرائيلية في تنفيذ مخططاتها في التوسع والاستيطان أ.هـ.

وللتدليل على أن هؤلاء الحاخامات لهم اليد الطولى فى تسيير أمور الدولة اليهودية نقرأ هذا الخبر:

يجرى حاليًا إعادة طبع وتوزيع "الفتوى الشرعية" التى تحظر تسليم أجزاء من أرض إسرائيل إلى الأغيار على قطاعات عريضة من الشعب وبآلاف النسخ، فقد قامت رابطة "إنقاذ النفس اليهودية" منذ حوالي ثلاثة أسابيع بإعادة طبع إصدار الفتوى الشرعية التى وقَّع عليها حوالي ٢٠٠ حاخام فى صحيفة "هاتسوفيه"(١)

وهكذا نرى أن التطرف ضارب بجذوره في أصل الديانة اليهودية ومنه يستقون معيشتهم في دينهم ودنياهم لذا وجدت أنه من الضروري بيان من هو المتطرف؟ أهو هذا الذي يدافع عن وطنه الذي سُلِب، وعن عرضه الذي ينتهك، أم هو هذا أبو أنف معقوف والذي يقتل ويُشرِّد ويسفك دماء الأبرياء أصحاب الحق في الأرض ثم هو في نفس الوقت الذي يضحك ويصافح في وسائل الإعلام المختلفة ويتنازل عن جزء من أرض أصحابها الحقيقيين كرؤساء وزراء إسرائيل الذين يظهرون على شاشات التلفاز وهم يصافحون دعاة السلام من زعماء العرب وهم يوزعون الابتسامات على الحاضرين.

---

(١) صحيفة يديعوت أحرنوت الإسرائيلية الصادرة بتاريخ ١٩٩٥/١/٢.

وأردت أن أثبت فى هذا الكتاب: أن التطرف في إسرائيل أصل في المشروع الذي قام فى الأساس على اغتيال وطن وطرد شعب بوسائل لم تتورع عن ممارسة المذابح وحصار شعب أعزل أمام صمت العالم أجمع وارتكاب جرائم ضد الإنسانية .

إذاً فالتطرف في إسرائيل جزء من مشروع الدولة- وهو الجزء الأكبر- وكل ما يمارسه المتطرفون هناك من إقامة مستوطنات أو احتلال لبيوت الفلسطينيين أو تصفية للمقدسات الإسلامية والمسيحية يخدم مشروع التهويد ويُكرِّس التوسع، لذا فالتطرف اليهودي له شرعيته -كما سنوضح- حيث تحميه الدولة وترعاه، بل إن الدولة هي التي تتولى تسليح المتطرفين من سكان المستوطنات وهناك جسور مفتوحة دائمًا بين الجيش وبين أولئك المستوطنين.

من أجل ذلك نستخلص من هذه المقدمة أن التطرف في إسرائيل له مرجعيته الدينية والثابتة والمستقَّرة، وكل متدين لابد أن يكون متطرفاً لأن التعاليم -في التوراة والتلمود- تأمره بذلك وأن التطرف اليهودي صناعة صهيونية بحتة استقوا تعاليمهم من بين دفتي التلمود العنصرى والتوراة المُحرَّفة[1] لذا أحببت أن أضع بين يدي القارئ العربي المسلم هذه الحقائق من كتبهم لعل هذا الران الذي طمس على القلوب أن ينجلي، ولعل الحميَّة -حميَّة الإسلام- أن تدب فى أوصال أبناء الأمة الإسلامية فيهبوا لنجدة الأقصى الجريح من بين أنياب أولاد الأفاعى.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (سورة يوسف ٢١)

كتبه: يوسف رشاد

---

(١) وهذا هو الهدف الثاني لفكرة هذا الكتاب.

الفصل الأول

1

التطرف اليهودي في التوراة

نبذة عن نشأة التوراة وتدوينها

إن التوراة المتداولة الآن ليست هي التي أُنزلت على سيدنا موسى -عليه السلام[1]- فقد كانت التوراة الأصلية أصغر من ذلك بكثير بحيث تنقش على اثنى عشر حجرًا نقشًا جيداً[2] وأنها كانت مقتصرة على الشريعة فقط، وقد كانت موضوعة فى تابوت العهد حتى استولى الفسطينيون عليه في نهاية قضاء عالي الكاهن (حوالي ١٠٧٦ ق.م) وظل عندهم سبعة أشهر[3]، ثم أرجعوه في زمن قضاء صموئيل وظل فى قرية "يعاريم" ٢٠ سنة[4] حتي أحضره داود باحتفال كبير وأدخله إلى الخيمة التى نصبها له في "مدينة داود"[5].

وحين بنى سليمان-عليه السلام- الهيكل ووضعه فيه لم يكن فى التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر، أي أن نسخة توراة موسى كانت مفقودة والغالب أنها كانت مكتوبة باللغة المصرية التي كان يجيدها موسى.[6]

---

(١) فلا ريب أن هذه (التوراة) تختلف اختلافًا بيّنًا عن التوراة المُنزَّلة التى ذكرها القرآن والتى هي محتويات الألواح وأن التوراة الموجودة الآن ضمن الكتاب المقدس ليست المذكورة فى القرآن بحال، وإن كانت تحتوي على نبذ منها بالخطأ والتحريف والتبديل- وعلى هذا فعندما نتهم أو نتكلم عن التوراة فإنما الذي نعنيه هي التوراة المحرّفة التى كتبها أحبار يهود كما هو مبين في ثنايا الكتاب وهذه إشارة لمن يتصور أننا عندما ندين ما كُتبَ في التوراة إنما ندين التوراة التى بين أيدينا الآن والتى بها من المآخذ ما هو معلوم ومشاهد لمن يتصفح تَلكم الأسفار، والتوراة التى تكلم عنها القرآن الكريم والمنزلة على سيدنا موسى عليه السلام بعيدة كل البعد عن هذه الاتهامات لأن الكتب المنزلة على أنبياء الله لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، فلينتبه كل من له بصيرة بهذا الموضوع.

(٢) راجع سفر التثنية ٨/٢٧، ويشوع ٣٢/٨.

(٣) صموئيل الأول ١١/٤، ١/٦.

(٤) صموئيل الأول ٢/٧.

(٥) صموئيل الثانى الأصحاح السادس.

(٦) راجع التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة لمحمد قاسم محمد - جامعة قطر.

وعلى هذا فإن علماءهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم لا يعتقد أحد منهم أنها المُنزَّلة على موسى البتة؛ لأن موسى -عليه السلام- صان التوراة عن بني إسرائيل، ولم يبثها فيهم، وإنما سلَّمها إلى عشيرته أولاد لاوي، ودليل ذلك قول التوراة العبرية:

"ويختوب موسى ات هتوراه هزوت وتنياه الوهيم (الوكيم) بنى ليوى"

تفسيره: وكتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى الأئمة بني لاوى وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم؛ لأن الإمامة وخدمة القرَّابين وبيت المقدس كانت موقوفة عليهم.

ولم يبذل موسى من التوراة لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها (ها أزينوا فإن هذه السورة من التوراة هى التى علَّمها لبني إسرائيل وذلك قوله:

"ويختوف موشى ات هتوراه هزوت يلمداه لبني إسرائيل"

وتفسيره :

"وكَتَبَ موسى هذه السورة، وعلَّمها بني إسرائيل" وأيضًا فإن الله قال لموسى عن هذه السورة:

"وهايتا هشّوراه لعِيد لبني بسرائيل"

وتفسيره:

"وتكون لي هذه السورة شاهدًا على بني إسرائيل" وأيضًا فإن الله قال لموسى عن هذه السورة:

"كى لو تشاخيح مفي زرعو"

وتفسيره:

"لأن هذه السورة لا تُنسى من أفواه أولادهم[1]، يعنى أن هذه السورة مشتملة على ذم طباعهم وأنهم يخالفون شرائع التوراة، وأن السخط يأتيهم بعد ذلك، وتخرب ديارهم، ويشتتون فى البلاد".

فهذه السورة لما قال الله عنها: إنها لا تنسى من أفواه أولادهم دل ذلك على أن غيرها من السور تُنسَى، وأيضاً فإن الدليل على أن موسى -عليه السلام- لم يعط بنى إسرائيل من التوراة إلا هذه السورة.

فأما بقية التوراة، فدفعها إلى أولاد هارون، وجعلها فيهم، وصانها من سواهم.

وهؤلاء الأئمة الهارونيون الذين كانوا يعرفون التوراة، ويحفظون أكثرها قتلهم بختنصر على دم واحد يوم فتح بيت المقدس ولم يكن حفظ التوراة فرضًا ولا سنة، بل كان من الهارونيين من يحفظ فصلاً من التوراة [2].

ومن خلال استقراء ما سبق يتضح لنا أن التوراة الأصلية لا وجود لها ولكنّ هناك رأيان حول اتصال سند التوراة:

الأول: وهو فقدان السند المتصل.

ويتبنى هذا الرأى الشيخ رحمة الله الهندي[3] الذي يذكر أن جمهور أهل الكتاب مُتفقون أن عزرا هو الذي صنَّف التوراة الحالية فقد جاء فى تواريخهم ما نصه:

---

(١) فى سفر الخروج الإصحاح ١٢/٢٤ - ١٣ جاء.
"وقال الرب لموسى: اصعد إليَّ، إلى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم، فقام موسى ويشوع خادمه وصعد موسى إلى جبل الله".
(٢) راجع بذل المجهود فى إفحام اليهود للحكيم السموءل بن يحيى بن عباس المغربى المتوفى عام ٥٧٠ هجرية وكان من أعظم أحبار اليهود قبل إسلامه.
(٣) إظهار الحق ج ٢٧٢/١.

"أحرقت التوراة وما كان أحد يعلمها، وقيل: إن عزرا جمع ما فيها مرة أخرى بإعانة روح القدس"

أما الرأي الثاني: فيقول إن السند كان متصلاً لكن تم تحريفه.

ويتبنى هذا الرأى د. أحمد حجازى السقا[1] فى تعليقه على اراء الشيخ رحمة الله الهندي.

فهو يعتقد بأن النسخة الأصلية التى كتبها موسى والتى كانت فى تابوت العهد هي التي فقدت حينما استولى الفلسطينيون على تابوت العهد[2].

على أننا نميل إلى رأي الشيخ رحمة الله الهندي وبذلك نستخلص أن التوراة أو ما يسمى بالعهد القديم قد اندثرت وأن الذين حرّفوا وألّفوا التوراة هم مجموعة أو فريق إبان السبي اليابلي وما بعده لذلك جاءت التوراة المُحرَّفة ببعض التصورات والادعاءات الغريبة نُجمل هذه الأهداف التى صنفتها التوراة فيما يلى:

١ - إبراز التمييز العنصرى.

٢ - قصر البركة على بنى إسرائيل.

٣ - التأكيد على نساء بني إسرائيل.

٤ - المبالغات فى الفترات الزمنية.

٥ - الافتراءات الواضحة على أنبياء الله.

٦ - إلصاق صفات متناقضة للإله.

---

(١) نفس المرجع ص ١٠٦، ٢٧٣.
(٢) راجع التناقض في تواريخ وأحداث التوراة.

هذه هى أبرز سمات التوارة الحالية التى بين أيدينا والتى تُسمى بالعهد القديم من الكتاب المقدَّس عند النصارى الذى يتألف من: العهد القديم وهو: التوراة، والعهد الجديد وهو: الإنجيل، والتوراة تتألف من خمسة أسفار أساسية هى: "سفر التكوين، والخروج، اللاوليين، والعدد، والتثنية". هذا إلى جانب بقية الأسفار الأخرى.

يقول باروخ سبينوزا[١] : "إن تاريخ التوراة لابد وأن يشمل ثلاثة أشياء هى: تحليل اللغة العبرية، والبحث عن مصطلحات كل سفر، وكذلك البحث عن النسخة الأولى والهدف من كل سفر، وكيف استقبله الناس، ومن الذى اقترح أن يُدخل سفراً معيناً ولا يُدخل آخر.. إلى غير ذلك، ومن آرائه: أن الأسفار الخمسة الأولى من التوراة التى نسبها اليهود إلى النبى موسى عليه السلام لم تظهر إلا بعد وفاته بقرون، وأن هذه الأسفار ومعها سفر يشوع وسفر القضاة وأسفار أخرى كانت تُمثِّل كتابًا واحداً ضخمًا جمعه (عزرا الكاتب)[٢] ولم يكن تمكَّن من تنقيحه بسبب موته المبكر أو لأسباب أخرى، وأن عدم التنقيح والتهذيب بيِّن على هذه الأسفار لأنها تضم خليطاً كثيراً من الإعادات والتناقضات، وهذا يكشف أن هذه المادة كانت جُمعت على أيدى مؤلفين عدَّة، وأن بعض الأسفار الأخرى، كسفر الأيام الأول والثانى كُتبا بعد وفاة (عزرا) بفترة طويلة وقد يكون ذلك بعد القرن الثانى قبل الميلاد. وتبنى سبينوزا رأي اليهودي: إبراهام بن عزرا فى سفر أيوب، الذى اعتقد أن هذا السفر فى أصله ليس يهودياً، وإنما هو ترجمة من لغة أخرى، وقال: إن هذا يعنى أن الشعوب الأخرى كان عندها كتب مُقدَّسة، وقال كذلك: إن الذين جمعوا أسفار التوراة لم يجمعوها بشكل صحيح، بل أدخلوا بعض ما يجب أن يخرج منها وأخرجوا بعض ما يجب أن يدخل فيها، وأشار إلى أن مُفسِّر العهد القديم يواجه كثير من المشاكل نظراً إلى

---

(١) فيلسوف يهودي ولد فى هولندا عام ١٦٣٢م، وطردته المؤسسة الدينية اليهودية حينها لآرائه الجريئة حول التوراة.

(٢) يُعتقد أنه عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد، وقد جاء فى قاموس الكتاب المقدس: أن عزرا صاحب سفر فى التوراة، وكان كاهنًا ولُقِّب بالكاتب.

عدم المعرفة باللغة العبرية القديمة، وكذلك عدم المعرفة بظروف جمع الأسفار، ويرى سبينوزا أن الشريعة اليهودية بكل طقوسها لم يُقصد منها أن تكون ديناً عالمياً طُلب من الناس اتباعه والإلتزام به، وإنما هو كان خاصًا باليهود دون غيرهم حتى يحفظوا به كيانهم.

أما بالنسبة إلى فكرة الشعب المختار فهو قد خالف الاعتقاد اليهودي فيها، وعبّر عن اعتقاده بأن الرب لا يُفرق بين الشعوب وهو يحبهم جميعاً ويرغب فى أن تكون حالهم طيبة، وأنه لم يختر اليهود على بقيّة الشعوب وأن اليهود ليس لهم خصوصية إلهية، وليسوا أكثر فهمًا أو أكثر فضائل من الآخرين وقال:

"إذا كان اليهود يعتقدون أنهم شعب مختار فليس لدي رفض لذلك ولكن ليس هناك فرق على الإطلاق بين اليهود وشعوب العالم الأخرى من حيث ما حققوه روحياً وفكريًا، ولذلك فهو يقول: "إن عمل الإنسان يجب أن يتفق مع العقل، ولما كان الكثير فى الشريعة اليهودية الحالية لا يتفق مع العقل، فلابد وأن يكون هذا من صنع البشر وليس وحيًا أُوحِيَ به إلى موسى عليه السلام وإنما شيء كتبه الناس من بعده.[1]

وكثير من مؤرخى اليهود وكُتابهم يؤكدون على تحريف التوراة، وإنما استدلالانا بكتابات اليهود أو النصارى حول هذا الموضوع إنما هو من باب الاستشهادات من كتابات غير المسلمين وإلا فإن القرآن الكريم الذى هو دستور المسلمين يؤكد على تحريف اليهود للقرآن وكفى به شهيداً، إذ يقول الله عز وجل عن أهل الكتاب واليهود خاصة فى القرآن الكريم:

(يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ) (المائدة: ٤١)

ويقول تعالى: (مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ) (النساء: ٤٦)

ويقول سبحانه: (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقر: ٧٥)

---

(١) راجع: سبينوزا واليهود والتوراة للدكتور جعفر هادى حسن، وكذلك رسالة اللاهوت والسياسة لسبينوزا.

وعن أبى هريرة- رضى الله عنه- قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرية ويُفسِّرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم و(قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ)[١] (البقرة: ١٣٦).

وعن ابن عباس- رضى الله عنهما- قال: "يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذى أنزل على نبيه- صلى الله عليه وآله وسلم- أحدث الأخبار بالله تقرءونه لم يُشَبْ وقد حدّثكم الله أن أهل الكتاب بدَّلوا ما كتب الله وغيَّروا بأيديهم الكتاب فقالوا: هو من عند الله (ليشتروا به ثمنا قليلا) أفلا ينهاكم ما جاءكم عن مساءلتهم ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذى أنزل عليكم" [٢].

فهذا دليلنا كمسلمين، من القرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة على أن اليهود حرّفوا التوراة، ولكننا فى هذا البحث أثرنا أن نأتى بشهادات اليهود أنفسهم عن نشأة وتاريخ التوراة لكي نكون أكثر موضوعية علماً بأننا لم نتطرق إلى تحليل تلك الأسفار أو الحديث عن الأسفار الظاهرية والعلنية والأسفار الخفية الأخرى التى لا يعترف بها حاخامات اليهود ولم يدخلوها فى توراتهم الحالية تحت زعم أنها غير قانونية ومنها الترجمة السبعينية وأسفار ولفائف البحر الميت فلهذا أبحاث أخرى ولكن سنتعرض فى بحثنا عن التوراة التى بين أيدينا فقط.

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الشهادات.

(٢) رواه البخارى فى كتاب الشهادات/ ٢٤٨٨

هذا عن نشأة التوراة بصورة مجملة، أما عن محتويات ذلك الكتاب فأحيلك عزيزي القارئ إلى ثنايا هذا الكتاب الذى بين يديك ليتضح لك عمق الفكر اليهودي ومدى تغلغل التطرف فى نفوس الإسرائيليين الذين يستقون تعاليمهم من أحبارهم ورهبانهم المتطرفين.

تُحدثنا التوراه فىسفر التكوين وهو أول أسفارها عن حادثة ندم الله -تعالى الله عما نسبه إليه هؤلاء الأفاكون علوًا كبيرًا - وذلك عقب حادث الطوفان إبان عهد سيدنا نوح - عليه السلام- إذ تقول التوراة: "وقال الرب فى قلبه لا أعود ألعنُ الأرضَ أيضـًا من أجل الإنسان لأن تصوُّر قلب الإنسان شرير منذ حداثته، ولا أعود أيضـًا أميت كل حي كما فعلت". (سفر التكوين: الإصحاح الثامن/٢٢).

ثم تنتقل بنا التوارة إلى الاستهزاء بالأنبياء- عليهم السلام- فنجدها تتحدث عن سيدنا نوح -عليه السلام- على النحو التالى:

"وابتدأ نوح يكون فلاحـًا وغرس كرمـًا وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء، فلم يُبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال: ملعون كعنان، عَبْدَ العبيد يكون لإخوته، وقال: مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبدًا لهم، ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام، وليكن كنعان عبدًا لهمً (التكوين: الإصحاح التاسع ٢٠/٢٧).

ومعلوم أن الأنبياء معصومون من الأخطاء فكيف تجرأ كاتبو التوراة على وصف سيدنا نوح وهو من أولي العزم من الرسل بأنه سكير، ألا يُعدُّ هذا تطرفـًا وغلوًّا من كاتبى هذا الكتاب الموصوف ظلمـًا وزورًا بالمقدَّس، فأين هي هذه القدسية؟، والله سبحانه يوصف بأوصاف لا تليق بجلاله ولا بقدسيته وأنبياؤه يسخرون منهم ويستهزئون بهم كما رأينا وسنرى.

وأما المقولة المكتوبة داخل الكنيست الإسرائيلى والتى تقول: إن مُلك إسرائيل من النيل إلى الفرات فمأخوذة من التوراة التى تقول: "فى ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات" (التكوين :الأصحاح الخامس عشر ١٨/١٩).

وكأن سيدنا إبراهيم لم يخرج من عقبه إلا بنو إسرائيل والقرآن يقول: (مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ)

(سورة آل عمران: ٦٧، ٦٨).

ثم تتحدث التوراة عن لوط -عليه السلام- وما فعله بابنتيه وهي حادثة يندى لها تاريخ البشرية، إذ افتروا على هذا النبي بأنه فعل الفاحشة مع ابنتيه، ولو أننا قرأنا في صحف هذه الأيام عن أب فعل الفاحشة مع ابنتيه لقامت الدنيا ولم تقعد[1] فما بالكم يا سادة بنبي معصوم من الخطيئة يفعل هذه الفعلة الشنعاء مع ابنتيه ومع ذلك لم يستح كاتبو التوراة من سردها على هذا النحو:

"وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن فى صوغر فسكن فى المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلم نسقى أبانا خمرًا ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلا فسقتا أباهما خمرًا فى تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث فى الغد أن قالت البكر للصغيرة: إنى قد اضطجعت البارحة مع أبي نسقيه خمرًا الليلة أيضًا وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا

(١) وقد أذاعت محطات التلفاز الفضائية ووسائل الإعلام فى شهر مايو ٢٠٠٨ م عن فضيحة الرجل النمساوى الذي عاشر ابنته مُعاشرة الأزواج أكثر من عشرين سنة وقد سخّرت النمسا وسائل إعلامها لتبرير هذه الجريمة الشنيعة وصرّح الرئيس النمساوي بأن الشعب النمساوي كله يستنكر هذة الجريمة اللا أخلاقية، فما بالنابنبي معصوم من الصغائر ناهيك عن الكبائر يفتري عليه اليهود هذا الافتراء الشنيع .

لوط من أبيهما فولدت البكر ابنًا ودعت: اسمه: موآب، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم، والصغيرة ولدت ابنًا أيضًا ودعت اسمه: بن عمى، وهو أبو بني عمون إلى اليوم. (تكوين: الإصحاح عشر ص٢٩).

ولا يزال مسلسل الاستهزاء بالأنبياء والتقليل من شأنهم ووصفهم بأوصاف ونعوت لا تليق بأحقر المخلوقات ناهيك عن الأنبياء الذين أرسلهم الله جل وعلا لهداية الناس بل واصطفاهم على جميع خلقه ومع ذلك نجد كل هذا الافتراء على أنبياء الله-عليهم السلام-، ألا يُعد هذا من قبيل التطرف التى تحمله التوراة بين طياتها؟

ثم تنتقل التوراة إلى صفة أخرى من الصفات الذميمة التي ألصقتها بنبي الله يعقوب-عليه السلام- وهي صفة الغش والخداع فتحكى لنا هذه القصة: وحدث لما شاخ إسحق وكلَّت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الكبر وقال له: يا بني، فقال له: ها أنذا، فقال: إنني قد شخت ولست أعرف يوم وفاتي، فالآن خذ عدتك: جعبتك وقوسك واخرج إلى البرية وتصيد لي صيدًا واصنع لي أطعمة كما أحب وائتنى بها لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت.

وكانت رفقة -زوجة إسحاق- سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه، فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيدًا ليأتى به وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة:

إنى قد سمعت أباك يُكلِّم عيسو أخاك قائلا: ائتنى بصيد واصنع لي أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتى، فالآن يا ابنى اسمع لقولي فى ما أنا آمرك به، اذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين من المعزى، فأصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته، فقال يعقوب لرفقة أمه هو ذا عيسو أخي أشْعر وأنا رجل أمْلَس، ربما يجسنى أبي فأكون فى عينيه **كمتهاون** أجلب على نفسي لعنة لا بركة، فقالت له أمه: لعنتك عليّ يا ابني اسمع لقولي **فقط** واذهب خذ لي، فذهب وأخذ وأحضر لأمه، فصنعت أمة أطعمة كما كان أبوه **يحب**، وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها فى البيت وألبست يعقوب

ابنها الأصغر، وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جدي المعزى وأعطت الأطعمة والخبز التى صنعت في يد يعقوب ابنها، فدخل على أبيه قال يا أبى: فقال ها أنذا، من أنت يا ابنى؟ قال يعقوب لأبيه: أنا عيسو بكرك، قد فعلت كما كلمتنى، قم اجلس وكُل من صيدي لكي تباركنى نفسك، فقال إسحاق لابنه: ما هذا الذي أسرعت لتجد يا ابنى، فقال إن الرب إلهك قد يسَّر لي، فقال إسحاق ليعقوب: تقدم لأجلسك يا ابنى، أنت هو ابنى عيسو أم لا، فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه فجسَّه وقال: الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو (التكوين: الأصحاح السابع والعشرين ٢٢/١).

أرأيتم أيها السادة إلى أي مدى تتجرأ التوراة على الأنبياء فهذه المَّرة تتهم التوراة النبي يعقوب بالكذب والخداع، ثم يتجرأ كاتبو التوراة على الله سبحانه وتصفه بمصارعته ليعقوب ثم يتغلب يعقوب على الله -تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، وتلكم القصة: (فبقى يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقّ فخذه فانخلع حُق فخذ يعقوب فى مصارعته معه، وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر، فقال:لا أطلقك إن لم تباركنى، فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب، فقال لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، وسأل يعقوب وقال أخبرنى باسمك، فقال لماذا تسأل عن أسمى، وباركة هناك فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً لأني نظرت إلى الله وجها لوجه ونجيت نفسي) (التكوين: الأصحاح الثانى والثلاثون ٣١/٢٢).

ثم تنتقل التوراة لتحدثنا عن الخديعة والغدر والإرهاب الذي تأصل في نفوس الإسرائيليين من قراءتهم لتلك القصص المليئة بالحقد والدسائس والخيانة، ولنقرأ هذه القصة من توراتهم:(وخرجت دينة ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض فرآها شكيم بن حمور رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلها، فكلم شكيم بن حمور أباه قائلا: خذ لى هذه الصبِّية زوجة وسمع يعقوب أنه نجَّس دينه ابنته، وأما بنوه فكانوا مع مواشيه في الحقل، فسكت يعقوب حتى جاءوا، فخرج حمور أبو شيكم إلى يعقوب ليتكلم معه، وأتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا، وغضب الرجال واغتاظوا جدًا لأنه صنع قباحة فى إسرائيل بمضاجعة

ابنة يعقوب... وتكلم حمور معهم قائلا: شكيم ابني قد تعلقت نفسي بابنتكم... أعطوه إياه زوجه... فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكر وتكلموا... فقالوا لهما: لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر أن نعطى اختنا لرجل أغلف، لأنه عار لنا، غير أننا بهذا نواتيكم، إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر... فحسن كلامهم في عيني حمور وفي عيني شكيم بن حمور، ولم يتأخر الغلام أن يفعل الأمر لأنه كان مسرورًا بابنة يعقوب... فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين[1] أن ابني يعقوب شمعون ولاويأخوى دينة أخذا كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف، وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة، غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه، وسبوا ونهبوا كل ثرواتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما في البيوت (التكوين: الأصحاح الرابع والثلاثون ١٨/ ٢٩).

هذه هي أخلاق كاتبي التوراة، وفى الفصل الذي سنتحدث فيه إن شاء الله عن تطرف الشخصية اليهودية ستعلم يقينًا من أين استقت هذه الشخصية أخلاقها وتعاليمها!!

ثم تتحدث التوراة وتنتقل بنا إلى اتصاف الله بأوصاف لا تليق -بخالق هذا الكون ومُدبِّره- فهي تشبهه بالبشر فهو إله يُصاب بالتعب والنصب ولذلك فهو يحتاج إلى الاستراحة تعالى عما وصفه به الأفاكون علوًا كبيرًا، تقول التوراة: "إن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام واستراح فى اليوم السابع وكان يوم السبت، فاكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله فى اليوم السابع من عملة الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقدَّسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقًا "(سفر التكوين: الأصحاح الثانى ١/ ٣).

وتقول أيضا: "وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك لأنه في ستة أيام

(١) أي: قوم شكيم وأبوه حمور نتيجة عملية الختان.

صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع". (سفر الخروج الأصحاح العشرون ١٠/١٢).

وتقول أيضًا: "لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس". (الخروج: الأصحاح الحادى والثلاثون/١٨).

وأما قرآننا الذي هو كلام ربنا والمحفوظ منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا لم يعتره التأويل ولا التحريف لأن الله أخذ على نفسه العهد بحفظه فقال:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(سورة الحجر:٩)

هذا القرآن يدحض فرية كَتَبَة التوراة ويرد عليهم قائلاً:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ (سورة ق: ٣٨)

أي : ما مسنا من تعب ولانَصَب .

ثم تنتقل بنا التوراة لتحدثنا عن افتراءاتها على نبي الله هارون وتنسب له ظلمًا وزورًا-أنه هو الذي صنع العجل الذي عبده بنو إسرائيل فتقول التوراة: "ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التى فى أذان نسائكم وبناتكم وائتونى بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى في أذانهم وأتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصّوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكًا، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، فلما نظر هارون بني مذبحا أمامه، ونادى هارون وقال غدًا عيذ للرب، فبكَّروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة، وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب". (الخروج: الأصحاح الثاني والثلاثون ١/٦).

وقد دحض القرآن الكريم هذه الفرية وبرَّأ ساحة سيدنا هارون -علية السلام- منها فقال:

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾ (سورة طه: ٨٥ -٨٨).

ثم تتمادى التوراة فى تجاوزها وتصف الله سبحانه وتعالى بالندم -تعالى الله الملك الحق عما يقولون علوًّا كبيرًا، تقول التورة : "فقال الرب لموسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر، زاغوا سريعًا عن الطريق الذي أوصيتهم به، صنعوا لهم عجلاً مسبوكًا وسجدوا له وذبحوا له وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر وقال الرب لموسى: رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة، فالآن اتركنى ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم فأصيِّرك شعبًا عظيمًا، فتضرّع موسى أمام الرب إلهه وقال لماذا يا رب يحمي غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟

لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم فى الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض، ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثّر نسلكم وأعطى نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه. (الخروج: الأصحاح الثانى والثلاثون ٧/ ١٤).

فإلى جانب الصفات الذميمة التي ألصقوها بالخالق جل وعلا من خبث وندم -نستغفر الله تعالى- مع العلم أنه من المفروض أو المعلوم أن الديانة اليهودية فى أصلها دين توحيد فمن المفروض أيضًا أن يوصف فيها الله عز وجل بصفات الوحدانية والكمال المطلق والتنزه عن جميع صفات النقص والعجز والتحريف،

لكن هؤلاء ما استساغوا كل هذه المعانى فأخذوا يُحقّرون ويوصفون هذا الخالق العظيم بكل هذه البذاءات التى طفح به كتابهم الموسوم بالتوراة.

بل إننا نجد أيضًا الأسلوب الذي افتراه كتبة التوراة على سيدنا موسى أثناء حديثة مع الله عز وجل، فهو أسلوب ينضح بالبذاءة وقلة الذوق بل والأدب فى معرض حديث شخص مع شخص آخر، فما بالكم بحديث نبي ورسول مع الله خالقه وخالق الكون كله، أيكون بهذا الأسلوب الملىء بالسخرية والاستهزاء؟ حاشا لسيدنا موسى أن يتحدث مع الله بهذا الأسلوب الذي كُتبتْ به التوراة ألا يُعدُّ هذا نمط من أنماط التطرف للشخصية اليهودية عندما تقرأ فى كتابها المقدس هذا الأسلوب الذي يتحدث به نبي مع ربه وخالقه ويصفه بصفات لا تليق به سبحانه وتعالى؟!

وتستمر التوراة في مسلسل افترائها، فتفترى على الله بأنه كلم موسى وجها لوجه فتقول: "ويكلم الرب موسى وجهًا لوجه كما يُكلم الرجل صاحبه".

(الخروج: الإصحاح الثالث والثلاثون/١١).

والله سبحانه وتعالى يخبرنا عكس ذلك تماما فى قوله تعالى:
﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٣)

ثم تتحدث التوراة عن مدى الإسفاف في كلام الله لموسى فتقول: "وقال الرب لموسى: حتى متى يُهيننى هذا الشعب، وحتى متى لا يصدقوننى بجميع الآيات التى عملت في وسطهم، إنى أضربهم بالوباء وأبيدهم وأصيرك شعبًا أكبر وأعظم منهم" (العدد: الإصحاح الرابع عشر ١٢/١٣).

وفي موضع آخر من نفس الإصحاح تقول التوراة: "وكلم الرب موسى وهارون قائلاً: حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علىّ قد سمعت تذمّر بني إسرائيل الذي يتذمرونه علىّ". (العدد: الإصحاح الرابع عشر ٢٧/٢٨).

ويستمر مسلسل إساءة الأدب مع الله -جل فى علاه- فنقطتف هذا الحوار الذى دار بين سيدنا موسى والرب سبحانه وتعالى: "قال موسى للرب لماذا أسأت إلى عبدك؟ ولماذا لم أجد نعمة في عينيك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب عليَّ ألعلى حبلت بجميع هذا الشعب أو لعلي ولدته حتى تقول لي احمله فى حضنك كما يحمل المربى الرضيع إلى الأرض التي حلفت لآبائه، من أين لي لحم حتى أُعطى جميع هذا الشعب لأنهم يبكون عليَّ قائلين أعطنا لحمًا لنأكل، لا أقدر أنا وحدي أن أحمل جميع هذا الشعب لأنه ثقيل علىّ، فإن كنت تفعل بي هكذا فاقتلنى قتلاً إن وجدت نعمة في عينيك فلا أرى بليتي. (العدد: الإصحاح الحادي عشر ١١/١٥).

وكأن سيدنا موسى يتحدث مع شخص أقل منه منزلة فالتجرؤ الواضح فى هذا الحوار مع الله سبحانه وتعالى يُبين لنا إلى أي مدى من الانحطاط الخُلقي ينحدر هذا الشعب، فلو أنه شعب سوى حقًا ما سمح لنفسه أن تُكتب مثل هذه البذاءات فى كتاب يعدُّونه مقدسًا ويتبنونه ويطالب بعضهم بل معظمهم بوضعه دستورًا للبلاد، لذلك يُعدَّ هذا الكتاب مدخلاً لتطرف الديانة اليهودية.ومن ثمَّ للشخصية اليهودية ومن ثمَّ للجماعات التى يعدونها متطرفة كما سيتضح ذلك في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى.

ونُقلِّب صفحات التوراة ونقف عند سخط الشعب الإسرائيلي على الله وعلى سيدنا موسى -عليه السلام- فتقول: "وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين: لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت في البرية لأنه لا خبز ولا ماء وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف، فأرسل الرب على الشعب الحيّات المُحْرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل". (العدد: الإصحاح الحادي والعشرون ٧/٦).

هذا الطعام السخيف الذي أرسله الله إليهم هو المنّ والسلوى قال الله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (سورة البقرة:٥٧).

ولأنهم شعب خبيث فطلبوا أن يأكلوا ما دون ذلك من الطعام بل طلبوا أن يأكلوا من الشجرة الخبيثة -الثوم والبصل- فقالوا: "واللفيف الذي في وسطهم اشتهى شهوة، فعاد بنو إسرائيل أيضًا وبكوا وقالوا من يطعمنا لحماً، قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجانًا والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم، والآن قد يبست أنفسنا ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المن".

(العدد: الإصحاح الحادي عشر ٤/٧)

وقد رد عليهم القرآن الكريم باستبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة: ٦١)

ونقلب صفحات التوراة وأجدني أقف عند حلم الله سبحانه وتعالى على هذا الشعب المتمرد الشرير فتقول التوراة: "ولم يكن ماء للجماعة فاجتمعوا على موسي وهارون وخاصم الشعب موسى وكلموه قائلين: ليتنا فنينا فناء إخوتنا أمام الرب لماذا أتيتما بجماعة الرب إلى هذه البرية لكى نموت فيها نحن ومواشينا ولماذا أصعدتمانا من مصر لتأتيا بنا إلى هذا المكان الرديء، ليس هو مكان زرع وتين وكرم ورمان ولا فيه ماء للشرب... فأخذ موسى العصا من أمام الرب كما أمره، وجمع موسى وهارون الجمهور أمام الصخرة فقال لهم: اسمعوا أيها المردة أمن هذه الصخرة نُخرج لكم ماء، ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماء غزيرٌ فشربت الجماعة ومواشيهاً. (العدد: الإصحاح العشرون ٢/١٢)

وصدق قول الله العزيز الحكيم فيهم ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (سورة البقرة: ٦٠)

فهل رجعوا عن غيهم وعتوهم وفسادهم؟ هذا ما سنراه... ونقف عند سفر العدد لنرى الهمجية والوحشية التى يتبعها هذا الشعب الشرير والمتأصل فى هجميته مع أعدائه فنقرأ: "وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم... فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب."

(سفر العدد: الإصحاح الحادي والثلاثون ٩/١٥).

ألا تُنبئنا هذه الأحداث عما تنطوي عليه النفسية اليهودية من حقد وغلٍّ ومكر شديد وغدر بالغ وحقد أسود فهم يكرهون المجتمعات البشرية، يأكل الحقد قلوبهم، ولا يحفظون لقوم عهدًا ولا ذمة، وليس لهم ضمير يؤنبهم على هذا أو يردهم إلى الصواب، ولم يعرف التاريخ قومًا أسرع نقضًا للعهد ولا أحقد منهم.

ثم ننتقل إلى سفر التثنية من التوراة الذى يبدأ بتمليك بنى إسرائيل للأرض وكأنهم هم وحدهم أبناء لسيدنا إبراهيم فتقول: "تحوَّلوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعانى ولبنان إلى نهر الفرات، انظر قد جعلت أمامكم الأرض، ادخلوا وتملكوا الأرض التى أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم."

(التثنية: الإصحاح الأول ٩/٦ ص: ٢٧٧).

ونقلب صفحات التوراة ونقف عند الشرك الأكبر الذى وقعوا فيه بقولهم: "أنتم أولاد الرب إلهكم، لا تخمشوا أجسامكم ولا تجعلوا قرعة بين أعينكم لأجل ميت، لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك الرب لكي تكون له شعبًا خاصًا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض."

(التثنية، الإصحاح الرابع عشر ١/٢).

وصدق قول الله عز وجل فيهم إذ يحدثنا على لسانهم أنهم قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾

(سورة المائدة: ١٨).

أليس هذا هو عين الاستعلاء، والتى خرجت من تحت عباءته مقولتهم الشهيرة: "نحن شعب الله المختار" ومن التعاليم الظالمة التى جاءت في التوراة على أيدي كتبة هذا الكتاب ما يلى: "لا تُقرض أخاك بربا ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شىء مَّا مما يُقرض بربا، للأجنبى تُقرض بربا ولكن لأخيك لا تُقرض بربا لكى يباركك الرب إلهك فى كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها"

(التثنية: الإصحاح الثالث والعشرون ١٩/ ٢٠).

وقد تنبأ سيدنا موسى -عليه السلام- لعلمه بخبيئة هذا الشعب من أنه سيفسد فى الأرض من بعده وسيفجر ويترك وصاياه التي أوصاه بها فتخبرنا التوراة فى غيبة من عقول من كتبوها عن تمرد هذا الشعب على لسان موسى قائلاً: "اجمعوا إلىّ كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض، لأنى عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ويصيبكم الشر فى آخر الأيام لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم" (التثنية: الإصحاح الحادي والثلاثون ٢٨/ ٣٠).

ثم نُقّلب أوراق التوراة ونقف عند كفر بني إسرائيل وعبادتهم لغير الله فيقول سفر القضاء: "وفعل بنو إسرائيل الشرّ فى عينى الرب وعبدوا البعليم، وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لهم وأغاظوا الرب، تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت، فحمى غضب الرب على إسرائيل فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم وباعهم بيد أعدائهم حولهم ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم".

(سفر القضاة: الإصحاح الثانى ١١/ ١٥).

ثم يرسل الله من يخلصهم من أيدي ناهبيهم ومع ذلك نجد عناد هذا الشعب وإصرارهم على الكفر والمعاصي فتقول التوراة: "وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم، ولقضائهم أيضًا لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها حادوا سريعًا عن الطريق التى سار بها آباؤهم لسمع وصايا الرب، لم يفعلوا هكذا، وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضى وخلَّصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضي، لأن الرب نَدِمَ من أجل أنينهم بسبب مُضايقيهم وزاحميهم، وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها، لم يكفّوا عن أفعالهم وطريقهم القاسية، فحمى غضب الرب على إسرائيل وقال من أجل أن هذا الشعب قد تعدّوا عهدى الذي أوصيت به آبائهم ولم يسمعوا لصوتي.."

(سفر القضاة: الإصحاح الثانى ٢١/١٦).

ويستمر هذا الشعب المعاند فى كُفره وغيّه فتقول التوراة: "فعمل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسوارى، فحمى غضب الرب على إسرائيل فباعهم بيد كوشان رشعتايم ملك أرام النهرين، فعبد بنو إسرائيل كوشان رشعتايم ثمانى سنين" (القضاء: الإصحاح الثالث ٩/٧)

ثم تقول التوراة أيضًا: "وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب فشدّد الرب عجلون ملك موآب على إسرائيل لأنهم عملوا الشرّ فى عيني الرب، فجمع إليه بني عمون وعماليق وسار وضرب إسرائيل وامتلكوا مدينة النخل، فعبد بنو إسرائيل عجلون ملك موآب ثماني عشرة سنة" (القضاء: الإصحاح الثالث ١٥/١٢).

ويستمر مسلسل العناد والاستمرار فى الكفر والمعاصي فتحكي التوراة عن هذا الشعب الفظ الغليظ: "وكان بعد موت جدعون أن بنى إسرائيل رجعوا وزنوا وراء البعليم وجعلوا لهم بعل بريث إلهًا، ولم يذكر بنو إسرائيل الرب إلههم الذي أنقذهم من يد جميع أعدائهم من حولهم، ولم يعملوا معروفًا مع بيت يربعل جدعون نظير كل الخير الذي عمل مع إسرائيل." (القضاء: الإصحاء الثامن ٣٥/٣٣).

ثم تقول التوراة: "وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بنى عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه فحمى غضب الرب على إسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بنى عمون، فحطموا ورضضوا بنى إسرائيل فى تلك السنة، ثمانى عشرة سنه" (القضاة: الإصحاح العاشر ٩/٩).

ثم تصف التوراة إلههم وهو فى زعمهم -الرب سبحانه وتعالى- بأوصاف لا تليق بجلاله ولا بعظمته، فالرب برئ من تصرفاتهم وأفعالهم وأقوالهم، فتارة يصفونه بأنه تعب من خلق الخلائق فاستراح من هذا النصب والتعب- وحاشاه سبحانه وتعالى- وتارة يصفونه بأنه يغتاظ من أفعالهم وتارة يعلنون السخط عليه وتارة يصفونه بالندم على أفعاله كما سنقرأ هنا: "ولم يعد صموئيل لرؤية شاؤل إلى يوم موته لأن صموئيل ناح على شاؤل والرب ندم لأنه ملك شاؤل علي إسرائيل".

(سفر صموئيل الأول: الإصحاح الخامس عشر/٣٥).

وتعالى الله الواحد الأحد الفرد الصمد علوًا كبيرًا عن قول أحفاد القردة والخنازيراثم تُفصح التوراة عن هويّة كاتبيها المليئة بالحقد والمؤامرات والافتراء على الله -سبحانه وتعالى- وعلى أنبيائه -عليهم السلام-، ومن هذه الافتراءات هذه القصة التى نسج خيوطها شياطين الجن والإنس، وتلكم القصة بتمامها كما خطها كَتبة التوراة: "وأما داود فأقام في أورشليم، وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جدًا فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد: أليست هذه بَثْشَبع بنت أليعام أمرأة أوريا الحثى فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت: إنى حُبلى، فأرسل داود إلى يوآب يقول أرسل إلىَّ أوريا الحثي، فأرسل يوآب أوريا إلى داود فأتى أوريا إليه فسأل عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب، وقال داود لأوريا: انزل إلى بيتك واغسل رجليك فخرج

أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصّة من عند أوريا ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيِّده ولم ينزل إلى بيته، فأخبروا داود قائلين: لم ينزل إلى بيته: فقال داود لأوريا: أما جئت من سفر فلماذا لم تنزل فقال أوريا لداود: إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتى بيتي لآكل وأشرب واضطجع مع امرأتى -وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا، فقال داود لأوريا: أقم هنا اليوم أيضًا وغدًا أطلقك، فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده، ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره، وخرج عند المساء ليضطجع فى مضجعه مع عبيد سيده وإلى بيته لم ينزل، وفى الصباح كتب داود مكتوبًا إلى يوآب وأرسله بيد أوريا، وكتب فى المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيُضرب ويموت وكان فى محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا فى الموضع الذى علم أن رجال البأس فيه فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثى أيضاً، فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له إمرأة".

(صموئيل الثانى: الإصحاح الحادي عشر ٢/٢٦).

هكذا أنبياء الله في نظر كاتبي التوراة خونة وأصحاب مؤمرات وحاشا لنبي الله داود-عليه السلام- أن يكون متصفًا بهذه الصفات، وقرآننا يخبرنا عنه قائلاً:

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۢ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ (سورة الإسراء ٥٥).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ﴾ (سورة النمل ١٥).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ﴾ (سورة سبأ ١٠).

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ (سورة ص:١٧).

﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ (سورة ص٢٦).

وكان لسيدنا داود كل الحق فى لعن هذا الشعب على لسانه كما يخبرنا القرآن ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ (سورة المائدة ٧٨).

ولا زلنا نبحث فى أتون هذا العهد القديم فنجدهم يتهمون أنبياءهم باستخدام الجن والشياطين والعرَّافين لمعرفة الغيب، فقول التوراة: "فسأل شاؤل من الرب فلم يُجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأوريم[1] ولا بالأنبياء، فقال شاؤل لعبيدة: فتشوا لي على امرأة صاحبة جانٍّ فأذهب إليها وأسألها فقال له عبيده هوذا لمرأة صاحبة جانٍّ في عين دور، فتنكَّر شاؤل ولبس ثيابًا أخرى وذهب هو ورجلان معه وجاءوا إلى المرأة ليلا، وقال: أعرفى لي بالجانٍّ واصعدي من أقول لك، فقالت له المرأة: هوذا أنت تعلم ما فعل شاؤل كيف قطع أصحاب الجانّ والتوابع من الأرض، فلماذا تضع شركا لنفسى لتُميتها، فحلف لها شاؤل بالرب قائلاً حيٌّ هو الرب إنه لا يلحقك إثم في هذا الأمر، فقالت المرأة من أصعد لك؟ فقال: أصعدي لي صموئيل، فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم، وكلمت المرأة شاؤل قائلة: لماذا خدعتنى وأنت شاؤل؟ فقال لها الملك لا تخافي، فماذا رأيت؟ فقالت: لشاؤل: رأيت آلهة يصعدون من الأرض، فقال لها: ما هي صورته؟ فقالت: رجل شيخ صاعد وهو مُغطى بجبّه فعلم شاؤل أنه صموئيل فخّر على وجهه إلى الأرض وسجد".

(صموئيل الأول: الإصحاح الثامن والعشرون ٦/١٥).

ومن العجيب أن التوراة نفسها تنهى عن إتيان العرافين والسحرة وأن شاؤل نفسه نفى أصحاب الجان والتوابع من الأرض في نفس السفر ونفس الإصحاح وأما عن تحذير التورة فيقول: (سفر التثنية: الإصحاح الثامن عشر ١٠/١٢).

"لا يوجد فيك من يُجيز ابنهُ أو ابنته في النار ولا من يعرف عِرافة ولا عائفُ ولا متفائل ولا ساحر، ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانًّا أو تابعةً ولا من يستشير

(١) الأوريم أى: الأنوار بالإلهامات.

الموتى" (ثم نجد هذا النبى -شاؤل- أو الملك الذي كان يوحى إليه -حسب زعم التوراة)- يذهب إلى عرَّافة ويسألها أن تُحضِّر له روح صموئيل لكي يُلقى عليه بعض الأسئلة. فهل أنبياء الله -والمفروض أنهم معصومون من كل خطيئة- يرتكب أحدهم هذا الخطأ الفادح؟ لكن ماذا نقول لكَتَبة التوراة الذين ألصقوا كل التهم بأنبياء الله بل تعدى ذلك إلى قتلهم كما سنرى هذا الاعتراف من كتبة التوراة، ولانزال نتفحص في كلمات التوراة والتى زعم المنتسبون إليها أنهم موحِّدون ثم نجد أنهم يقعوا في النقيض، لأن توراتهم تقول عكس تلك فينسبون إلى الله تعالى صفة الأبوة والنبوة -أي : يجعلون له نِدًّا وشريكًا - فتقول: "والرب يُخبرك أن الرب، يصنع لك بيتاً متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأُثبت مملكته، هو يبني بيتًا لأسمى وأنا أثبِّت كرسي مملكته إلى الأبد، أنا أكون له أبًا وهو يكون لى ابنًا، إن تعوج أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بنى آدم"

(صموئيل الثانى: الإصحاح السابع ١٢/١٥)،

وهذا الكلام تقوله التوراة على لسان ناثان بن داود ليبلغه إلى داود -فحاشا لله أن يتخذ ولدا أو يكون أبًا- يقول سبحانه واصفًا ذاته العليا :

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ (سورة الإخلاص)

وتتبارى التوراة في عرض الفضائح على أيدي كاتبيها فيكتبوا بأيديهم النجسة هذه الفضيحة: "وجرى بعد ذلك أنه كان لأبشالوم بن داود أخت جميلة اسمها ثامار فأحبها أمنون بن داود، وأحصِر أمنون للسقم من أجل ثامار أخته لأنها كانت عذراء، وعَسُرَ في عيني أمنون أن يفعل لها شيئًا، وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شمعي أخي داود، وكان يوناداب رجلاً حكيمًا جدًا، فقال له أمنون إنى أحب ثامار أخت أبشالوم أخي، فقال يوناداب اضطجع على سريرك وتمارض، وإذا جاءك

أبوك ليراك فقل له دع ثامار أختى فتأتى وتُطعمنى خبزًا وتعمل أمامي الطعام لأرى فآكل من يدها، فاضطجع أمنون وتمارض فجاء الملك ليراه فقال أمنون للملك دع ثامار أختي فتأتي وتصنع أمامي كعكتين فآكل من يدها، فأرسل داود إلى ثامار إلى البيت قائلا اذهبى إلى بيت أمنون أخيك واعملي له طعامًا، فذهبت ثامار إلى بيت أمنون أخيها وهو مضطجع، وأخذت العجين وعجنت وعملت كعكًا أمامه وخبزت الكعك وأخذت المقلاة وسكبت أمامه فأبى أن يأكل، وقال أمنون أخرجوا كل إنسان عني فخرج كل إنسان عنه، ثم قال أمنون لثامار ائتينى بالطعام إلى المخدع فآكل من يدك، فأخذت ثامار الذي عملته وأتت به أمنون أخاها إلى المخدع، وقَدَّمت له ليأكل فأمسكها وقال لها تعالي اضطجعي يا أختى، فقالت له: لا يا أخى لا تُذلنى لأنه لا يُفعل هكذا فى إسرائيل لا تعمل هذه القباحة أما أنا فأين أذهب بعاري وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء في إسرائيل، والآن كلم الملك لأنه لا يمنعني منك، فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكَّن منها وقهرها واضطجع معها".

(صموئيل الثانى: الإصحاح الثالث عشر ١/١٥).

ثم بعد ذلك وفي قصة طويلة يتحايل أخو ثامار -هذه- على أخيه الذي اضطجع مع أخته ويقتله.

والقصة تنم عن طويَّة كَتَبة التوراة، وأترك للقارىء الحصيف مدى تأثير ما احتوته هذه القصة من خيانة وغدر على قارئ التوراة ومثيلاتها من القصص الأخرى التي احتضنتها التوراة بين جنباتها وبدل أن يُستخلص منها العبر والعظات نجد أنها تترك أكبر الأثر لحبك المؤمرات وتحليل الحرام وهتك الأعراض وسفك الدماء وكل هذا متمثل في هذا الكتاب والذي كان من المفروض أن يكون مُقدَّسًا كما هو الحال في نظرهم، فلا غبار عليهم أن يجدوا في هذا الكتاب الأسوة والقدوة السيئة في زرع هذه الأحقاد وبذر بذور الفتنة وإشاعة الفواحش إلى غير ذلك من الموبقات التي اشتهر بها هذا الشعب، ألا يُعدُّ كل ذلك من الأسباب المُقنعة لتطرف تلكم التوراة ومن ثَمَّ تطرف المنتسبين إليها.

ولا أزال أقلب أوراق التوراة فأقف عند دليل من أدلة الاستعلاء على بني البشر من غير الإسرائيليين وتسخيرهم كعبيد لهم وهو ما يرددوه إلى الآن بأن نسل غير اليهود هم عبيد وخدم لهذا الشعب نقتطف هذه المقولة: "جميع الشعب الباقين من الأموريين والحثيين والفرزيين والحوِّيين واليبوسين الذين ليسوا من بني إسرائيل أبناؤهم الذين بقوا بعدهم في الأرض الذين لم يقدر بنوا إسرائيل أن يحرموهم جعل عليهم سليمان تسخير عبيد إلى هذا اليوم، وأما بنو إسرائيل فلم يجعل سليمان منهم عبيدًا لأنهم رجال القتال وخُدّامه وأمراؤه وثوالثه ورؤساء مركباته وفرسانه" (سفر الملوك الأول: الإصحاح التاسع ٢٠/٢٣).

ويستمر مسلسل الافتراء علي أنبياء الله فتذهل مما افترته التوراة على نبي الله سليمان من عبادته لغير الله فتقول: "وأحبَّ الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وآدوميات وصيدونيات وحثَّيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء فأمالت نساؤه قلبه، وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أَمَلْنَ قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشتورت الآلهة الصيدونيين ومَلْكُوم رجس العمونيين وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه، حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبين على الجبل الذي تجاه أورشليم ولِمُولك رجس بني عمون وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كان يُوقدن ويذبحن لآلهتهن، فغضب الرب على سليمان، لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر ألا يتبع أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب" (سفر الملوك الأول - الإصحاح الحادي عشر ١/١١).

هذا هو الملك والنبي سليمان فى عيني كَتَبة التوراة يعبد آلهة أخرى ويبني لهم المعابد، والقرآن يُبرِّئ ساحة سيدنا سليمان من تهمة الكفر فيقول: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ (سورة البقرة ١٠٢).

ويزكى الله سيدنا سليمان فيقول عنه: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (سورة ص ٣٠).

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ (سورة الأنبياء ٧٩).

هذا هو سيدنا سليمان في نظرنا نحن المسلمين مَثَله كَمَثل كل الأنبياء الذين أرسلهم الله وحفظهم من كل خطيئة وهم معصومون من الأخطاء، نؤمن بهم ونوقرهم ونحترمهم وسنكون بعون الله الأمة الشاهدة على افتراء هؤلاء الملاعين على الله- عز وجل- وأنبيائه يوم القيامة وسنبرئ ساحة أنبياء الله من التهم التي ألصقها بهم كاتبوا إخوان الشياطين وبإيحاء من شياطينهم.

ولازالنا نتفحص أوراق التوراة ونقف عند اتهام أحد الأنبياء بالكذب الصريح فتقول: "وكان نبي شيخ ساكنًا في بيت إيل فأتى بنوه وقصوا عليه كل العمل الذي عمله رجل الله ذلك اليوم... فقال لبنيه شدُّوا لي على الحمار، فقال له: أأنت رجل الله الذي جاء من يهوذا؟ قال: أنا هو فقال له: سر معى إلى البيت وكُل خبزًا فقال:لا أقدر أن أرجع معك ولا أدخل معك ولا آكل خبزًا ولا أشرب معك ماء في هذا الموضع، لأنه قيل لي بكلام الرب لا تآكل خبزاً ولا تشرب هناك ماء ولا ترجع سائرًا في الطريق الذي ذهبت فيه، فقال له: أنا أيضًا بنيٌّ مثلك، وقد كلمنى ملاك بكلام الرب قائلا: أرجع به معك إلى بيتك فيأكل خبزًا ويشرب ماء كذب عليه فرجع معه وآكل خبزًا في بيته وشرب ماء" باختصار (سفر الملوك الأول الإصحاح ١٣/ ١١-١٩).

يذكر لنا القرآن الكريم كثير من الصفات الذميمة لبني إسرائيل منها: أنهم قتلة للأنبياء من ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة ٦١).

وللتوراة أيضًا نفس الرأي في بني إسرائيل فتذكر عن أحد أنبيائهم هذا الكلام فقال: "غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبيائك بالسيف، فبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي ليأخذوها".

(سفر الملوك الأول: الإصحاح التاسع عشر: ١٥ص ٥٧٢)

وهذا هو عهد بني إسرائيل مع أنبيائهم يقتلونهم ويسخرون منهم ويستهزؤون بهم ويصفونهم بأوصاف بذيئة -كما رأينا- ويفترون عليهم إثمًا وزورًا.

ثم تفضح التوراة أعمال بني إسرائيل وما فعلوه من كفر وشرك وعبادة غير الله فتقول: "وكان أن بني إسرائيل أخطأوا إلى الرب إلههم الذي أصعدهم من أرض مصر من تحت يد فرعون ملك مصر واتقوا آلهة أخرى وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل وملوك إسرائيل الذين أقاموهم.

وعمل بنو إسرائيل سرًا ضد الرب إلههم أمورًا ليست بمستقيمة وبنوا لأنفسهم مرتفعات في جميع مدنهم من برج النَّواطير إلى المدينة المُحصنَّة وأقاموا لأنفسهم أنصابًا وسواري على كل تل عال وتحت كل شجرة خضراء وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات مثل الأمم الذين ساقهم الرب من أمامهم وعملوا أموراً قبيحة لإغاظته، وعبدوا الأصنام التى قال الرب لهم عنها لا تعملوا هذا الأمر، وأشهد الرب على إسرائيل وعلى يهوذا عن يد جميع الأنبياء وكل راء قائلاً ارجعوا عن طُرُقكم الرديَّة واحفظوا وصاياى وفرائضي حسب كل الشريعة التي أوصيت بها آباؤكم والتي أرسلتها إليكم عن يد عبيدى الأنبياء، فلم يسمعوا بل صَلبُّوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلههم ورفضوا فرائضه وعهده الذي قطعه مع آبائهم وشهاداته التي بها عليهم وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا وراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب ألا يعملوا مثلهم وتركوا جميع وصايا الرب إلههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عِجْلَيْن وعملوا سواري وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل، وعبَّروا بنيهم وبناتهم في النار وعرفوا عرافةً، وتفاءلوا وباعوا أنفسهم لعمل الشَّر في عيني الرب لإغاظته، فغضب الرب جدًا على إسرائيل ونجَّاهم من أمامه ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده، ويهوذا أيضا لم يحفظوا وصايا الرب إلههم بل سلكوا في فرائض إسرائيل التي عملوها، فرذل الرب كل نسل إسرائيل وأذلهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم

من أمامه؛ لأنه شق إسرائيل عن بيت داود فَملَّكوا يربعام بن نباط فأبعد يربعام إسرائيل من وراء الرب وجعلهم يخطئون خطَّية عظيمة، وسلك إسرائيل في جميع خطايا يربعام التي عمل، لم يحيدوا عنها حتى نحَّى الرب إسرائيل من أمامه كما تكلم عن يد جميع عبيده الأنبياء فسبى إسرائيل من أرضه إلى آشور إلى هذا اليوم" (سفر الملوك الثانى: الإصحاح السابع عشر ٧/٢٣).

وصدق قول الملك الحق سبحانه وتعالى فيهم: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ (سورة المائدة ٨٧)

لماذا؟؟

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ (سورة المائدة ٧٨-٨٠).

وعندما بُعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم قال الله-عز وجل- لهم:

﴿ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ (سورة المائدة ٨١).

وعندما علموا أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس من نسلهم ولا من ذرية بني إسرائيل عادوه وآذوه بل حاولوا قتله كما هي عادتهم مع أنبيائهم، ولكن الله -تعالى- حفظه منهم، ونتيجة لهذه الكراهية المتأصلة في نفوسهم وكما لاحظنا من نصوص التوراة -يحذرنا الله منهم فيقول لنا: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ (سورة المائدة ٨٢).

ونُقلّب صفحات التوراة ونقف عند اعترافهم على أنفسهم بارتكابهم المعاصي والآثام: فتقول التوراة: "وعند تقدمة المساء قمت من تذللى وفى ثيابى وردائى الممزقة جثوت على ركبتي وبسطت يدي إلى الرب إلهى وقلت: اللهم إنى أخجل وأخزى من أن أرفع يا إلهي وجهي نحوك لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا وآثامنا تعاظمت إلى السماء، منذ أيام آبائنا نحن فى إثم عظيم إلى هذا اليوم، ولأجل ذنوبنا قد دُفعنا نحن وملوكنا وكهنتنا ليد ملوك الأراضى للسيف والسبي والنهب وخزي الوجوه كهذا اليوم" (سفر عزرا: الإصحاح التاسع ٨/٥).

فهل تأبوا وأقلعوا عن معاصيهم وآثامهم أم عادوا إلى غيِّهم وكفرهم وقتلهم الأنبياء هذا ما سنراه من خلال تصفح التوراة.

تعاود التوراة اعترافها بأن بني إسرائيل ما هم إلا حفنة أشرار لم يحفظوا عهدًا ولا ذمة وأنهم قوم عصاة قتلة للأنبياء، فنقرأ الاعتراف التالي: "ولكنهم بغوْا هم وآباؤنا وصلَّبوا رقابهم ولم يسمعوا لوصاياك، وأبوْا الاستماع ولم يذكروا عجائبك التي صنعت معهم، وصلبوا رقابهم وعند تمردهم أقاموا رئيسًا ليرجعوا إلى عبوديتهم... مع أنهم عملوا لأنفسهم عجلاً مسبوكًا وقالوا: هذا إلهك الذي أخرجك من مصر وعملوا إهانة عظيمة... وعصوا وتمردوا عليك وطرحوا شريعتك وراء ظهورهم وقتلوا أنبياءك الذين أشهدوا عليهم ليردوهم إليك وعملوا إهانة عظيمة... ولكن لما استّراحوا رجعوا إلى عمل الشرِّ قُدَّامك فتركتهم بيد أعدائهم فتسلطواعليهم ثم رجعوا وصرخوا إليك وأنت من السماء سمعت وأنقذتهم حسب مراحمك الكثيرة أحياناً كثيرة، وأشهدت عليهم لتردَّهم إلى شريعتك، وأما هم فبغوا ولم يسمعوا لوصاياك وأخطأوا ضد أحكامك التي إذا عملها إنسان يحيا بها، وأعطوا كتفًا معاندة وصلَّبوه رقابهم ولم يسمعوا، فاحتملتهم سنين كثيرة وأشهدت عليهم بروحك عن يد أنبيائك فلم يُصغوا فدفعتهم ليد شعوب الأراضى"

(سفر نحميا: الإصحاح التاسع ٣١/١٦).

هذه هى صفات اليهود من توراتهم: قتل -وسفك للدماء - وسب الأنبياء وتعذيب النساء والأطفال، وتجريف الأراضى، وتخريب البيوت وهدمها فوق رءوس أصحابها إلى غير ذلك من جميع الموبقات التى لم تتركها التوراة إلا وألصقتها بهذا الشعب المعاند المكابر.

نأتى لموضوع هام تحدثت عنه التوراة ولكن حديثها عنه جاء متأخرًا -كما سنرى- وهو موضوع له أهميته القصوى ولكن التوراة أرجأته ولم تذكر عنه شيئًا البتة إلا فى معرض الحديث عن سيدنا "أيوب" -عليه السلام- هذا الموضوع هو: الشيطان... فمن المعروف لدى جميع الأديان السماوية والأرضية، التوحيدية والشركية، أن للشيطان نصيب من الذكر أو الحديث عنه سواء بالتحذير منه أو بوصفه بأنه "إله للشر" وذلك عند من يعددون الآلهة.

ولكن فى التوراة نجد أن الحديث عن الشيطان لم يأت إلا في سفر أيوب أي بعد سبعة عشر سفرًا من أسفار التوراة ومن المعروف أن أهم تلكم الأسفار "الخمسة الأول" ومع ذلك لم نر ولم نقرأ عن تحذير التوراة من الشيطان بأي صورة من الصور فهل للشيطان دخل فى إيحائه لأولياته بكتابة مثل هذه الأسفار؟

نحن نجزم بأن للشيطان اليد الطولى في كتابة هذه التوراة ودليلنا من قرآننا الكريم إذ يقول الله -عز وجل-

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ (سورة الأنعام ١٢١).

ويقول أيضاً:﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ (سورة الأعراف ٢٧).

والقرآن الكريم قد حذَّر المؤمنين من الشيطان والشياطين عمومًا فنجد أن لفظة "الشيطان" قد وردت في القرآن ثمان وستين مرة وورد لفظ "شيطانًا" مرتين، وورد لفظ "الشياطين" سبعة عشرة مرة، وورد لفظ "إبليس" أحد عشر مرة.

فكم مرة ذُكر لفظ الشيطان في التوراة؟

بعد قراءتنا المتأنية فيما يسمى بالعهد القديم "التوراة" لم يرد لفظ الشيطان- بدءًا من سفر "التكوين" وحتى سفر "استير" ولو مرة واحدة، ثم ذُكِرَ على استحياء وبأسلوب يتنافى مع ما هو متعارف عليه من طرد الله عز وجل لإبليس بعد لعنة، ثم إمهاله حتى قيام الساعة، ثم العداء المتأصل فى نفس هذا اللعين بعد إبائه للسجود لآدم وعصيانه لأوامر خالقه، هذا العداء الذي جعله يُقسم بالذات الإلهية أنه سيغوي بني آدم ويبعدهم عن طاعة الله وأوامره فيحكى لنا القرآن الكريم قصة قسمه فيقول:
﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ (سورة الحِجْر ٣٠-٤٠).

وفى سورة الأعراف يقول الحق تبارك وتعالى عن إبليس اللعين: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ (سورة الأعراف ١١ -١٨).

وفى سورة النساء يحكى لنا القرآن قصة هذا الشيطان المريد فيقول سبحانه: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ

﴿ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ (سورة النساء: ١١٧ - ١٢١).

وفي سورة "ص" يقول الحق تبارك وتعالى عن هذا اللعين: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (سورة ص ٧٣ -٨٥).

وبعد هذا السرد القرآنى الذى حكى لنا قصة إبليس مع الله سبحانه وتعالى، هل ذكرت التوراة شيئًا مما حكاه القرآن عن هذا الشيطان اللعين؟ اقرأ معى ما قالته التوراة بعد صمت مطبق لم يذكر فيه اسمه أو الإشارة إليه لا من قريب ولا من بعيد حتى جاء سفر أيوب فحكى لنا هذا الحوار الذي تم بين الله-تعالى- وإبليس-اللعين-: "وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضًا في وسطهم، فقال الرب للشيطان: من أين جئت؟ فأجاب الشيطان وقال من الجوَلان فى الأرض ومن التمشي فيها، فقال الرب للشيطان: هل جعلت قلبك على عبدي أيوب؛ لأنه ليس مثله فى الأرض، رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر؟ فأجاب الشيطان الرب: وقال هل مجانًا يتقي أيوب الله؟ أليس أنك سيَّجت حوله وحول بيته وحول كل ما له من كل ناحية، باركت أعمال يديه فانتشرت مواشيه في الأرض ولكن ابسط يدك الآن ومسَّ كل ماله فإنه في وجهك يُجدّف عليك، فقال الرب للشيطان: هوذا كل ماله فى يدك، وإنما إليه لا تَمُدَّ يدك، ثم خرج الشيطان من أمام وجه الرب). (أيوب الأصحاح الأول ٦-١٢)

ثم يستطرد الإصحاح الثانى من نفس السِّفر قائلا:

".. وإلى الآن هو مُتمسك بكماله وقد هيَّجتنى عليه لأبتلعه بلا سبب، فأجاب الشيطان الرب وقال: جلد بجلد وكل ما للإنسان يعطيه لأجل نفسه، ولكن ابسط الآن يدك ومسَّ عظمه ولحمه فإنه فى وجهك يُجدِّف عليك، فقال الربُّ للشيطان: ها هو فى يدك ولكن احفظ نفسه، فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب بقرح ردئ من باطن قدميه إلى هامته. (سفر أيوب، الإصحاح الثانى/٣ -٨).

هذه هى قصة أيوب مع الشيطان التى روتها التوراة، والحوار الذى اخترعه كاتب هذا السِّفر وزعم أنه دار بين الله - تعالى- وبين إبليس اللعين، وكأن هذا الأخير هو الذى يأمر الخالق- جل وعلا- بأن يضرب أيوب- عليه السلام- فى عظمه ولحمه، ولكن الله سبحانه وتعالى يترك أيوب- عليه السلام- للشيطان ويشترط عليه أن يحفظ نفسه وأن لا يقتله وهذا إيحاء من شيطان الإنس- كاتب هذا السِّفر- ولا أستبعد أن يكون من عَبدَة الشيطان ومن حزبه وأعوانه كبقية اليهود الذين يؤمنون بمثل هذه الخرافات والترَّهات، ولذلك فإن هذا السِّفر- كما ذكرنا- قد حيَّر بعض علماء التوراة حول أصله، ومَن الذى كَتَبَه ومن ثَمَّ رفضوه واعتبروا أن أصله ليس يهوديًا، يقول القس منيس عبد النور: قال هورن: "اختلف العلماء فى النبى الذى كَتب هذا السِّفر، فقال بعضهم إنه إلياهو أو أيوب أو موسى أو سليمان أو إشعياء، أو نبى من عصر الملك منسى، أو حزقيال أو عزرا، وذهب لأسقف لوثر وشولتنس وبترس وغيرهم إلى أنه أيوب، وهو القول الصحيح". وبعد هذا التضارب وتكرار لفظه (أو) وهو دليل واضح على الشك الأكيد قال القس الدكتور: منيس عبد النور: "على أن تحديد اسم الكاتب ليس مسألة جوهرية فى تقرير قانونية السِّفر ولا فى أنه وحى من عند الله"[1] حتى ولو كتبه الشيطان نفسه، فليس المهم كاتب السفر ولكن الأهم ما يحتويه!!

---

(١) شبهات وهمية حول الكتاب المقدس للقس الدكتور منيس عبد النور

ثم ننقل هذا الأعتراف على لسان توراتهم بأنهم شعب من نسل فاعلي الشر وأولاد مفسدين فيقول سفر إشعياء (الإصحاح الأول ٨/٢): "اسمعي أيتها السموات واصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلم، ربيت بنين ونشّأتهم، أما هم فعصوا عليَّ. الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه أما إسرائيل فلا يعرف، شعبي لا يفهم، ويل للأمة الخاطئة الشعب الثقيل الإثم نسل فاعلي الشر أولاد مفسدين، تركوا الرب استهانوا بقدوس إسرائيل، ارتدوا إلى الوارء، علام تضربون بعد، تزدادون زيغانًا كل الرأس مريض وكل القلب سقيم، من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة بل جرح واحباط وضربة طرية لم تُعصب ولم تلين الزيت، بلادكم خربة، مُدُنكم مُحرَّقة بالنار. أرضكم تأكلها غرباء قُدَّامكم وهى خربة كانقلاب الغرباء"

وتتوالى اعترافات التوراة وتكشف عن خبيئة هذا الشعب الآثم السادر في غيِّه فننقل هذه الأوصاف التى ما برحت هذه الشرذمة وما انفكَّت عنها ولا تزال هذه الأوصاف عالقة بهذا الشعب حتى يأتى يوم هلاكهم على يد بني إسماعيل -إن شاء الله- تقول التوراة: "ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تُخلِّص ولم تثقل أذنه عن أن تسمع، بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا تسمع، لأن أيديكم قد تنجست بالدم وأصابعكم بالإثم، شفاهكم تكلمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر ليس من يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق، يتكلمون على الباطل ويتكلمون بالكذب، قد حبلوا بتعب وولدوا إثمًا فقَّسوا بيض أفعى، خيوطهم لا تصير ثوبًا ولا يكتسون بأعمالهم، أعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم فى أيديهم، أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الزكي، أفكارهم أفكار إثم، في طُرُقهم اغتصاب وسحق، طريق السلام لم يعرفوه وليس في مسلكهم عدل، جعلوا لأنفسهم سُبُلاً مُعوَّجة، كل من يسير فيها لا يعرف سلاما."

(سفر إشعياء-الإصحاح التاسع والخمسون ٨/١).

هذه النعوت إذا نعتها أحد من بني البشر لهم رموه بعدائة للسامية فما بالهم وأن هذه الأوصاف جاءت على لسان توراتهم أيصمونها ويصفونها بعدائها للسامية هى الأخرى!!

كما أزف هذا النص الصريح والواضح لدعاة السلام مع هذا الشعب الذي لا يعرف سلامًا ماذا سيفعلون بعد قراءتهم لهذا النص التوراتي هل زعماء العرب- وخاصة الرئيس الفلسطينى الحالى محمود عباس وزُمرتة هل هم مصررُّون كما نرى ونسمع على شاشات التلفاز من وضع .. أيديهم فى أيدي من لا يعرفون طريق السلام كما تقول توراتهم؟؟

وهذا اعتراف آخر من التوراة بأن بني إسرائيل ما هم إلا حكماء فى عمل الشر.

فيقول سفر أرميا : "حتى متى أرى الراية وأسمع صوت البوق، لأن شعبي أحمق، إياي لم يعرفوا، هم بنون جاهلون وهم غير فاهمين هم حكماء فى عمل الشر ولعمل الصالح ما يفهمون" (الإصحاح الرابع: ٢١/٢٢)

ثم اعتراف آخر بأن بني إسرائيل ما هم إلا أمة متمرِّدة وعصاة وقساة الوجوه وصلاب القلوب، فنقرأ فى سفر حزقيال:" فقال لي يا ابن آدم قم على قدميك فأتكلم معك، فدخل فيّ روح لما تكلم معي وأقامنى على قدميَّ فسمعت المتكلم معي، وقال لي يا ابن آدم أنا مرسلك إلى بني إسرائيل إلى أمة متمردة قد تمردت عليَّ. هم وآباؤهم عصوا عليَّ إلى ذات هذا اليوم، والبنون القساة الوجوه والصلاب القلوب أنا مرسلك إليهم. فتقول لهم هكذا قال السيد الرب، وهم إن سمعوا وإن امتنعوا؛ لأنهم بيت متمرد (الإصحاح الثانى ٦/١).

ثم يستطرد الإصحاح الثالث من سفر حزقيال بوصف بني إسرائيل بقوله: "لكن بيت إسرائيل لا يشاء أن يسمع لك لأنهم لا يشاءون أن يسمعوا لي، لأن كل بيت إسرائيل صلاب الجباه وقُساة القلوب، ها أنا ذا قد جعلت وجهك صُلبا مثل وجوههم وجبهتك صلبة مثل جباههم، قد جعلت جبهتك كالماس أصلب من الصَّوَّان فلا تَخَفهم ولا ترتعب من وجوههم لأنهم بيت متمرد" (سفر حزقيال: الإصحاح الثالث ٩/٧).

ولا نزال مع سفر حزقيال إذ يقول عن بني إسرائيل: "هكذا قال السيد الرب، هذه أورشليم في وسط الشعوب قد أقمتها وحواليها الأراضى، فخالفت أحكامي

بالشر من الأمم وفرائضي بأشرَّ من الأراضي التي حواليها؛ لأن أحكامي رفضوها وفرائضي لم يسلكوا فيها، لأجل ذلك هكذا قال السيد الرب، من أجل أنكم ضججتم أكثر من الأمم التى حواليكم ولم تسلكوا فى فرائضى ولم تعملوا حسب أحكامى ولا عملتم حسب أحكام الأمم التى حواليكم. لذلك هكذا قال السيد الرب ها إنى أنا أيضًا عليك وسأجرى فى وسطك أحكامًا أمام عيون الأمم وأفعل بك ما لم أفعل وما لن أفعل مثله بعد بسبب كل أرجاسك لأجل ذلك تأكل الآباء الأبناء فى وسطك والأبناء يأكلون آباءهم وأجري فيك أحكاماً وأذري بقيتك كلها في كل ريح، من أجل ذلك حيّ أنا يقول السيد الرب من أجل أنك قد نجَّست مقدسى بكل مُكرهاتك وبكل أرجاسك فأنا أيضًا أجُزّ ولا تُشفق عيني وأنا أيضًا لا أعفو". (الإصحاح الخامس ٥/١١)

ويستطرد الإصحاح السادس: "ها أنا ذا أنا جالب عليكم سيفًا وأبيد مرتفعاتكم، فتخرب مذابحكم وتنكسر شمساتكم وأطرح قتلاكم قُدَّام أصنامكم، أضع جثث بني إسرائيل قُدَّام أصنامهم وأُذرّي عظامكم حول مذابحكم... وأبقى بقية إذ يكون لكم ناجون من السيف بين الأمم عند تذريكم فى الأراضى، والناجون منكم يذكروننى بين الأمم الذين يُسْبَوْنَ إليهم إذا كسرت قلبهم الزاني الذي حاد عني وعيونهم الزانية وراء أصنامهم ومقتوا أنفسهم لأجل الشرور التى فعلوها فى كل رجاساتهم، ويعلمون أنى أنا الرب . (سفر حزقيال: الإصحاح السادس ٣/١٠).

ويستطرد سفر حزقيال فى فضح أعمال ونجاسات بني إسرائيل: ومن فمك أُدينك يا إسرائيل، "ثم قال لي يا ابن آدم ارفع عينيك نحو طريق الشمال، فرفعت عيني نحو طريق الشمال وإذا من شمالي باب المذبح تمثال الغيرة هذا في المدخل، وقال لي يا ابن آدم هل رأيت ما هم عاملون، الرجاسات العظيمة التى ببيت إسرائيل عاملها هنا لإبعادى عن مقدسي، وبعد تعود تنظر رجاسات أعظم، ثم جاء بي إلى باب الدار فنظرت وإذا ثقب فى الحائط، ثم قال لى يا ابن آدم انقب في الحائط فنقبت في الحائط فإذا باب، وقال لي ادخل وانظر الرجاسات الشريرة التى هم عاملوها هنا،فدخلت ونظرت إذا كل شكل دبابات وحيوان نجس وكل أصنام بيت

إسرائيل مرسومة على الحائط على دائرة وواقف قُدَّامها سبعون رجلاً من شيوخ بيت إسرائيل ويازنيا بن شافان قائم في وسطهم وكل واحد مجمرته في يده وعطر عنان البخور صاعد ثم قال لى أرأيت يا ابن آدم ما تفعله شيوخ بيت إسرائيل فى الظلام كل واحد فى مخادع تصاويره؛ لأنهم يقولون الرب لا يرانا، الرب قد ترك الأرض... فقال لى أرايت هذا يا ابن آدم، بعد تعود تنظر رجاسات أعظم من هذه فجاء بى إلى دار بيت الرب الداخلية وإذا عند باب هيكل الرب بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلا ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس نحو الشرق، وقال لى أرأيت يا ابن آدم أقليل لبيت يهوذا عمل الرجاسات التى عملوها هنا، لأنهم قد ملأوا الأرض ظُلمًا ويعودون لإغاظتي وها هم يُقرَّبون الغصن إلى أنفهم، فأنا أيضًا أعامل بالغضب، لا تشفق عينى ولا أعفو، وإن صرخوا في إذني بصوت عالٍ لا أسمعهم" (سفر حزقيال: الإصحاح الثامن ١٨/٥).

إذًا دعواهم بأنهم أمة توحيدية دعوة باطلة وبشهادة كتابهم المقدس الذى وصفهم بأنهم عُبّاد أوثان وأصنام بل تعدوا ذلك إلى عبادة الشمس، وتضاف هذه الأوصاف إلى أوصافهم السابقة بأنهم قتلة وخونة وصلاب الرقاب وقساة القلوب إلى غير ذلك من الأوصاف التي نعتتها إياهم توراتهم المقدسة.

ولازلنا نُقلِّب صفحات التوراة لنرى العجب العجاب، وأجدنى أقف عند الإصحاح الثالث عشر الذى يتكلم عن الأنبياء الكذبة، وهذه صفة جديدة تضاف إلى أوصافهم السابقة بأنهم سريعى الاستجابة لكل من تسوَّل له نفسه ويدَّعى بأنه يتنبأ ويأتيه الوحى من قِبَل السماء، وهذا إن دل فإنما يدل على زعزعة الإيمان وعدم رسوخه فى قلوبهم؛ والخلل العقيدى الذي يجعلهم ألعوبة فى أيدي هؤلاء الأنبياء الكذبة تقول التوراة : "وكان إليَّ كلام الرب قائلاً يا ابن آدم تنبأ على أنبياء إسرائيل الذين يتنبأون وقل للذين هم أنبياء من تلقاء ذواتهم اسمعوا كلمة الرب، هكذا قال السيد الرب، ويلٌ للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ولم يروا شيئًا، أنبياؤك يا إسرائيل صاروا كالثعالب فى الخِرَب، لم تصعدوا إلى الثغر ولم تبنوا جدارًا لبيت

إسرائيل للوقوف فى الحرب فى يوم الرب... رأوا باطلا وعِرَافة كاذبة، القائلون وحي الرب والرب لم يُرسلهم وانتظروا إثبات الكلمة، ألم تروا رؤيا باطلة وتكلمتم بعرافة كاذبة قائلين وحيُ الرب وأنا لم أتكلم لذلك هكذا قال السيد الرب لأنكم تكلمتم بالباطل ورأيتم كذبًا فلذلك ها أنا عليكم يقول السيد الرب وتكون يدي على الأنبياء الذين يرون الباطل والذين يعرفون بالكذب فى مجلس شعبي لا يكونون، وفى كتاب بيت إسرائيل لا يكتبون وإلى أرض إسرائيل لا يدخلون فتعلمون أني أنا الرب السيد، من أجل أنهم أضلُّوا شعبي قائلين سلام وليس سلام"

(سفر حزقيال: الإصحاح الثالث عشر ١/١١).

وهكذا نجد أن الأنبياء الذين يتنبؤون لهم بما يتماشى مع أهوائهم يسمعون لهم ويُعظِّمونهم ويصدِّقونهم، وأما الأنبياء الحقيقون المرسلون من قبل الله ويتنبأون لهم بما لا يتماشى مع أهوائهم ومصالحهم فإنهم يرفضونهم ولا يسمعون لكلامهم ويلصقون بهم أبشع التهم بل ويتعدى ذلك كله إلى قتلهم والتخلص منهم.

ثم نقرأ هذه الأوصاف فى سفر هوشع إذ تقول التوراة: "ويل لهم هربوا عني، تبًا لهم لأنهم أذنبوا إليَّ، أنا أفديهم وهم تكلموا عليَّ بكذب، يتجمعون لأجل القمح والخمر ويرتدُّون عني وأنا أنذرتهم وشدَّدت أذرعهم وهم يفكرون عليَّ بالشِّر، يرجعون ليس إلى العليِّ قد صاروا كقوس مخطِئة، يسقط رؤساؤهم بالسيف من أجل سُخط ألسنتهم" (الإصحاح السابع ١٣/١٦).

هذه أعمالهم وأفعالهم مع خالقهم من ارتكاب آثام وذنوب وكذب وأعمال شر، فحريٌّ بهم أن يفعلوا أكثر من ذلك مع أنبيائه ورسله وبقيَّة خلقه من بنى البشر، وهذه هي الطبيعة التي جُبلوا عليها فأفعالهم أفعال شر وأعمالهم أعمال إثم.

ثم أختم قراءتى للتوراة بهذه المقتطفات من التوبيخ لبني إسرائيل من آخر أسفار العهد القديم ألا وهو سفر ملاخي حيث يقول: "والآن إليكم هذه الوصية أيها

الكهنة، إن كنتم لا تسمعون ولا تجعلون في القلب لتعطوا مجدًا لاسمي قال رب الجنود فإنى أُرسل عليكم اللعن وألعن بركاتكم بل لقد لعنتها؛ لأنكم لستم جاعلين في القلب، ها أناذا أنتهر لكم الزرع وأمُدُّ الفرث على وجوهكم فرث أعيادكم فتُنزعون معه... أما أنتم فحدتم عن الطريق وأعثرتم كثيرين بالشريعة، أفسدتم عهد لاوى، قال رب الجنود فأنا أيضا صيرتكم محتقرين ودنيئين عند كل الشعب كما أنكم لم تحفظوا طُرُقي بل حابيتم في الشريعة... لقد أتعبتم الرب بكلامكم، وقلتم بم أتعبناه، بقولكم كل من يفعل الشر فهو صالح في عينيّ الرب وهو يُسرّ بهم أو أين إله العدل... من أيام آبائكم حدتم عن فرائضي ولم تحفظوها، ارجعوا إليّ أرجع إليكم، قال رب الجنود: فقلتم بماذا نرجع؟ أيسلب الإنسان الله، فإنكم سلبتموني، فقلتم بم سلبناك في العشور والتقدمة، قد لعنتم لعنًا وإياي أنتم سالبون، أقوالكم اشتدت عليّ قال الرب، وقلتم ماذا قلنا عليك؟ قلتم عبادة الله باطلة وما المنفعة من أننا حفظنا شعائره وأننا سلكنا بالحزن قُدَّام رب الجنود." (بتصرف من سفر ملاخي)

وهكذا ينهي العهد القديم كلماته بهذا التوبيخ والذي ما برح سفر من أسفاره إلا ووصف هذا الشعب بأوصاف حقيرة، ولازالت هذه الأوصاف عالقة بهذا الشعب حتى يأتى وعد الله فيهم.

هذه هي توراتهم التي وصفتهم بكل هذه الأوصاف الذميمة والحقيرة، والتى استقوا منها تطرفهم وغلوهم...وعليه فإن سَرْدَنا لتلكم النصوص التى اقتبسناها من بين دفتى التوراة إنما هو لإقامة الحُجة عليهم من كتابهم المقدس وأن من فمهم أدنّاهم ومن كتابات أحبارهم وحاخاماتهم التى يعتبرونها نصوصاً مُقدسة أقمنا عليهم الدليل أنهم قتلة وظلمة وعُبَّاد للأوثان وأنهم لا يتورعون بل يستمدون أفعال الشر التى يفعلونها من كتابهم المقدس فلا يتورعون من قتل الأطفال والنساء والشيوخ ومن حرق الزرع وقلع الأشجار وهدم البيوت وكل تلك الأفعال الشنيعة التى يفعلها اليهود الآن فى أبناء شعبنا الفلسطينى حتى السلام الذى يهرول إليه زعماء

العرب وينبطحون من أجله وما يحدث الآن على الساحة الفلسطينية الرسمية المتمثلة فى الزعيم الفلسطينى محمود عباس وحاشيته وما يفعله من مفاوضات مع الجانب الإسرائيلى تحت زعم نشر السلام فى المنطقة، فهذا السلام أيضًا أقرَّ كتابهم المقدس أنهم لا يعرفوه ولا يسعون إليه، يقول الفلسطيني والمناضل عبد القادر ياسين:

"قادة الفصائل يرون فى مفاوضات (عباس، أولمرت (رئيس وزراء إسرائيل الحالى)، وقريع (رئيس وزراء السلطة الفلسطينية السابق)، وليفني (تسيبى ليفني، وزيرة خارجية إسرائيل الحالية) (مفاوضات عبثية) وأنا هنا اعترض على هذا التوصيف لأنها لا تمت للمفاوضات بين عدوّين بشئ، وإلا فما هذه القبلات والأحضان والضحكات المجلجلة التى تنقلها شاشات الفضائيات للرأى العام العالمي؟! إن ما يجري فى منزل أولمرت بالقدس يُقدِّم خدمات جليلة تستر جرائم إسرائيل ضد شعبنا العربي الفلسطيني، من قتل، واعتقال، وتدمير، والتهام أراض، وتوسيع مستوطنات واستمرار فى بناء جدار الفصل العنصري.. فكل هذه الجرائم تواصلها سلطات الاحتلال الإسرائيلي بينما مسئولون كبار فى سلطة الحكم الإدري الذاتي المحدود يمازحون أعداءنا ويتناولون معهم المرطبات والغداء، أو العشاء فى جو لا تشوبه شائبة، والأنكى أن هذه المساخر المسماة (مفاوضات) تتم فى مدينة القدس فى تسليم من عباس وصحبه باعتبارها عاصمة (إسرائيل)، ثم إن (المفاوضات) لا تجري فى مقرٍّ رسمي، بل فى منزل رئيس وزراء العدو الإسرائيلي، أي: فى مكانٍ غير رسمي مما يعني أن التكليف مرفوع بين الطرفين (المتفاوضين) وأن الجو أسري بينهما.. عباس أعطى مهلة لتلك المساخر حتى آخر السنة (٢٠٠٨م) كي تنهى (إسرائيل) خطتها لتمزيق الضفة الغربية والتهام ما تطمع فيه من أراضيها، وتوسع (إسرائيل) مستوطناتها، وتستكمل بناء جدار الفصل العنصري، عندها يمكن لعباس أن يُقدِّم استقالته.." (١)

---

(١) جريدة الأسبوع المصرية الصادرة فى ٢٠٠٨/٦/٧ الموافق ٢ من جمادى الأخره / ١٤٢٨هـ

ومع هذا الإنبطاح الذي لم يسبق له مثيل على مدار تاريخ الأمة العربية والإسلامية أمام أعدائها إلا أن هذا الإسلام الذي ينشده العرب والمتمثل فى زعماء وحكومات الدول العربية مجتمعة، هذا السراب الزائف واللهث وراء استرضاء العدو بأي شكل وثمن، هذا العدو وقادته يعلمون تمام العلم أن ثقافتهم وموروثهم الديني والمتمثل فى كتابهم المقدس الذى يرجعون إليه يقول عنهم: "طريق السلام لم يعرفوه وليس فى مسلكهم عدل، جعلوا لأنفسهم سُبُلاً مُعوجَّة، كل من يسير فيها لا يعرف سلامًا." (سفر إشعياء، الإصحاح التاسع والخمسون /٨) فيا زعماء العرب.. يا من تلهثون وراء السلام مع إسرائيل توراتهم تقول: (طريق السلام لم يعرفوه) فهل من مُعتبر؟

هذا عن توراتهم وكتابهم المقدس الذى يستمدون منه كل هذا التطرف والغلو...

فماذا عن التلمود الذي يُعتبر مرجعهم الأساسي الذى يستلهمون منه تعاليمهم وشريعتهم، بل يعدونه أفضل من التوراة كما سنبين؟

فهيا معي عزيزي القارئ لنتعرف على هذا الكتاب الغامض الذي يأتيه الباطل من كل حَدب وصَوب، لأنه كُتب بأقلام حاخاماتهم وأحبارهم الذين يبغضون كل شىء حتى أنفسهم...

الفصل الثانى

التلمود وتطرف الشخصية الإسرائيلية

2

مدخل

اعلم عزيزي القارئ أن كتاب التلمود من الكتب نادرة الوجود في المكتبات العالمية وذلك راجع الى حرص اليهود الشديد على عدم ظهور هذا السِّفْر الضخم لأن تعاليمه خاصة بهم، لذا فهو يُدرَّس في المدارس والمعاهد الدينية عندهم فقط.

يقول الأستاذ/عجاج نويهض "وكل ما يمكن معرفته حتى اليوم عن أمر التلمود عند العرب، بعد مرور نحو أربعة عشر قرنًا على تكامل وصفه فى العراق، كناية عن أوصاف سماعية، وشذرات خطيّة قليلة، ولا أعتقد أن عربيًا ما مسلمًا كان أم مسيحيًا، فى العالم العربى كله، قرأ مجلدًا واحدًا من التلمود، إلا أن يكون ذلك الواحد دارسًا مختصًا في معهد أو جامعة، ولعل السبب الأول هو اللغة، والثاني محاولة اليهود دائمًا إبعاده عن أذهان غير اليهود، والثالث اعتقاد الجمهرة من مفكري العرب أن التلمود بضاعة قديمة بالية وإذا ما ذكروا، ذكروا التوراة وحتى التوراة قليل من العرب من عني ويعنى بالإطلاع عليها ليعلم ما فيها من صور أخلاق اليهود...

وقد حان الوقت في سنة ١٩٦٦م أن يعلم العربي أن التلمود هو مباءة "حكماء صهيون" ، إليه يرجعون وعنه يصدرون، ومن روحه اشتقت (البروتوكولات) وصيغت فى مقررات[١].

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون-عجاج نويهض ج٢ صـ١٥٦-١٥٧ بيروت ١٩٦٧م.

وحرصاً مني على الموضوعية عند تناول قضية "التطرف اليهودى" رجعت إلى كتب معتمدة نقلت من التلمود مباشرة.

وفى هذا الفصل سأُعطي للقارئ نبذة عن التلمود ثم أردفه بتأثر الشخصية اليهودية عمومًا والإسرائيلية على وجه الخصوص بتعاليم التوراة والتلمود، وأن اليهود عامة يوصمون بالتطرف سواء الحمائم منهم أم الصقور....

وأما ما يدّعيه البعض بأن الحمائم هم أناس يسعون لتحقيق السلام فهو محض افتراء وقلب للحقائق والواقع المرير الذي نعيشه يشهد بذلك فهما وجهان لعُملة واحدة، فما الحمائم والصقور إلا أدوار يؤدونها باقتدار على الساحة السياسية من آن لآخر، وأن الحقيقة المريرة التي يعرفها أو لا يعرفها الساسة العرب أن هؤلاء وأولئك يقومون بتنفيذ تعاليم حاخاماتهم الذين يستقون تعاليمهم بدورهم من التوراة المُحرَّفة والمتطرفة وكذلك فهم أبناء أوفياء لتعاليم التلمود الأكثر تطرفًا....

فما هو هذا التلمود؟؟؟

التلمود وتعاليمه المتطرفة

التلمود: هو مجموعة التعاليم التي وضعها أحبار يهود وفقهاؤهم[(١)].

يقول أحد أحبار اليهود بعد أن اعتنق الإسلام[(٢)].

"وكانت اليهود في قديم الزمان تسمى الفقهاء بالحكماء وكان لهم في الشام والمدائن مدارس، وكان لهم ألوف من الفقهاء، وذلك في زمن دولة النبط البابلين والفرس ودولة الروم، حتى اجتمع لهم الكتابان اللذان اجتمعت فقهاؤهم على تأليفهما، وهما "المشنا والتلمود"

فأما المشنا: فهو الكتاب الأصغر ومبلغ حجمه ثمانمائة ورقة.

وأما التلمود: فهو الأكبر، ومبلغه نحو نصف حمل بغل[(٣)]، لكثرته وأم يكن الفقهاء الذين ألقوه في عصر واحد وإنما ألقوه في جيل بعد جيل.

فلما نظر المتأخرون منهم إلى هذا التأليف، وأنه كلما مرَّ جيل عليه زادوا فيه، وأن هذه الزيادات المتأخرة تناقض أوائل هذا التأليف علموا أنهم إن لم يقطعوا ذلك، ويمنعوا من الزيادة فيه، أدى إلى الخلل الظاهر والتناقض الفاحش فأوقفوا فيه، ومنعوا من ذلك، وحظرو على الفقهاء الزيادة عليه، وحرَّموا من يضيف إليه شيئًا آخر، فوقف على ذلك المقدار[(٤)].ا.هـ

(١) تقول الموسوعة اليهودية تحت مقالة "تلمود":

"إن التلمود، على غرار المشنا، لم يكن من عمل مؤلف واحد أو مجموعة من المؤلفين، بل هو ثمرة الجهود الجماعية التي بذلتها على التوالي أجيال متعددة، حيث أثمرت تلك الجهود في النهاية كتابًا فريدًا في أسلوب تطوره".

(٢) هو صموئيل بن يهوذا بن يحيى بن عباس المغربى الأندلسى في رسالته المسماة ببذل المجهود فى إفحام اليهود.

(٣) وصدق قول الله عز وجل فيهم ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ (سورة الجمعة٥).

(٤) راجع: التلمود الصهيونية للدكتور أسعد مرزوق.

إذن فالتلمود عبارة عن مصنف كبير للأحكام الشرعية أو مجموعة القوانين الفقهية للديانة اليهودية، قام بوضع هذه الأحكام والقوانين مجموعة من الأحبار والفقهاء اليهود على مر الأزمنة والعصور.

وأسفار التلمود في الأصل روايات شفوية تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل، وهي قسمان:

المشنا: وهو الأصل - أي: المتن ومعناها بالعبرية: المعرفة أو القانون الثاني.

والجمارا: وهو الشرح.أي: شرح المشنا

"ففى أحد أسفار التلمود-سفر الآباء الذي يتضمن الأقوال والحِكَم المأثورة عن الآباء في التقليد اليهودي نجد التنائيم (المُعلَّمون) خلال القرنين الأولين للميلاد يقولون في المشنا الأول ما يلى:

"تلقى موسى التوراة من سيناء وسلَّمها إلى يشوع، ويشوع قام بتسليمها إلى الشيوخ، والشيوخ إلى الأنبياء، والأنبياء سلَّموها بدورهم إلى رجال المجمع الأكبر".

معنى ذلك أن تقليد التوراة الشفهية يرقى في جذوره الى موسى -عليه السلام- ويصدر عن الوحى الموسوي فى سيناء جنبًا إلى جنب مع التوراة المكتوبة أو الأسفار الخمسة، لكن هذا الموقف النقدي لدى الباحثين يخالف الرأي الشائع ولا يؤخذ به على عواهنه، وأغلب الظن، كما يُرجع سولومون شختر، هو أن منشأ هذا التقليد مجهول، بينما نجد الشُرَّاح اليهود في القرون الوسطى يزعمون وجود أصول موسوية عريقة في القدم وإليها ينسبون التقليد المذكور لكن (شختر) يقف مع العلماء المدققين في إبطالهم للزعم القائل بأن الشريعتين، المكتوبة والشفهية، ترجعان إلى "عهد التأليف الموسوي" فهو يقول:

"بما أن الشريعة الشفهية هي وثيقة الاتصال بتاريخ وتطور فنون تفسير الكتاب المقدس، فمن الجائز بكل اطمئنان إرجاع تاريخ بدايتها إلى زمن النفي

عندما تم لأول مرة إنشاء مؤسسة الكنيسي التي كانت وظيفتها الرئيسية تقوم على تعليم كلمة الرب وتفسيرها، والمعروف أن مؤسسة الكنيسي أو المجمع يعود تاريخها إلى ما بعد فترة السبي البابلي[1].

ويقول المؤرخ والفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون عن تعريف المشنا:

"منذ أيام معلمنا موسى حتى حاخامنا المقدَّس (يهوذا هاناسي)لم يتفق أحد (من علماء اليهود) على أيَّة عقيدة من العقائد التى كانت تُدَّرس علانية باسم (القانون الشفهي)، بل رئيس محكمة كل جيل أو نبيَّه يضع مذكرة عما سمعه عن سلفه وموجهيه لنقلها شفهيًا إلى شعبه وهكذا ألَّف كل فرد (أى: من أحبار اليهود) كتابًا مماثلاً ليُستفاد منه، حسب درجة كفاءته، إذا كان مُتمكنًا من القوانين الشفهية وما توصل إليه السابقون من تفسير التوراة والقرارات التى أُعلنت فى مختلف الأجيال وقررتها المحكمة العليا (أي: السنهدرين)، وهكذا تقدَّم الزمن حى أتى حاخامنا المقدس الذى جمع لأول مرة كل ما يتعلق بالأحكام والقرارات وشرح القانون المروي عن موسى- معلمنا المأمور به كل جيل؟.

وموسى بن ميمون يُلقب عند اليهود بالرمبام أي: الحاخام الأكبر وهو من الأحبار الذين قاموا بالتعليق والإضافة فى المشنا يقول ماكس مارجوليز وألكسندر ماركس عن موسى بن ميمون: "وكان تفسيره للأدب فى المشنا عن (أقوال الآدباء) قد كتبه فى ثماني فصول، وافتتاحية الباب العاشر هي عن مجلس اليهود الأعلى (السنهدرين) الذى يخرج المشنا فيه من تقسيم العالم إلى درجات متفرِّقة من الكفرة، ثم يكتب فى كتابه ثلاثة عشر مادة فى العقائد اليهودية ويقول إن اليهودي إذا أنكر إحدى هذه المواد أصبح كافرًا بملَّته"[2].

---

(١) التلمود والصهيونية - أسعد رزوق ص ١٠٨.

(٢) تاريخ الشعب اليهودي أو (كيف يروي اليهود تاريخهم) لماكس مارجوليز والكسندر ماركس، وكلاهما يهوديان، صـ ٨١ (الناشر: دار مكتبة بيبليون- لبنان) وسوف نأتي بمزيد عن موسى بن ميمون فى كتابنا: اليهود المتخفون

وأما الجمارا أو التلمود سواء الفلسطيني أو البابلي فكلاهما شرح وأقوال أحبار وحاخامات اليهود للمشنا- كما ذكرنا-

فهل قَبِلَ كل اليهود هذا التلمود؟

انقسم اليهود إلى عدَّة فرق في تقبلهم للتلمود.

أحدهما: القراؤون أو العنانيون: وهي فرقة حديثة أنشأها عنان بن داود أحد علماء يهود في بغداد أواخر القرن الثامن الميلادي فى عهد أبي جعفر المنصور ويقوم مذهب تلك الفرقة على التمسك بما جاء فى كتاب الأسفار الخمسة الأولى وحده، وعدم الاعتراف بأحكام التلمود وتعاليم الربانيين والحاخامات.

أما الفرقة الثانية: فهم الفريسيون أو الربانيون: وهذه الفرقة من أهم فرق اليهود بل أكبرهم وأكثرهم عددًا ويُطلقون على أنفسهم لقب: الأخوة أو الأحبار أو الرفاق، أما كلمة (الفريسيون) فتعني المعتزلة، ويظهر أن خصومهم هم الذين أطلقوا عليهم هذا اللقب، وهم يكرهونه.

وتعترف هذه الفرقة بجميع الأسفار والروايات الشفوية المنسوبة لسيدنا موسى -عليه السلام- وكذلك تعترف طبعًا بالتلمود.

وهذه الفرقة أو الطائفة من أُشدِّ اليهود عداوة لغيرهم من الأمم من سائر الملة اليهودية.

أما الثالثة: فهم الصدُّوقيون: وهذه الفرقة لا تعترف إلا بكتاب الأسفار، ويرفضون الأحاديث الشفوية لموسى، ومن باب أولى شروح الربانيين، بل إنهم لا يرون للتوراة قدسية مطلقة[1].

أيهما يَفضِّل اليهود: التوراة أم التلمود:

(١) راجع باستفاضة: بذل المجهود في إفحام اليهود.

"التلمود... هو التعبير عن النظرة اليهودية الشاملة إلى العالم، في امتدادها عبر ألف سنة من الزمن، محتوياته متعددة الجوانب كالحياة نفسها، ولا يوجد شيء في السماء وعلى الأرض مما جال بخاطر الناس في ذلك الزمان دون أن يؤتى على ذكره في صفحات التلمود"[١].

والتلمود عند اليهود أسمى مقاما من التوراة.

"ليس هناك ما هو أسمى مقاماً من التلمود المقدس[٢]".

والتلمود -كما ذكرنا- عبارة عن الوصايا التى كتبها الأحبار وهي تضم (المشنا) وحواشي المشنا (الجمارا) ومن المشنا والجمارا يتكون التلمود، وهناك تلمود بابل وتلمود أورشليم وهم يضعونه في منزلة التوراة، وأكثر أحبارهم يجعل التلمود فى منزلة أسمى من التوراة، ولا يكون اليهودي عندهم إيمانا كاملا إلا إذا صدق بالتلمود.

يقول محرر دائرة المعارف اليهودية عن التلمود: "إنه دائرة معارف تشمل كل نواحي الحياة الإنسانية، وسلطة التلمود كمشروع للقانون الشفهي- تعتبر سماوية (إلهيه) عند اليهود الأرثوذكس(أي:مستقيمى العقيدة) ومن هنا تعتبر (تعاليم) التلمود إلزامية وثابتة، وغير متغيرة، أما اليهود المحافظون والإصلاحيون فلا يقبلون السلطة الإلزامية الكلية للتلمود، رغم اعترافهم بالدور العظيم الذى لعبة التلمود فى تحديد وحسم عقائد اليهودية أو نظرياتها".

ومن كتاب التلمود نفسه نقرأ كرَّاس "بابها ميتسيا" أي: المدخل الأوسط "أولئك الذين يُكرّسون أنفسهم لقراءة الكتاب المقدس يؤدون فضيلة لا ريب فيها، لكنها ليست كبيرة، وأولئك الذين يدرسون المشناة يؤدون فضيلة، سوف ينالون المكأفاة عليها، لكن أولئك الذين يأخذون على عاتقهم دراسة الجمارا، يؤدون فضيلة سامية جداً"

كذلك نقرأ في كرّاس "سوفيريم". أي: (كرَّاس الكَتَّبة)

---

(١) "بن عمي" وهو اسم مستعار لكاتب يهودي روسي اسمه: موردخاي رابينو فتش (١٨٥٤-١٩٣٢) انظر: التلمود والصهيونية.

(٢) فضح التلمود للأب برانايش.

"الكتاب المقدس الدينى هو كالماء، والمشناة كالنبيذ، أما الجمارا فهي كالنبيذ الأروماني".

وفيما يأتى نرى تمجيد ذو أهمية كبري للتلمود في مؤلفات الرابيين حيث يقولون: "اهتم، يا بُنى بأوامر الكتبة، مُفضّلا إيّاها على أوامر القانون".

سبب ذلك نجده في كرّاس "سانهيدرين". (أي: المحاكم القضائية)

"ذلك الذي يُخالف أوامر الكَتَبة، يرتكب خطيئة مميتة أكثر مما لو خالف أوامر القانون"(١)

وأوامر القانون هي الشريعة أي: التوراة، وأما أوامر الكتبة فهذا يعني عندهم أوامر التلمود.

تقول الموسوعة اليهودية:

"إبان انحطاط الحياة الفكرية لدى اليهود، وهو الانحطاط الذي بدأ في القرن السادس عشر، نظرت أكثريتهم الساحقة إلى التلمود وكأنه السلطة العليا... حتى إن التوراة أُنزلت إلى مرتبة ثانوية، والمعاهد اليهودية نذرت نفسها لدراسة التلمود دون منازع، لدرجة أصبح "الدرس" معها مرادفًا لـ"دراسة التلمود".

ويقول التلمود في سفر الآباء الفصل الخامس:

"في سن الخامسة: دراسة التوراة، وفي العاشرة: دراسة المشنا، وفي الثالثة عشرة الوصايا والتكليف، وفي الخامسة عشر: دراسة التلمود.

ومن عبارات التلمود نستشهد بما يناشد هذا الكتاب كل يهودي فيقول:

"يا بني، كن حرصيًا على مراعاة أقوال الكَتَبة أكثر من حرصك على أقوال التوراة، لأن أحكام التوراة تحوي الأوامر والنواهي، أما شرائع الكَتَبة فإن من ينتهك واحدة منها يجلب لنفسه الموت".

(١) راجع فضح التلمود للأب برانايتس.

وفى سفر "عافوده زاره"أي: (عباده الأوثان) ٣٥ أ، ص ١٦٩ نجد الرابي ديمي يعلق على عبارة نشيد الأنشاد ١: ٢"لأن حبك أطيب من الخمر" بقوله: "إن جميع بني إسرائيل خاطب الواحد القدوس، تبارك اسمه بما يلى:

"يا سيد الكون، إن كلمات أحبائك أعزب لدىّ من خمر التوراة": (أي: إن الشروحات الشفهية للحكماء والربانيين هي أثمن من كلمات التوراة المكتوبة، لأن الشريعة الشفهية تكملة للمكتوبة وتتمة لها).

وهذه الأقوال المأثورة عن علماء التلمود هي غيض من فيض، وعلى هذا نجد المؤرخ اليهودي الألمانى ها ينربخ غريتس يقول ما خلاصته: "فإن التلمود هو مربى الأمة اليهودية ومُعلِّمها".

وهناك شهادة ما يروا كسمان في كتابه عن تاريخ الأدب اليهودي، حيث يصف تأثير التلمود في الحياة اليهودية فيقول: "لقد أصبح التلمود كتاب اليهودي، وتُقدّم دراسته في كثير من الأحيان على دراسة التوراة[١].

ويقول الدكتور روهلنج:

ويعتبر اليهود التلمود من قديم الزمان كتابًا منزلاً مثل التوراة ما عدا بعض المعاندين[٢]، فإنه لا يعتقد ذلك بالطبع، ولكن إذا أمعن الإنسان نظرة في اعتقاداتهم يتحقق أنهم يعتبرونه أعظم من التوراة (لأنهم يعتبرون أن كَتَبة التلمود من المعصومين، وأن كل ما قالوه يعتبر كأقوال إلهية)[٣].

وقد جاء فى كتاب (شاغيجا). أي: (أعياد وطقوس اليهود)

---

(١) بتصرف من: التلمود والصهيونية لأسعد رزوق.صـ ١٨٥/١٨٧

(٢) ووصف المعاندين هنا بحسب رؤية اليهود له، وإلا فهؤلاء هم المتنورين والمتفقهون الذين يعلمون حقيقة التلمود، وأنه مجرد كتابات بشرية غير معصومة.

(٣) بتصرف من الكنز المرصود في قواعد التلمود للدكتور روهلنج الفصل الثانى.

"من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت، دون من احتقر أقوال التوراة، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى".

وقد جاء في كتاب يهودي اسمه (كرافت) مطبوع فى سنة ١٥٠٩م:

"(اعلم أن أقوال الحاخامات من أقوال الأنبياء) وزيادة على ذلك يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة لأن أقوالهم هي قول الله الحي، فإذا قال لك الحاخام إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدِّق قوله، ولا تجادله فما بالك إذا قال لك إن اليمنى هي اليمنى واليسرى هي اليسرى".

وقد جاءت العبارات الآتية في التلمود -كما يقول د. روهلنج: (من يجادل حاخامة أو معلمة فقد أخطأ وكأنه جادل العزة الإلهية).

وقال الحاخام "مناحم" فى أقوال الحاخام المتناقضة لبعضها (إنها كلام الله، مهما وجد فيها من التناقض، فمن لم يعتبرها، أو قال إنها ليست أقوال الله فقد أخطأ في حقه تعالى).

وذُكر في كثير من كتب اليهود:

(إن أقوال الحاخامات المتناقضة لبعضها منُزَّلة من السماء ومن يحتقرها فمثواه جهنم وبئس المصير).

وجاء في التلمود :

(إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله!! وقد وقع يومًا الاختلاف بين البارئ تعالى وبين علماء اليهود في مسألة فبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الرابيين، واضطر الله أن يعترف بغلطة بعد حكم الحاخام المذكور)[1]

(١) عن الكنز المرصود فى قواعد التلمود للدكتور روهانج.

تعالى الله عما يقوله كفار يهود من حاخامتهم بل وعوامهم الذين يصدقون هذا التخريف وهذا الهُراء علوًّا كبيرًا، بل (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا، ولعنة الله تعالى الأبدية على الكاذبين.

نستخلص مما قدمناه أن تعاليم التلمود عند اليهود مُقدَّمة على تعاليم التوراة ودراسته أهم من دراسة التوراة، فهيا بنا عزيزي القارئ لنتعرف على نُبذ من تعاليم وتطرف هذا الكتاب والذي نقلها لنا بعض من اطلعوا على هذا السفر الغامض أمثال د. روهلنج والأب براناتيس والدكتور أسعد زروق.

التطاول على الذات الإلهية:

والله-عز وجل- كما يصفه التلمود إله متصف صراحة بصفات البشر، فهو يحب ويبغض ويغضب ويبكي ويحس بوخز الضمير ويلبس التمائم، ويجلس على عرش يحيط به طائفة من الملائكة المختلفي الدرجات يقومون على خدمته، ويدرس التوراة ثلاث مرات فى كل يوم. (تعالى الله عن كل ذلك علوًا كبيرًا)

ويعترف رجال الدين بان هذه الصفات البشرية قائمة على الافتراض إلى حد ما، ويقولون: "إننا نستعير له صفات من خلقه نصفه بها لنُيسر بذلك فهمه"، إذا لم يكن فى مقدور العامة أن يفكروا إلا على أساس الصور المادية فليس الذنب واقفا عليهم، وهم يصورون الله أيضًا بأنه روح الكون غير المنظور، السارية فيه كله، حالّة فى كل ركن من أركانه وكل جزء من أجزائه، والحضرة الإلهية، الكونية المسماة بالسُكينا (السَّكن) تكون حقيقية بنوع خاص الأشخاص المقدسين وفى الأماكن والأشياء المقدسة.. وفى السدر الأول من التلمود والمسمى بزراعيم (أي: البذور) فى سفر "براخوت" (بركات) القول المنسوب إلى الرابي اسحق بن صموئيل "باسم الراب": (الليل له هزع ثلاثة (جمع هزيع)، وفي كل هزيع يجلس القدوس تبارك اسمه ويزأر كالأسد ثم يقول: ويل للأبناء الذين بسبب معاصيهم هدمت بيتى وأحرقت هيكلي وقمت بنفيهم وتشتيتهم بين أمم العالم... وفي موضع

آخر من هذا السفر يقول أحد الحاخامات (كنت أمشي ذات يوم فى خراب بيت المقدس، فوجدت الله تعالى فى تلك الخرب يبكى وتئن كما يئن الحمامة..)[1].

تعالى الله عز وجل عما يقول هؤلاء الأفاكون علوًا كبيراً وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا.

نظرية الاستعلاء في التلمود:

في السدر الثانى والمسمى بسدر موعيد: (الأعياد والمواسم).

نقرأ فى سفر السبت:

"لو جاء أسمي[2] بمزامير من القصب أثناء السبت، فلا يجوز العزف بها للنواح على إسرائيلى فى جنازته، إلا متى كانت مستقدمة من مكان قريب"، ولو وضع الأسمى تابوتا لنفسه أو حفر قبرًا، يجوز دفن الإسرائيلى فى التابوت أو القبر، أما إذا صنعهما لأجل الإسرائيلي فلا يجوز ذلك أبدًا.

أما اليهودي المسافر إذا هبط عليه ظلام السبت فيُسمح له بإيداع نقوده لدى الأسمي متى كان ثالثهما حمار: "وفيما يتعلق بالحمار، أنت ملتزم بتأمين راحته أما الأسمى فلا يقع عليك أي إلزام لضمان راحته)[3].

ومن تعاليم التلمود لليهود:

إذا دخلت قرية ووجدت أهلها يحتفلون بعيد، عليك التظاهر بمشاركتهم الابتهاج العظيم لكي تكتم بغضاءك، مع ذلك فإن على أولئك الذين يهمهم أمر إنقاذ أرواحهم (من الخطيئة) أن ينأوا بأنفسهم عن مثل هذه الاحتفالات، وليكن معلوما لديك أنه بشىء بغيض أن تشاركهم الابتهاج، وإذا فعلت ما أمرت به (أي: أظهرت بغضك للاحتفالات) فلا تُعرِّض نفسك لعداوتهم.

---

(١) راجع قصة الحضارة ديورانت ١٨/١٤ - والتلمود والصهيونية لدكتور أسعد رزوق.

(٢) يطلق لفظ أسمي وغوى أو غوييم على غير اليهود.

(٣) راجع التلمود والصهيونية.

- (إن حياة الغوي "الغويم" وجميع قواه الجسدية هي ملك لليهودي).

- (مذهبنا على النحو التالى: حين يدخل يهودي وغويّ إلى محكمة ما، بريء اليهودي، إن استطعت وفقًا لقوانين إسرائيل، أما إذا ربح الغوي الدعوي، قل له أن هذا ما تفرضه قوانينا، مع ذلك، فإذا كان بالإمكان تبرئة اليهودي، وفقًا لقانون الأغيار، فبرئه وقل له إن هذا مطابق لقوانينا، إذ لم يكن ذلك ممكنا، فواصل سيرك فى الدعوى على نحو مطرد، فظًا غليظ القلب ضد الغوي، حسب نصيحة الرابى اشمائيل).

- (إن رأيت مهرطِقًا، لا يؤمن بالتوراة، ساقطًا فى قاع بئر وقُرية سلّم سارع إلى هذا السلم وأبعده، وقل للمهرطق: عليّ أن أذهب به إلى إبني لأساعده على النزول من سطح البيت، وسأعود بالسلم إليك بسرعة، أو تخلَّص منه بطريقة أخرى).

ومن تعاليم التلمود أيضًا:

- كل من يسفك دم شخص غير تقي (غير يهودي) عمله مقبول عند الله تعالى كمن يقدّم قربانًا إليه.

- يشرح زوهار أمر موسى الخاص بتحرير أول مولود حمار مقابل قربان ذبح حمل، فيقول:

(المراد بالحمار كل من هو غير يهودي، الذي افتدى بذبح حمل، وهو من خراف اسرائيل المشتتة، لكن إذا رفض (غير اليهودي) أن يفتدي به اكسر جمجمته عندئذ... يجب إزالتهم من سجل الأحياء، لأنه قيل عنهم: من يأثم ضدي، سأزيله من سجل الحياة).

-(خلقهم الله فى أشكال آدمية لتمجيد إسرائيل إلا أن الآكوم (غير اليهود) خُلقوا لغاية وحيدة هي لخدمتهم (لخدمة بني إسرائيل) ليل نهار، وهم لا يستطيعون

التخلص من هذه الخدمة ومن اللائق أن يقوم على خدمة ابن ملك (إسرائيل) حيوانات بأشكال طبيعية، فالحيوانات الكائنة بأشكال إنسانية عليها أن تخدمه[1].

هذا غيض من فيض من تعاليم التلمود المتطرفة.

والتلمود المعتمد لديهم وهو التملود البابلي ينقسم إلى ستة "سداريم" جمع "سدر" والسدر يضم عددًا كبيرًا من الأسفار أو المقالات وكل سفر ينقسم إلى فصول أو إصحاحات وهذه السداريم مقسمة على النحو التالي:

١ - السدر الأول: سدر "زراعيم" (البذور).

ويندرج تحته أحد عشر سفرًا وهم: "براخوات" (البركات)- "فعاه" (زوايا الحقل) - "ذماى" (المشكوك بأمره من المحاصيل)-"كيلعايم" (المخاليط أو الاختلاط)- "شبيعيت" (السنة السابعة أو السبتية)-"ترومونت" (التقدمات، الرفائع)-"معاشوت" (العشار)-"معاشر ثانى" (العشار الثانى)-"حلآه" (أول العجم)-"الفرله" (بلاختان، الخلفاء)-"البكوريم (البواكر، البواكير).

٢ - السدر الثانى: "سدر موعيد" (الأعياد والمواسم):

ويندرج تحته اثنا عشر سفرًا وهي:

"السبت"-"عيروبين" (جمع "عيروب" أي: المقادير)-"فصاحية" (الفصوح أو خراف الفصح)- "شقاليم" (الشواقل جمع شاقل)-"يوما" (اليوم)- "سوكاه" (المظلة أو خيمة الاجتماع)-"بيظاه" (بيضة العيد) "روش ها شنه" (رأس السنة العبرية- "تعانيد (الصوم)- "مجيللا" (لفافة التوراة)- "موعيد قطان" (العيد الصغير) - "حجيجا" (تقدمات الأعياد - أي :القرابين).

---

(١)راجع فضح التلمود-تعاليم الحاخامين السرية للأب أي. بي. براناتيس إعداد زهدي الفاتح - دار النفائس.

٣ - السدر الثالث: "سدر ناشيم" (النساء) ويندرج تحته سبعة أسفار وهى:

"ياموت" (الأخوات الشرعيات -أو زواج اللاديين) - "كتوبوت" (شؤون الزواج والعقود)-"نذاريم" (النذور) -"النظير"(النذير أو الناذر)-"سوطاه" (المرأة المشبوهة)-"غطين" (كتب الطلاق-وثائق الطلاق) "فيوشين" (التكريس أي الشعائر والفرائض المتصلة بالخطوبة والزواج).

٤ - السدر الرابع "سدر نزيكين" (الأضرار)

ويندرج تحته عشرة أسفار وهى:

"بابا كاما"(الباب الأول ويتناول أحكام الأضرار اللاحقة بالأملاك)، وفي هذا الباب نقرأ: إذا نطح ثور الإسرائيلى ثورًا يملكه رجل كنعانى (فلسطيني) فلا يلتزم صاحب الثور اليهودي بشىء، أما إذا كان الثور الكنعانى هو البادىء بالنطح، فعلى صاحبه أن يتكفل بالتعويض الكامل عن كل عطل وضرر، "بابا متزيا" (الباب الأوسط" ويتبين الأحكام المتعلقة بالأشياء المفقودة التى يتم التقاطها أو العثور عليها ولا يخفى بأن هذا السفر كان موضع اهتمام الذين حاولوا إرجاع "الأخلاق اليهودية" إلى تعاليم التلمود، فهو ملىء بالأحكام التى تُميِّز بين اليهودي والأممي على نحو لا يختلف كثيرًا عن مناطحة الثيران -"بابا بترا" (الباب الثالث - ويعالج هذا السفر القوانيين المتعلقة بتقسيم أملاك الشراكة والعقارات) - "سنهدرين" (المحاكم القضائية)- "ماكوت" (الجلدات ويتحدث هذا السفر عن اليمين الكاذبة والحنث باليمين وشهادة الزور هذا بالإضافة إلى الآثام المُركّبة وعقوبتها (الجلد بالسياط- "شيوعوث" (القسم أو اليمين) - "عدويوت (الشهادات)- "عايودا زاره" (عبادة الأصنام)- "أيوت" (سفر الآباء) -"حورايوت" (الأحكام أو القرارات).

٥ - السدر الخامس: سدر قداشيم (المقدسات).

ويندرج تحته إحدى عشر وهى:

"ذباحيم" (الذبائح) - "مناحوت"(تقدمات اللحوم والشراب)-"حولين" (الدنيويات).

ويتضمن هذا السفر مواصفات ذبح الحيوانات والطيور للاستهلاك العادى- "بكوروت"(الباكورة ويتناول القوانين المتعلقة بالمواليد البكر من الحيوان والإنسان)-"عراكين" (التقديرات ويتضمن هذا السفر قواعد تحديد الكمية التي ينبغي تقديمها وفاء لنذر ما الى الهيكل)-"تموراه"(الأبدال أو البدل ويتناول قواعد إبدال القرّابين وتغييرها-الجيد بالردىء)-"كريتوت" (الرسوم الجزئية ويعالج الآثام والأخطاء التى تخضع لعقاب "القطع") -"معيلاه" (الإثم والخطيئة)- "تاميد" (التضحية اليومية أو المستمرة)-"ميدوت" (المقاييس والأبعاد أي: الهيكل ومواصفاته)-"قنيم" (الأعشاش).

٦ - السدر السادس "سدر طهروت" التطهيرات ويندرج تحته اثنا عشر سفر وهى:

"كليم"(الأواني والأوعية)-"أوحولوت"(الخيام)- "نجاعيم"(البرص والطواعين والأوبئة)-"فاراه" (العجلة الحمراء - البقرة الحمراء)- "طوهورت" (تطهيرات ويعالج أحكام النجاسة في الأطعمة والأشربة)-"مكفاعوت" (الآبار والخزانات)- "نداه" (الحائض ولاحيض)-"ماكشيرين" (الاستعدادات ويتناول الظروف التي تصبح الأطعمة بموجبها قابلة للنجاسة أو عرضة للتنجيس)-"زابيم" (الزاب، السيلان)-"تبول يوم" (الغسل اليومى)-"يداييم" (اليدان وتطهيرهما)- "عقصين"(سويقات الثمار وقشورها).

مقتطفات من تطرف التلمود من الكنز المرصود.

١ - "يقتل الوثني إذا ضرب اسرائيليًا، لأنه يكون قد ضرب القدره الإلهية، ولذلك قتل موسى مصريا لأنه ضرب يهوديًا".

(سنهدرين ص/٥٨ وقد صادق الحاخام يعقوب العنتابى على هذا التعريب)[١].

٢ - "كل من كان خارجا عن الديانة اليهودية يسمى (ولد نوح) لأن بني إسرائيل انفصلوا عن هؤلاء القوم، وآمنوا بالله من وقت ظهور إبراهيم لغاية إسرائيل، ويقتل الأممى من أولاد نوح على يد ديان واحد، وشهادة شاهد واحد، ولو كان قريبًا له..."

ويقتل أيضًا إذا ضرب امرأة حاملا وقتل حملها.. وأما الإسرائيلى فلا يقتل لذلك، بل يدفع دية الولد، ولا يُقتل أيضًا فى الأحوال التي توجب القتل إلا على يد عشرين ديانا وشاهدين.

(سنهدرين ص/٥٧).

٣ - "إذا سب اسم الجلالة أحد من أولاد نوح، ثم دخل فى دين اليهود عوفي من القتل وكذلك الأمر بالنسبة لمن قتل آخر، أو زنى بامرأة من طائفتة... وأما من قتل يهوديًا أو زنى بامرأة يهودية فيستحق الموت بدون رحمة".

(سنهدرين ص/٧١).

٤ - "ولا يجوز ربط بهائم بني اسرائيل فى خان أممى خشية أن يفتعل بها، لأن الأمم الخارجين عن اليهود فساق يحبون الفسق بالحيوانات أكثر من نسائهم!! وهم فُتّاك طبعهم الرداءة والخيانة من وقت اجتماع حواء بإبليس عندما اتخذ صورة حية وقد كان بنو اسرائيل كذلك لولا تغير أطوارهم بالحسنات من حين وقوفهم على طور سيناء، وبناء على ذلك ممنوع جلوس المرأة اليهودية مع الأجانب وممنوع ذلك لليهودي أيضا مخافة أن يقتل".

---

(١) عن الكنز المرصود فى قواعد التلمود.

(عابوره زاده ص/٢٢ وصادق على ذلك الحاخام يعقوب العنتابى)

٥ - "على اليهودي إن صادف أمميا على جنبه سيف أن يجعله يسير على يمينه، وإذا كان حاملا عصا فعلى شماله حتى إذا سحب السيف على اليهودي تمكن من إمساك يده وإذا كان فى مرتقى أو منحدر يبقى اليهودي أمام الأمي، ولا يحنى رأسه لئلا يقتله الأمي فإذا سأله عن محل ذهابه فليطل عليه الطريق لكي يتهامل الأمي في قتله، ويتمكن هو من الفرار والخلاص".

(عابوره زاده... ص/٢٩)

٦ - (يتنجس اليهودي إذا لمس القبور طبقًا للتوراة ولكن الغرض من ذلك قبور اليهود، أما ما عداهم من الأمم فليست قبورهم نجسة، لأنهم معدودون من البهائم لا من أبناء آدم).

(يباموت البند/٦)[1].

٧ - محرم على اليهودي أن يُنجّي أحد من بقية الأمم من البئر التى يكون وقع فيها، وعلى الطبيب اليهودي أن لا يداوي أميا مطلقا ولو بالأجرة إلا إذا أراد ضرره، أو الانتفاع بأمواله، فإذا كان مبتدئًا في هذا الفن فاليتعلم بمداواة باقى الأمم، ويجوز إجراءات المعالجة مجانا في هذه الحالة).

عن كتاب "الطريورود" وهو كتاب ألفه الربانى اليهودى يعقوب، وهو أحد أئمة اليهود، وآراؤه معتبرة فى المسائل الدينية - البند/١٥٨ من الكتاب[1].

٨ - وقال عالمهم الرباني موسى بن ميمون في شرحه المسمى (مشنَّى) بعدما ذكر لتمهيد مقاتله ثورين أحدهما يهودي والآخر لمصري:

---

(١) راجع الكنز المرصود في قواعد التلمود الصادر عن مركز الشرق العربى.

(إذا جاء مصرى وإسرائيلى أمامك بدعوة ما، فانظر منهما لصالح الإسرئيلى، فإذا وافقت المصلحة شريعتنا فقل للمصرى هكذا تقضي شريعتنا، وإذا وافقت شريعته فقل له تقضي شريعتك بذلك، ولا يلزم الاستغراب من هذا الأمر، لأن الشعوب الذين لم يحافظوا على الوصايا (أي: من غير اليهود) خارجون عن الإنسانية ومخلوقون لخدمة ومنفعة الجنس البشرى أي :اليهود).

٩ - "يجب على اليهودي أن لا يسلم على الأميين إلا خوفا من الضرر والعداوة مرة واحدة-وقد اعتُرض على المؤلف في هذا الموضع أن بعض العلماء يحيون الأميين بالسام فاجاب: إنهم يُضمورن السلام لذاتهم، والمعلم الذي علمهم التوراة".

(التلمود-سفر خاتنين ص٦٢- وقد وافق الحاخام يعقوب العنتابى على هذا التعريب).[٢]

ويقول التلمود أيضًا حول هذا الموضوع:

"مُصرَّح لليهودي إذا قابل أجنبيًّا أن يوجّه له السلام، ويقول له: (الله يساعدك أو يباركك) على شرط أن يستهزئ به سرًا ويعتقد أن لا يمكنه أن يفعل خيرًا أو شرًا، وكان الرابي (كهانا) تعوَّد أن يُسلم على الأجانب بقوله: (الله يساعدك) غير أن سلامه كان مُضمرًا لسيده أو لمعلمه وليس للأجنبي[٣].

روى الإمام البخارى عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: إن اليهود دخلوا على النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- فقالوا: "السَّامُ عليك" فلعنتهم فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ما لك؟ قلت: أوَ لم تسمع ما قالوا" قال: فلم تسمعي ما قلت: وعليكم".

وفى رواية مسلم:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المرجع السابق

(٣) الكنز المرصود فى قواعد التلمود، الكتاب الثالث (فساد الأداب) الفصل الأول: (القريب).

"قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: إن اليهود إذا سلَّموا عليكم يقول أحدهم السَّامُ عليكم. فقل: عليك[1] ". ومعنى: (السَّامُ) أي: الموت، وهذا دعاء من اليهود على من يلاقونه ويُلقون عليه السلام، وهذا عين تعاليم حاخامات وأحبار اليهود كتعاليم الرابي (كهانا) التى ذكرناها آنفًا، وبالتالي فهذه التعاليم ستنعكس على أتباع وقُرَّاء هذا الكتاب العنصري البغيض من اليهود فى كل وقت وحين وسوف نُفصِّل ذلك عند حديثنا عن سيطرة التلمود على الشخصية اليهودية وأثر تعاليمه على أتباعه.

هذه هي تعاليم وأحكام التلمود، وهذا وصف سريع وبشكل عام لما احتواه بين دفتيه من تعاليم وأحكام متطرفة، فالناحية التى تستأثر باهتمامنا الآن تمت بأوثق صلة إلى مصير التلمود بعد الانتهاء من جمعه وتدوينه، وإلى الأثر الذى أحدثه فى حياة اليهود (وهو ما يهمنا من هذا السرد والدور الذي لعبة في تكوينهم، حتى أن اليهودية، فى معتقداتها وإيمانها في شعائرها وطقوسها الدينية، لا بل فى أخلاقياتها وفضائلها (وإن لم يكن لها فضائل) وكل ما يتصل بحياة اليهود وتفكيرهم وأفعالهم باتت مُقترنة بالطابع التلمودي والرِّباني، ومنذ نهاية القرن السابع الميلادي أو مطلع القرن الثامن فصاعدًا يصبح الحديث لازمًا عن "اليهودية التلمودية" أو "الرِّبانية" كما يصح اعتبار التلمود بمثابة نقطة التحول الأبرز فى تاريخ اليهود، فقد أخذت هذه اليهودية التلمودية تعمل جادة على ترسيخ دعائمها وتوطيد تعاليمها، ولم يطل بها الوقت كثيرًا حتى أضحت تعاليم التلمود، هي المعايير السائدة والمقبولة في كل ما يتعلق بحياة اليهود وأعمالهم ونشاطهم الفكري.

وليس من قبيل المغالاة أو التعميم المتسرع أن نجد كبار المؤرخين المحدثيين، المؤرخون اليهود منهم قبل الأجانب يعتبرون التلمود بمثابة العامل الجوهري في التاريخ اليهودي- (والعامل الأساسي فى بناء الشخصية اليهودية) بل هو مربِّى اليهود ومعلمهم الأكبر.

---

(١) رواه البخاري فى الجهاد والسير/ ٢٧١٨، ومسلم فى السلام (٤٠٢٦).

لقد كانت تعاليم التلمود هي المتنفس الذي يتنفس به اليهود في شتاتهم، ففي عالمه شعروا أنهم يقيمون فى بيتهم، يسكنونه ويتحركون بداخله، وكانت الأحداث بالنسبة للأمة اليهودية أشبه بالأمور التافهة وبالقشور، لا بل مجرد وهم زائف، أما الواقع الحقيقى والأوحد فكان التلمود، والحقيقة الجديدة في نظرهم لم تكسب طابع الإثبات واليقينية إلا عندما كانت تبدو بمنظار التلمود ومعياره ومن خلال تكهناته وتنبؤاته حتى أن المعرفة بالتوراة، وهى التاريخ الأقدم لعنصرهم، وبأقوال النار والبلسم التي تفوّه بها أنبياؤهم والمزامير التي فاضت بها نفوس منشديهم- هذه كلها لم تُعرف لديهم- إلا عن طريق التلمود وفي ضوء تعليمه[1].

وبعد هذا السرد ننتقل إلى أثر تعاليم التلمود على الشخصية الإسرائيلية ومدى تغلغل هذه التعاليم في النفسية اليهودية وبالتالي سيتضح لنا أن الشخصية اليهودية متطرفة بطبعها والتطرف أصل راسخ فى جذور هذه النوعية من البشر.

---

(١) بتصرف من التلمود والصهيونية للدكتور أسعد رزوق وراجع أيضاً الكنز المرصود فى قواعد التلمود.

سيطرة التلمود على الشخصية اليهودية

تقول الموسوعة اليهودية:

"إبان انحطاط الحياة الفكرية لدى اليهود، وهو الانحطاط الذي بدأ في القرن السادس عشر الميلادي، نظرت أكثريتهم الساحقة إلى التلمود وكأنه السلطة العليا... حتى إن التوراة أنزلت إلى مرتبة ثانوية، والمعاهد اليهودية نذرت نفسها لدراسة التلمود دون منازع، لدرجة أصبح "الدرس" معها مرادفًا لدراسة التلمود"

يقول أحد المؤرخين اليهود[1] عن التلمود البابلى:

"كان ذلك الأثير الذي صانهم من الفساد، وتلك القوة الدائبة التي تغلبت على الخمول وتبلد الملكات العقلية، لابل ذلك النبع الأول الذى أبقى الذهن دائم التوسع والنشاط وبكلمة واحدة، فإن التلمود هو مربي الأمة اليهودية ومُعلِّمها".

أما هذه التربية التلمودية فلم تكن تربية سيئة أبدًا -على حد قوله- لأنها أثمرت أحدث النتائج وأفضلها، فالتلمود هو صاحب الفضل الأول في تحقيق الإنجازات التالية:

أولاً: لقد أنمى التلمود وتعاليمه لدى اليهود درجة من الأخلاق لا يستطيع الأعداء إنكارها عليهم، وذلك رغم التأثير المزعج لكل من العزلة والإهانة والإضعاف المنظم للمعنويات.

ثانياً: صان الحياة الدينية والأخلاقية فى اليهودية وأسهم فى ترقيتها ورفع مستواها.

---

(١) هو المؤرخ اليهودي الألمانى هاينرنج غريتس.

ثالثاً: كان بمثابة الراية التى التفت حولها الجاليات اليهودية المنتشرة فى مشارق الأرض ومغاربها، وصانت اليهود من الإنشقاق والانقسامات الطائفية[١].

رابعاً: أسهم التلمود في تصريف الأجيال اللاحقة إلى تاريخ الآباء والأجداد.

خامساً: أنتج التلمود حياة فكرية عميقة الغور، بحيث حافظت تلك الحياة على اليهود المضطهدين والمحرومين من الجمود والركود، وأنارت لهم شعلة العلم.

إن كلمات هذا المؤرخ ليست فريدة من نوعها، فهناك شبة إجماع لدى المصادر اليهودية على تكرار هذه الأحكام والتقييمات[٢].

لقد كان التلمود على حد قول (هينى) وطنًا متنقلاً لليهود يحملونه معهم أينما ساروا، فحينما وُجد اليهود، حتى وهم جالية واجفة فى أرض الغربة، كان فى وسعهم أن يضعوا أنفسهم مرة أخرى فى عالمهم، وأن يعيشوا مع أنبيائهم وأحبارهم، وذلك بأن يرووا عقولهم وقلوبهم من فيض الشريعة، فلا غرابة والحالة هذه إذا أحبوا هذا الكتاب الذي نراه نحن أكثر تنوعًا واختلافًا مما كتبه مائة كاتب أمثال "منانى" ولم يكلفهم مد الاحتفاظ بالكتاب كله، بل احتفظوا بأجزاء صغيرة منه بحب يصل إلى درجة الجنون، وكانوا يتبادلون قراءة نتف من هذا المخطوط الضخم، وأنفقوا فى القرون المتأخرة أموالاً طائلة لطبعة كاملاً، وبكوا حين كانت الملوك والبابوات، والمجالس النيابية تحرم تلاوته أو تصادره، أو تحرقه، وابتهجوا حين رأوا روشلين، وإرزمس، يُدافعا عنه وعدُّوه في أيامنا هذه أثمن ما تمتلكه معابدهم وبيوتهم واتخذوه ملجأ وسلوى، وسجناً للروح اليهودية[٣].

ولذلك يقول إسرائيل إبراهامز :

"بقي اليهودي بسبب التلمود، بينما بقي التلمود فى اليهودي"

---

(١) وهذا كذب صراح فانشقاقات اليهود فيما بينهم على أشدها وقد صدق فيهم قول ربنا سبحانه وتعالى "تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى(الحشر -١٤)" والمتابع لأحداث إسرائيل الداخلية يعرف ذلك.

(٢) التلمود والصهيونية للدكتور أسعد رزوق.

(٣) قصة الحضارة ١٤/ ٤٠ ديورانت.

وهذا مؤرخ آخر يتحدث عن التلمود باعتباره عنصر الجمع والتوحيد بين اليهود والقوة التى أسهمت فى بقائهم على قيد الحياة، إذ يقول:

"وهكذا فإن التلمود قام بدور عنصر التوحيد بين اليهود... وضع المواصفات الأساسية لحياتهم، وأسهم فى تماسكهم وجمعهم سوية على صعيد العمل والفكر حتى أنه وحدهم في اللغة لأن الكتابات اليهودية المتأخرة، سواء كان ذلك في الكتب أو على صعيد المراسلات الخاصة، استعملت لغة التلمود عباراته أما المناقشات الشرعية فى التلمود فلم تكن وحدها فى ممارسة التأثير على اليهود فالقصص والحكايات الرمزية والأمثلة والأقوال المأثورة- وهى الموزعة على سياق المناقشات- لعبت دوراً مماثلاً من حيث الأهمية القصوى فى تكوين الخلق اليهودي... إن التلمود كان قوة فاعلة فى بقاء الشعب اليهودى على قيد الحياة[١]".

ويقول الدكتور: (فابيان): "إن الحياة اليهودية، حتى هذا اليوم، مؤسسة إلى حدٍّ كبير، على التعاليم والأسس التلمودية، فطقوسنا وكتاب صلاتنا واحتفالاتنا، وقوانين زواجنا بالإضافة إلى قوانين وأسس أخرى مستخرجة مباشرة من التلمود، والتلمود هو الذى تُعزى إليه الصفات التى يتميَّز بها اليهودي، فالاتزان فى الشخصية والتصدق ونزعته إلى الحرية الإجتماعية وعلاقته العائلية الوطيدة وتعطشه للتعليم وإمكانياته العقلية كلها ترجع إلى التلمود والحياة اليهودية قد أَثَّرت بهذا الكتاب؟.

هكذا لعب التلمود فى عقول وأذهان اليهود بحيث أصبح متنفسًا لتطلعات اليهود الفكرية، وكما يصف الحاخام ابشتاين ويقول عن التلمود: "فى أوقات الشدة والخطر كان التلمود يقدم لليهودي ملاذًا روحيًا ينشد فيه الهدوء، نوعًا من "أرض الأحلام" التى يعتكف فيها دومًا فيتناسي العالم الخارجى بكل ما فيه من كراهية وخبث وفظاظة وعذابات... إن الأجيال تلو الأجيال فى انكبابها على صفحات التلمود، وجدت فيه إشباعًا لتوقها الدينى، مثلما وجدت متنفسًا لأسمى تطلعاتها الفكرية[٢].

---

(١) المؤرخ اليهودي سلومدن جرايزيل... راجع التلمود والصهيونية.

(٢) المصدر السابق.

هذا هو التلمود الذي ألفه وكَتَب حواشيه بعض الأحبار والحاخامات الذين تأثروا به أيما تأثر فطفحت كتاباتهم بما حوت صدورهم وأشربت قلوبهم من كبت وحقد وذل وإنكسار وحياة التشتت والتشرذم التى كانوا يحيونها، فانعكست هذه الكتابات على النفسية اليهودية، فنجد أن هذه النفسية قد تشبعت باخلاق كُتّاب التوراة والتلمود، وتخلقت بأخلاقهم، وهذه الأقوال والشهادات التي سقناها من مؤرخي اليهود تثبت صحة كلامنا، وتسلط الضوء على تأثير التلمود المباشر والصريح على حياة اليهود عمومًا... ولكنها فى الوقت نفسه تتجنب، على ما يبدو أي إشارة من شأنها أن تُبيِّن لنا بصورة مباشرة وصريحة شيئًا يسيراً على النواحي المظلمة فى تسلط التلمود وطغيانه الجائر على الحياة اليهودية طوال القرون الماضية، ومدى تأثر الشخصية اليهودية بعداء التلمود للجوييم -أي: غير اليهود ونظرية الاستعلاء والتفوق التى هي أصل من أصول اعتقاد اليهود المعاصرين[1] كذلك تأثر الشخصية الإسرائيلية خاصة اليهودية -عامة- بعقيدة المسيا أو ما يسمى بالمسيح المنتظر وهو اعتقاد راسخ في أذهان مؤسسى الدولة اليهودية أو ما يُطلق عليهم بالعلمانيين!!

ولي وقفة عند لفظة "العلمانية" التى يطلقها البعض على مؤسسى حركة الصهيونية أو على بعض الأحزاب اليهودية، وقبل الخوض عن مفهوم ودلالة معنى العلمانية عند اليهود لابد أن نُفرِّق بين مفهوم هذه الكلمة فى ذهن القارئ العربى ومفهوم العلمانية اليهودية فمفهوم كلمة العلمانية عند أبناء جلدتنا تعني: "اللادينية" أو بالمفهوم الغربى المسيحى الدين لله والوطن للجميع أو بمعنى آخر لا دخل للدين فى الشئون السياسية أو لا دخل للدين فى شؤون الدولة... والعرب من أبناء جلدتنا الذين تبنوا هذا الفكر إنما استقوه من المفهوم الغربى عندما كانت الكنيسة هي الميهمنة على شؤون الدولة وعندما قامت الثورات فى أوربا انتزعت من الكنيسة هذه الهيمنة وأصبح دور الكنائس لا يتعدى الوعظ والإرشاد وأصبحت هى الحَكَم فى أيدي حكام فصلوا الدين عن الدولة.

(١) راجع ملحق "رابين وتوراته"، وفي سفر "مناحوت" من التلمود يتساءل الرابي يشوع بن لاوي بدوره "لماذا تُشبه إسرائيل بشجرة الزيتون؟" ويجيب: "لكى تعلم بأنه مثلما أن شجرة الزيتون لا تفقد أوراقها فى الصيف أو فى الشتاء، فكذلك بنو إسرائيل لن يضيعوا فى هذا العالم أو فى العالم الآتى.

إذن ففكرة العلمانية غربية بحتة تناقلها من آمنوا بها إلى الدول العربية وأرادوا أن يضعوها موضع التنفيذ ولكن هذه الفكرة تصدى لها الكثيرون من الغيورين وأصبحت على المستوى الشعبى من الأفكار البالية واعتبروها دخيلة على الفكر الإسلامى ولازالت العلمانية تحارب على جميع المستويات الشعبية.

أما العلمانية بالمفهوم اليهودي فهي تختلف اختلافًا جذريًا عن مفهومها الغربى أو العربى..

فمؤسس الحركة الصهيونية تيودورهرتسل كان في حداثته يذهب بصحبة والده إلى المعبد الإصلاحى المجاور للمنزل بصورة منتظمة في السبوت (أي: جمع سبت) والأعياد، فقد قرأ قصة الخروج في التوراة وتركت في نفسه أعمق الأثر وأبعده.

وهناك إشارة أخرى مصدرها هرتسل بالذات، قبل وفاته بنصف سنة، فقد أفضى إلى أحد معارفه من الكُتّاب بأنه قرأ في الثانية عشرة من عمرة شيئًا من المسيا - الملك الذي ينتظره كثير من اليهود ويتطلعون إلى مجيئه على ظهر أتان، وبعد قراءاته عن المسيا بفترة وجيزة رأى هرتسل ذلك الحلم الذى ظهر له فيه المسيا، فوصفة على النحو التالي:

"ظهر لي المسيا - الملك على صورة شيخ مُسن في عظمته وجلاله فطوّقنى بذراعيه وحملنى بعيدًا على أجنحة الريح، والتقينا على واحدة من تلك الغيوم القزحية بصورة موسى، كانت ملامحه هي تلك الملامح التى عرفتها في حداثتى لدى تمثال مايكل أنجلو، والتفت المسيا إلى موسى مخاطبًا إياه بقوله: من أجل هذا الصبي كنت أصلي، لكنه خاطبني قائلاً: اذهب وأعلن لليهود بأني سوف آتي عمّا قريب لاجترح المعجزات العظيمة وأُسدي عظائم الأعمال لشعبي وللعالم كله"(١).

---

(١) راجع التلمود والصيهونية للدكتور أسعد رزوق.

وهرتسل صاحب مقولة "الصهيونية هي العودة إلى اليهودية قبل العودة إلى دولة اليهود، وقد استطاع هرتسل بفضل هذه الفقرة أن يحقق لنفسه مكانة داخل المعسكر المتدين الذي رحَّب برؤية الزعيم المندمج فى غير اليهودية" وهو يعود إلى شعبة ويمدّ ذراعه إلى الشريعة(١).

"إن علاقة هرتسل بالحاخامية هي علاقة احترام غير ملزم، وتشبه علاقة السلطات السياسية بالزعامة المسيحية الكهنوتية، وقد قام هرتسل بمثل هذه "اللفتة" حين أجلس الحاخامات فى الصف الأول داخل القاعة التي عقدت فيها جلسات المؤتمر الصهيونى محاولاً توفير حفاوة مظهرية لهم وليس أكثر من ذلك، وبرزت هذه العلاقة أيضًا فى القصة التى رواها رءوبين برينين (١٨٦٢-١٩٣٩م) عن المؤتمر الصهيونى الأول والتى جاء فيها: أقبل عدد من الحاخامات على هرتسل لسبرغورة، ولكن خرجوا من المقابلة مسرورين ومرتاحي البال، وعندما سُئِلوا عن سبب هذا السرور من جانبهم قالوا بأن هرتسل أبلغهم أنه لا يعتزم مراعاة التقاليد اليهودية، لماذا إذن هذا السرور؟ قالوا: إذا لم تكن لدى هرتسل الرغبة فى مراعاة التقاليد اليهودية، فإن هذا يعني أنه لا يريد أن ينظر إليه أحد على أنه المسيح المُخلِّص بل يريد أن ينظروا إليه على أساس أنه مجرد زعيم لحركة سياسية، وهدأت نفوس الحاخامات، وحتى لو كانت هذه مجرد قصة غامضة فإنها تعكس حجم الترقب الذي فَجَّره هرتسل، وتظهر مدى تقسيم الصلاة بين الدين والدولة وبالصورة التى فهمتها الزعامة الصهيونية والزعامة الدينية(٢).

إذن فالعلاقة بين الصهيونية السياسية والدين اليهودي علاقة حميمة وقبل قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ م وللدلالة على ذلك فإن أهم مغزى للتعاون السياسي بين المزراحي (العامل الشرقى) أو ما يُطلق عليهم في إسرائيل باليمين -والمباي

(١) راجع الصهيونية الدينية -مدخل تاريخي لأنينا شابيرا- ترجمة د. محمد محمود أبو غدير - نشر مركز الدراسات الشرقية- جامعة القاهرة.
(٢) المصدر السابق.

(حزب العمال) أو ما يطلق عليهم باليسار- برز فى مجال تسوية العلاقات مع الحاخامية الكبرى والتى ضمت فى إطارها الأطر المتفق عليها لتوفير الخدمات الدينية (المجلس الدينى ١٩٣٦م)وأدى العجز في التوصل إلى تسوية فى هذا المجال الحساس والهام حتى منتصف الثلاثينيات إلى بروز عدم الثقة المتبادلة بين المنتدبين (والذى يُطلق عليهم اليمين المتطرف) والعلمانيين (وهم حزب اليسار أو العمال) وكلها أسماء للاستهلاك المحلى، وبخاصة على مستوى العلاقات بين الزعامة الدينية وبين المؤسسة السياسية الصهيونية، وقد يبدو ظاهريًا أن التسوية مع الحاخامية الكبرى وتأسيس المجالس الدينية التابعة للطوائف قد تحققت بالذات فى فترة سيطرة (المباي) على اللجنة القومية وليس قبل ذلك، وحين سيطرت على هذا الحزب دوائر وشخصيات أقرب إلى الموروثات الدينية.

ورغم التناقضات التى كانت بين عنصري الزعامة اليهودية التقليدية إلا أنه جمعتهما منظومة قِيَم مشتركة والتزامات عامة تجاه الشريعة اليهودية كمعيار ملزم، وكان من أزمة ثقة بينها وبين الزعامة الحاخامية، ومن هنا وجدت الزعامة الحاخامية صعوبة فى ترك أمور الإدارة والاشراف المالي على الخدمات الدينية في أيدي أولئك الذين اعترفوا بعدم وجود أي ارتباط ملزم بينهم وبين الشريعة فخشى رجال الدين من أنه إذا لم يضمن عدم ارتباطهم بالزعامة العلمانية (حزب العمال - المباي) للطائفة فإن الأمر قد يؤدي إلى وضع لا يكون فيه رجال الدين أحرارًا فى إصدار أحكامهم الشرعية.

إذن فحزب العمال "اليسار" والأحزاب الدينية (اليمين متحالفان من قبل قيام الدولة على كيفية إدارة الدولة اليهودية ففى ١٩٤٧/٦/٩م التقى وفد من حزب أجودات إسرائيل (اليميني أي: -الدينى- مع ديفيد بن جوريون حيث طالب الوفد فى بداية هذا اللقاء بالحصول على ضمانات لتنقيذ المطالب الدينية كشرط لإنضمام الحركة إلى المطالبين بإقامة دولة يهودية، وقد رد بن جوريون على ذلك بصورة حاسمة بقولة ستقوم الجمعية الوطنية التشريعية بوضع دستور للدولة عند

إقامتها... وإلى أن يتم وضع الدستور لا يمكن إعطاء أي وعد مسبق فى أي شىء وعندئذ قدم الوفد طلبًا بديلًا يشمل:

(أ) عدم السماح بالزواج المدنى.

(ب) الحفاظ على يوم السبت.

(جـ) مراعاة الشريعة فى الطعام (كاشير).

(د) استقلال ذاتي فى مجال التعليم.

(هـ) حرية الضمير الدينى.

(وكلها تعاليم تلمودية).

وقد رد بن جوريون على ذلك بقولة يصعب تقديم ضمانات قبل أن تضع الجمعية التشريعية الدستور ولكنه سينقل هذا الأمر إلى إدارة الوكالة اليهودية.

(وكان بن جوريون يعتقد بأن غالبية النقاط لن تشكل أي مشكلة وأنه يمكن وضع القوانيين الشخصية وفق "التوراة" وأنه لن يكون هناك فرص التعليم العلمانى)[١].

هذا بن جوريون أول رئيس للدولة اليهودية وزعيم ما يسمى بحزب العمال - أو اليسار وبن جوريون القائل:

(من المستحيل أن نفهم كل شىء حصل فى أيامنا -اعادة الدولة اليهودية وهجرة عشرات الالآف من اليهود الذين ما سمعوا قط بأسماء "هس" "وينسكر" "وهرتسل" وربما لم يسمعوا أبدًا حتى بكلمة الصهيونية -دون أن نأخذ بعين الاعتبار رؤيا الخلاص المسيائي التى تنغرس في أعماق قلب الشعب اليهودى، ليس فقط منذ خراب الهيكل الثانى، بل ومنذ أيام الأنبياء الأوائل، إن لم يكن قبل الارتحال عن مصر.)[٢]

(١) المصدر السابق.
(٢) "إسرائيل والدياسبورا" الكتاب السنوي الحكومة إسرائيل ١٩٥٧- ابن جوريون.

وفي شهر تموز (يوليو) من عام ١٩٥٧م انعقد بمدينة القدس المحتلة ذلك "المؤتمر العقائدى" الذي أخذ بن جوريون زمام المبادرة في الدعوة إليه، وجاء كبار الحكماء اليهود من بلدان عديدة للبحث في المسائل العريضة والناشئة عن "وحدة الشعب اليهودى" واغتنم ابن جوريون فرصة افتتاحه للمؤتمر لكي يناشد جميع القطاعات اليهودية اعتبار عودة "بني إسرائيل" إلى فلسطين بمثابة حركة مسيائية تعمل على تحقيق رسالة الأنبياء العبرانيين- إن الأمل أو التوقع المسيائى فى نظره يؤلف جوهر إيمان إسرائيل، مثلما أنه منبع طاقتها البناءة وطافحة بالحيوية والنشاط، وهو أمل يتعدى في طابعة العام الناحية الدينية الخالصة.

لذا نجد بن جوريون يصبغ أفكاره في ذلك البيان التاريخي الذي صار يعرف بـ "قانون إيمان اليهودى" فيقول في صحيفة "الجير وسالم بوست" الصادرة في (١٩ تموز (يوليو) ١٩٥٧م ما يلى:

"إن ما ضمن بقاء الشعب اليهودي على مر الأجيال وأدى إلى خلق الدولة هو تلك الرؤيا المسيائية لدى أنبياء إسرائيل، رؤيا خلاص الشعب اليهودي والإنسانية جمعاء، إن دولة إسرائيل هي أداة لتحقيق هذه الرؤيا المسيائية".

ثم يقول: إن من يقصر عن إدارك رؤيا الخلاص المسيائي باعتبارها تؤلف الطابع المحوري لقراءة الشعب اليهودي، يفشل بالتالي في فهم الحقيقة المركزية للتاريخ اليهودي وحجر الزواية فى إيمان إسرائيل (المصدر نفسه/ص ١٧) أى أن إيمان اليهود برب الكون كان سيفقد معناه الفريد لو لم تغرس فيه تلك الرؤيا عن خلاص الشعب اليهودى، والتغيرات التاريخية أثرت في طابع هذه الرؤيا مثلما أثرت في التعبير عنها وفى شكلها، لكن نواتها الداخلية عن الرسالة المسيائية بقيت على حالها.

ففي أسفار التوراة وفي المشنا والمدراش، كما في الصلوات اليهودية والشعر العبرانى يتكرر هذان الباعثان: رؤيا الخلاص، وفكرة الشعب المختار (كما أوضحنا)، وليس قيام إسرائيل سوى "بدايات الخلاص"، إذ لولا أمل الخلاص المسيائى لدى اليهود وتعلقهم الشديد بوطنهم القديم لما كانت تقوم لدولة إسرائيل قائمة على الإطلاق.

هذا ما يقوله بن جوريون.

ثم يصل به المطاف إلى تقييم دور المنظمة الصهيونية على الصعيدين الثوري والتربوي في حياة اليهود، دون أن يفوته التوكيد على أن دولة إسرائيل هي:

"الأداة التاريخية" اليوم لخلاص الشعب اليهودي في وطنه والحفاظ على اليهود فيقول:

"إن فكرة العودة إلى صهيون وإحياء الدولة اليهودية ليست من اختراع بنسكر أو هرتسل فالرؤيا والأمل هما بعمر المنفى ذاته لا بل يرجعان إلى ما قبل خراب الهيكل الثانى، وجل ما فعلته الصهيونية السياسية هو محاولة إرساء هذه الفكرة القديمة بجذورها العميقة فى حياة الشعب على أساس الحاجات المادية لدى اليهود الأوربيين في القرن التاسع عشر، والبحث عن طرق عمل ناجحة لتحقيق الفكرة[1].

وبعد عزيزى القارىء هل يمكن أن نطلق على ديفيد بن جوريون أنه علمانى؟ أو يساري، وهل هذه هي العلمانية التي يعرفها كل دارس وباحث، والتي تُفرق بين الدين والدولة؟ أم أن مفهوم الدين والدولة لدى أول رئيس لدولة إسرائيل منبثق من عقيدة تلمودية راسخة في أذهان هؤلاء المؤسسين لدولة إسرائيل، وأن فكرة الصهيونية السياسية هي المرحلة الأولى لإنشاء وطن قومي يتجمع فيه يهود العالم من الشتات ثم تأتي مرحلة أخرى أكثر وضوحًا وإنسجامًا مع تعاليم التلمود المتطرفة.

وهذا ما قاله دانيال بن سيمون في كتابة "إسرائيل أخرى" وذلك هو العنوان الذي اختاره المؤلف موضوعًا لكتابة ليُفرّق بين إسرائيليتين.

إسرائيل الأولى أو القديمة التى أقامتها الصهيونية العلمانية اليسارية الليبرالية الاشتراكية الإشكتازية -على حد زعمه- على أرض فلسطين في عام ١٩٤٨م فمثله

(١) المصدر السابق -وراجع التلمود والصهيونية للدكتور أسعد رزوق.

في الأحزاب العمالية في شتى صورها وتطوراتها بدءا من حزب "الماباي" ثم "المابام" ثم(أحدوت هعفوداه) ثم المعراخ وانتهاءًا بحزب "العفوداه أو "العمل" بزعامة رئيس الحكومة الراحل يتسحاق رابين ثم خليفته شمعون بيريز، ثم إهود بارك ثم الزعيم الحالى لحزب العمال (عامير بيرتس) ثم عودة باراك مرة أخرى وقد ظلت هذه الأحزاب العمالية اليسارية تحكم إسرائيل "القديمة" منذ نشأتها وحتى عام ١٩٧٧م وهو العام الذي يُعرف في تاريخ الدولة العبرية بعام "الإنقلاب" في هذا العام مني حزب "المعراخ" (التجمع العمالى) بأول هزيمة فى انتخابات الكنيست العامة نتيجة لهزيمتة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م وتولى حزب الليكود (اليمينى) سيرة الحكم لأول مرة في تاريخه، وفي تاريخ الدولة العبرية أيضًا وفى انتخابات مايو ١٩٩٦م أطاحت الصهيونية الدينية اليمنية بـ"إسرائيل القديمة" التي أقامتها الصهيونية العلمانية اليسارية على حد زعمة لتقيم محلها "إسرائيل أخرى" جديدة هذا العام- عام ١٩٩٦- أيضا سوف يُعرف في تاريخ الدولة العبرية بعام الثورة الشعبية العارمة، فهو العام الذي انتقم فيه اليهود الشرقيون (سواء يهود الدول العربية أو شرق أوربا) القدامى والمحدثين من حزب العمل ويهوديّة الاشكناز الأغنياء المتعالين لأنهم على حد زعمهم -طمسوا هويتهم الدينية.

ويرى المؤلف أن انهيار الصهيونية اليسارية وسقوط حزب العمل -حامل لوائها- فى انتخابات مايو ١٩٩٦ م إنما هو نتيجة لإنهيار القاسم المشترك الذي كان يوجد بين مختلف طوائف وفئات المجتمع الإسرائيلي، هذا القاسم هو الإسرائيلية الجديدة تلك البوتقة التى أراد بها صهر كل اليهود بها دينيين وعلمانيين سفارد واشكناز، فقراء وأغنياء ليصبح اليهودي بعدها "إسرائيليًا جديدًا.

ثم يستطرد المؤلف: "وكما يوضح البروفيسور (يارون إزراحى) الأستاذ بالجامعة العبرية فإن اليهود لا يدخلون في صراع داخلي حينما يكونون في صراع مع العدو، إن الاستقطاب الذي حدث بالشعب يعتبر إخفاقًا من جانب زعماء حزب العمل، لقد صوَّت اليهود (للنتن ياهو) لكي يحد من وقع خُطَى حالة الاستقطاب التى

تتزايد يومًا بعد يوم، لقد أرادوا أن يقولوا بذلك أننا لا يمكن أن نسمح لوجود زعماء بيننا يدفعون ثمن السلام مع العرب بعملة التضامن الداخلي، ولذا فإن نتنياهو هو خير لليهود- وهذا هو مغزى ودلالة شعار "نتنياهو"... خير لليهود وغيره من الشعارات.

وبعد توقيع إتفاقية أوسلو بفترة قصيرة وقّع حوالي ٢٠٠ حاخامًا على فتوى شرعية تقول: "لا ينبغى بأي حال من الأحوال نقل أجزاء من أرض إسرائيل للأغراب"(١).

ثم جاء فى متن الفتوى "أن الكثيرين يتساءلون، هل تجيز التوراة التنازل عن أراض في مقابل سلام؟ وحسب رأينا -أي رأي المؤلف- وفي اعتقادنا فإن هذا السؤال وغيره ينطوي على تضليل متعمد فإذا كان هذا التساؤل صادقًا فإنه ينبغى تغيير صيغته ليصبح: هل من الجائز تعريض الشعب الذي يقيم في صهيون للخطر عن طريق نقل مستوطنات للغرباء والأجانب وللحصول فى المقابل (فى أفضل الأحوال) على قصاصة ورق؟ إن هناك فتوى شرعية فى المائدة المستديرة (كتاب وضعه حاخام يهودي فى العصور الوسطي يدعى الرمبام (وهو موسى بن ميمون) ضمَّنه كثيرًا من الأحكام والفتاوى الشرعية في قضايا فقهية تُضئ لنا الطريق وتبيَّن لنا كيف ينبغى أن نتصرف وفقا للتوراة والتلمود، وهذه الفتوى تقضى على عدم جواز نقل أجزاء من أرض إسرائيل إلى الأجانب والغرباء بأي حال من الأحوال."(٢)

لقد اعتبرت الصهيونية الدينية ومعها حركات ومعاهد تفريخ التطرف الديني توقيع حزب العمل على اتفاقية أوسلو وقبوله الانسحاب من الضفة الغربية نكوصًا وارتدادًا عن مبادىء الصهيونية وعلى رأسها الاستيطان، وتساءل الكثير أين يتسحاق رابين من يجال آلون نائب رئيس الحكومة فى حكومة ليفي أشكول فى

---

(١) راجع الملحق رقم (٣).

(٢) هكذا وبكل صلافة ينقلب أصحاب الأرض الحقيقيين إلى غرباء ويصبح المغتصب والمحتل هو صاحب الأرض "سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم" ولكن ماذا نقول؟ إنهم اليهود!!

عام ٦٨م (وكلاهما من حزب العمال اليساري-على حد زعم المؤلف) الذي يعتبر مهندس الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية والقوى الدافعة والمُحرِّكة التي أقامت مستوطنة "قريات أربع" آلون، بطل جيل عام ١٩٤٨م (لاحظ عزيزي القارىء أن آلوان هذا علماني يساري) وأحد خيرة أبناء حركة حزب العمل، والذي كان -مع ذلك- يعتبر إمام المعتدلين مقارنة بموشى ديان (يساري -علمانى أيضا!!) على سبيل المثال إمام المتشددين - آلون الذي قدَّم لحكومة أشكول في بداية يناير قرارًا يدعو "لتشجيع الاستيطان فى الضفة وإقامة حي يهودي فى الخليل وأريحا وغيرهما من مدن الضفة.

لقد اعتبرت الصهيونية الدينية إن دور الصهوينية العالمية قد انتهى بتوقيع حزب العمل على اتفاقية أوسلو، وأنه قد حان وقت الصهيونية الدينية لتخليص وإنقاذ الشعب الإسرائيلى وتقويته وتدعيمه بالوازع الديني وهكذا انزلق الصراع بين الصهيونيين ليتفجر حول هويّة المجتمع الإسرائيلى، فالسعي إلى الطبيعية ذلك المسعى الذى عشش في قلوب كثير من الإسرائليين، والرغبة في أن يكون هذا المجتمع جزءًا من الثقافة الغربية الحديثة أو السلام مع العالم العربي كل هذا قذف بالرعب في معظم قلوب الجماهير الدينية التي تعتبر إيمانها باليهودية الدينية هو الحصن الحصين الوحيد الذي يضمن بقاء إسرائيل[١].

وهكذا نرى أن الدولة الإسرائيلية مصبوغة بصبغة التطرف، والشخصية الإسرائيلية كما أوضحنا مُشربة بتعاليم التلمود إلى النخاع.

ولنا أن نتساءل بعد هذا السرد.

---

(١) إسرائيل أخرى، تأليف دانيال بن سيمون، طبع في إسرائيل في عام ١٩٩٧م، دار النشر: اريبه نير، مطبعة مودن، المؤلف: يهودي مغربي هاجر إلى إسرائيل في عام ١٩٦٩م-حاصل علي ليسانس العلوم السياسية والاجتماعية بجامعة حيفا- وحاصل علي الماجيستير في الصحافة من جامعة بوسطن الأمريكية- عمل مراسلا سياسيًا وكاتبًا بصحيفة "دافار" وعضو طاقم برنامج "الطابور السابع" بقناة ٢٣-وحاليا يكتب ابن سيمون مقالات بصحف أمريكية وأوربية، كما يعمل معلقًا سياسيًا بمحطات الإذاعة والتليفزيون الفرنسية.

-هل كان بن جوريون-يساري علمانى؟ أم متطرف.

-هل إيجال آلون "صاحب إنشاء المستوطنات"-كما أسلفنا- يساري علماني؟ أم متطرف.

-هل موشى ديان -الذي اعتبره اليهود -المسيح المخلص بعينة العوراء- والذي قتل العديد من الأسرى المصريين وأمر بتدمير القرى الفلسطينية-علمانى يساري؟ أم متطرف.

-هل أرئيل شارون صاحب مذابح الأسرى المصريين ومذابح صابرا وشاتيلا- يساري علمانى؟ أم متطرف.

-هل إسحاق رابين صاحب مذابح دير ياسين وغيرها من القرى الفلسطينية يساري -علماني؟ أم متطرف.

-هل شمعون بيريز صاحب مذبحة قانا بلبنان في آخر سنوات حكمة كرئيس لوزراء إسرائيل والذى يشغل الآن منصب رئيس إسرائيل وهو أول من نادى بامتلاك إسرائيل لأسلحة الدمار الشامل من قنابل ذرية وبيلوجية وغيرها يساري علماني أم متطرف.

-هل أيهود باراك المقاتل الشرس وصاحب الاغتيالات الشهيرة يساري - علماني؟ أم متطرف.

هؤلاء رموز حزب العمل (عدا أرئيل شارون الدموي بطبعه والمنتمى لحزب الليكود) والذي يطلق عليه بعض السذج رجل السلام هل هؤلاء حمائم أم قتلة أوغاد وصقور يأكلون الجيف، وهل التطرف صفة عارضة في هؤلاء القوم أم أنه أصل متغلغل في عقولهم ونفوسهم؟؟

أما عن اليمين من اليهود-كما يزعم البعض- فهم أشد تطرفًا وقد أغضينا الطرف عنهم لمعرفة الكثير عن جرائمهم ومجازرهم ضد العرب والمسلمين.

فالكل عندي يهود سواء اليسار أو اليمين ولكنها أدوار كما ذكرنا يؤدونها بمهارة فائقة.

وهذا ما أردت أن أبيِّنه وأجلِّيه للقارئ الحصيف الذي لا ينسى تاريخ أمته وما فعله هؤلاء الأوغاد أحفاد القردة والخنازير وما يفعلونه مع أبناء جلدتنا في الجنوب اللبناني وفلسطين إلى الآن.

يا أمة ضحكت من جهلها الأمم أفيقى واستيقظى ولا يخدعنك أصحاب الأقلام المأجورة بأن السلام مع إسرائيل سيجلب لنا الخير والنماء.

فوالله الذى لا إله غيره إن السلام مع هؤلاء القوم لا نجني من ورائه إلا الموت والدمار والخراب.

وإن غدًا لناظره قريب -وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (غافر ٤٤)

الفصل الثالث

صفات اليهود فى التوراة
والإنجيل والقرآن: دراسة مقارنة

3

أولاً: صفاتهم من التوراة:

(١) أهل فساد.	الخروج الإصحاح الثانى والثلاثون آية ٧.
(٢) أهل زيغان.	الخروج الإصحاح الثانى والثلاثون آية ٨.
(٣) شعب صلب الرقبة.	الخروج الإصحاح الثاني والثلاثون آية ١٠.
(٤) شعب لا يسمع لقول الله تعالى.	العدد الإصحاح الرابع عشر آية ٢٣.
(٥) إهانتهم لله خالقهم.	العدد الإصحاح الرابع عشر آية ٢٤.
(٦) عدم تصديقهم لآيات الله.	العدد الإصحاح الرابع عشر آية ١٢.
(٧) ضربهم بالوباء وإبادتهم.	العدد الإصحاح الرابع عشر آية ١٣.
(٨) جماعة شريرة.	العدد الإصحاح الرابع الرابع عشر أية ٢٧.
(٩) جماعة متذمرة على الله.	العدد الإصحاح الرابع عشر آية ٢٨.
(١٠) لدغ الحيّات لهم نتيجة خطاياهم.	العدد الإصحاح الحادي والعشرون آية ٧.
(١١) مردة.	العدد الإصحاح العشرون آية ١١.
(١٢) ادّعاؤهم زورًا أنهم أولاد للرب.	التثنية الإصحاح الرابع عشر آية ١.
(١٣) خاصيتهم واختيارهم "بهتانا وزورًا شعبًا خاصًا فوق جميع الشعوب "الاستعلاء".	التثنية الإصحاح الرابع عشر آية ٢.
(١٤) أخذهم الربا من غير جنسهم.	التثنية الإصحاح ٢٣ آية ٢٠.
(١٥) شعب شرير يعمل الشر.	التثنية الإصحاحج ٣١ آية ٣٠.
(١٦) عبّاد أوثان "عبدوا البعليم".	سفر القضاة الإصحاح الثاني آية الثانى آية ١٢.
(١٧) زناة.	سفر القضاة الإصحاح الثانى آية ١٧، والإصحاح الثامن من نفس السفر آية ٣٣.
(١٨) لا يعملون معروفًا.	القضاة لإصحاح الثامن آية ٣٥.
(١٩) تاركوا العهود.	سفر الملوك الأول الإصحاح ١٩ آية ١٤.
(٢٠) ناقضو لمذابح الله.	سفر الملوك الأول الإصحاح ١٩ آية ١٤.

(٢١) قتلة الأنبياء.	سفر الملوك الأول الإصحاح ١٩ آية ١٤ وسفر
(٢٢) عبَّاد الأصنام.	سفر الملوك الثاني الإصحاح ١٧ آية ١٢.
(٢٣) شعب صلب الأقفية.	سفر الملوك الإصحاح ١٧ آية ١٤.
(٢٤) رافضو لفرائض الله وعهده.	سفر الملوك الثانى الإصحاح ١٧ آية ١٥.
(٢٥) ساروا وراء الباطل.	سفر الملوك الثاني الإصحاح ١٧ آية ١٦،
(٢٦) شعب ذليل.	سفر الملوك الثاني ١٧ آية ٢٠.
(٢٧) كثيرو الذنوب.	سفر عزرا الإصحاح التاسع آية ٦.
(٢٨) عظيمو الآثام.	سفر عزرا الإصحاح التاسع آية ٧.
(٢٩) بغاة هم وآباؤهم.	سفر نحميا الإصحاح التاسع آية ١٦.
(٣٠) عصاه ومردة.	سفر نحمسا الإصحاح التاسع آية ٢٦.
(٣١) أصحاب إهانة.	سفر نحميا الإصحاح التاسع آية ١٨.
(٣٢) طارحوا الشريعة.	سفر نحميا الإصحاح التاسع آية ٢٦.
(٣٣) سريعو الرجوع إلى عمل الشر.	سفر نحميا الإصحاح التاسع آية ٢٨.
(٣٤) شعب لا يفهم.	سفر إشعيا الإصحاح الأول آية ٣.
(٣٥) الويل لهم.	سفر إشعيا الإصحاح الأول آية ٤.
(٣٦) أمة خاطئة.	سفر إشعيا الإصحاح الأول آية ٤.
(٣٧) شعب ثقيل الإثم.	سفر إشعيا الإصحاح الأول آية ٤.
(٣٨) نسل فاعلي الشر.	إشعيا الإصحاح الأول آية ٤.
(٣٨) نسل فاعلي الشر.	إشعيا الإصحاح الأول آية ٤.
(٣٩) أولاد مفسدون.	إشعيا الإصحاح الأول آية ٤.
(٤٠) تركوا الرب واستهانوا بقدوسه.	إشعيا الإصحاح الأول آية ٤.

(٤١) ارتدوا إلى الوراء.	إشعيا الإصحاح الأول آية ٥.
(٤٢) يزدادون زيغانا.	إشعيا الإصحاح الأول ٥.
(٤٣) رأسهم مريض وقلبهم سقيم.	إشعيا الإصحاح آية ٦.
(٤٤) بلادهم خربة.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٢.
(٤٥) آثامهم فاصلة بينهم.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٢.
(٤٦) خطاياهم سترت وجه الله عنهم.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٣.
(٤٧) أيديهم تنجست بالدم.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٣.
(٤٩) ألسنتهم تلهج بالشر.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٤.
(٥٠) ليسوا من دعاة العدل.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٤.
(٥١) يتكلمون على الباطل.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٤.
(٥٢) يتكلمون بالكذب.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٤.
(٥٣) حبلوا بتعب.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٤.
(٥٤) ولدوا إثمًا.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٥.
(٥٥)فقسوا بيض أفعى.	إشعيا ٥٩ آية ٥.
(٥٦) نسجوا خيوط العنكبوت.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٥.
(٥٧) الآكل من بيضهم يموت .	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٥.
(٥٨) والتي تنكسر تُخرج أفعى.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٥.
(٥٩) خيوطهم لا تصير ثوبا ولا يكتسون بأعمالهم.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٦.
(٦٠) أعمالهم أعمال إثم.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٦.
(٦١) فعل الظلم في أيديهم.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٧.

(٦٢) أرجلهم إلى الشر تجرى.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٧.
(٦٣) أرجلهم تسرع إلى سفك الدم الذكي.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٧.
(٦٤) أفكارهم أفكار إثم.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٧.
(٦٥)فى طرقهم اغتصاب وسحق.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٨.
(٦٦) طريق السلام لم يعرفوه.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٨.
(٦٧) ليس في مسالكهم عدل.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٨.
(٦٨) جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجة.	إشعيا الإصحاح ٥٩ آية ٨.
(٦٩) كل من يسير فى طرقهم لا يعرف سلاما.	إشعيا الإصحاح الرابع آية ٢٢.
(٧٠)شعب أحمق.	إرميا الإصحاح الرابع آية ٢٢.
(٧١) بنون جاهلون.	إرميا الإصحاح الرابع آية ٢٢.
(٧٢) غير فاهمين.	إرميا الإصحاح الرابع آية ٢٢.
(٧٣) حكماء في عمل الشر.	إرميا الإصحاح الرابع آية ٢٢.
(٧٤) لعمل الصالح ما يفهمون.	إرميا الإصحاح الرابع آية ٢٢.
(٧٥) أمة متمردة وبيت متمرد.	حزقيال الإصحاح الثانى آية ٣.
(٧٦) قساة الوجوه.	حزقيال الإصحاح الثانى آية ٤.
(٧٧) صلاب القلوب.	حزقيال الإصحاح الثانى آية ٤.
(٧٨) صلاب الجباه.	حزقيال الإصحاح الثالث آية ٧.
(٧٩) قساة القلوب.	حزقيال الإصحاح الثالث آية ٧.
(٨٠) وجوههم صلبة.	حزقيال الإصحاح الثالث آية ٨.

(٨١) أصحاب رجاسات.	حزقيال الإصحاح الثامن آية ١٧.
(٨٢) ملأوا الأرض ظلماً.	حزقيال الإصحاح الثامن آية ١٧.
(٨٣) يفكرون على الله بالشر.	هوشع الإصحاح السابع آية ١٥.
(٨٤) تبًّا لهم لكثرة ذنوبهم.	هوشع الإصحاح السابع آية ١٣.
(٨٥) روح الزنا في باطنهم.	هوشع الإصحاح الخامس آية ٥.
(٨٦) لا يعرفون الرب.	هوشع الإصحاح الخامس آية ٥.
(٨٧) نسوا شريعة إلههم.	هوشع الإصحاح الرابع آية ٦.
(٨٨) شعب هالك.	هوشع الإصحاح الرابع آية ٦.
(٨٩) كل إسرائيل قد تعدوا على شريعة الله.	دانيال الإصحاح التاسع آية ١١.
(٩٠) حادوا عن وصايا الله وأحكامه.	دانيال الإصحاح التاسع آية ٥.
(٩١) اعترافهم بعدم سماعهم لأنبياء الله.	دانيال الإصحاح التاسع ٦.
(٩٢) اعترافهم بخطئهم وإثمهم وعملهم الشر وتمردهم.	دانيال الإصحاح التاسع ٥.
(٩٣) تجاوزوا عهد الله.	هوشع الإصحاح الثامن آية ١.
(٩٤) تعدوا على شريعة الله.	هوشع الإصحاح الثامن آية ١.
(٩٥) مثلهم مثل حمار وحشي.	هوشع الإصحاح الثامن آية ٩.
(٩٦) ملعونون وملعونة بركاتهم.	سفر ملاخى الإصحاح الثانى آية ٢.
(٩٧) حادوا عن الطريق.	سفر ملاخى الإصحاح الثانى ٨.
(٩٨) محتقرون ودنيؤون.	سفر ملاخى الثانى آية ٩.
(٩٩) قولهم "زوراً كل من يفعل الشر فهو صالح في عين الرب.	سفر ملاخى الإصحاح الثانى آية ١٧.
(١٠٠) أفسدوا أكثر من آبائهم وتعدَّوْا عهد الله	سفير القضاة، الإصحاح الثانى آية ١٧

هذه هي خصالهم التي وصفتهم بها توراتهم، وكما ترى عزيزي القارئ أنها أكثر بل وأقسى في بعض الأحيان من الأوصاف التي وصفهم إياها القرآن الكريم ولست أدرى هل سيتهمون توراتهم بانها عدوة للسامية كما ينسبون هذا اللفظ دائمًا لكل من تسوِّل له نفسه من نقض اليهود أو الكلام عنهم سواء من قريب أم من بعيد، فمن تجرأ عليهم ووصفهم بصفة واحدة من تلكم الأوصاف سوف يُسخّرون وسائل إعلامهم لتدميره والتشهير به وربما أدى ذلك إلى حتفه، فما بالهم بمائه وصف بالتمام من أشنع بل وأحط الأوصاف التي تلصق بأمة من الأمم فهذا هو كتابهم المقدس فكيف سيردون على هذه الأوصاف[1]، فلا أستبعد أبدًا من تبرئهم من تلكم التوراة واعتبار التلمود هو كتابهم المقدس وبالفعل هم يقولون عن التلمود: "ليس هناك ما هو أسمى مقامًا من التلمود المقدس"[2].

---

(١) يقول موريس آدلر في كتابه عن عالم التلمود بأن العهد القديم هو من أشد كتب العالم عداء للسامية، لا بل أشدها، ففيه أوسع أنواع النقد الذاتى وأكثرها حدة، كما أنه يتضمن أقسى أنواع الإدانة لبني إسرائيل، ويمثل آدلر على ذلك بالإصحاح الأول من سفر إشعيا، التلمود والصهيونية لأسعد رزوق ص١٩١.

(٢) فضح التلمود للأب أي-بى برانانيس ص ٤٢.

ثانياً: صفاتهم من الإنجيل

- فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي من الغضب فاصنعوا أثمارًا تليق بالتوبة (متى: ٣/٧ - ٩).

- طوبى لكم إذا عيَّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين، افرحوا وتهللوا، لأن أجركم عظيم في السموات فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم متى ٥/١١، ١٢).

- "يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار". "حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا مُعلم نريد أن نرى منك آية فأجاب وقال لهم: "جبل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى"

(متى: ١٢/٢٤، ٣٨، ٣٩).

- "من أجل هذا أكلمهم بأمثال، لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون، فقد تمت فيهم نُبوءة إشعيا القائلة تسمعون سمعًا ولا تفهمون، ومبصرين تبصرون ولا تنظرون، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وآذانهم قد ثقل سماعها، وغمضوا عيونهم لئلا يُبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم". (متى: ١٣/ ١٣ - ١٦).

- "حينئذ جاء إلى يسوع كتبة وفريسيون الذين من أورشليم قائلين لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ، فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزًا، فأجاب وقال لهم: وأنتم أيضًا لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم... لقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم، يا مراؤون حسنًا تنبأ عنكم إشعيا قائلاً يقترب إلى هذا الشعب بفمه ويُكرمنى بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عنى بعيدًا، وباطلا يعبدونني وهم يُعلّمون تعاليم هي وصايا الناس". (متى ١٥/ ١ -٤، ٦ -٩).

- اتركوهم، هم عميان قادة عميان (متى: ١٥/١٤).

- "وجاء إليه الفريسيون والصدوقيون ليجربوه فسألوه أن يُريهم آية من السماء فأجاب وقال لهم إذا كان المساء قلتم صحو، لأن السماء محمرَّة، وفى الصباح اليوم شتاء، لأن السماء محمرة بعبوسة، يا مراؤون تعرفون أن تميزوا وجه السماء وأما علامات الأزمنة فلا تستطيعون ، جيل شرير فاسق يلتمس آية، ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى، ثم تركهم ومضى" (متى ١٦/ ١ - ٤).

- "حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة، فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيرودسيين قائليين يا مُعلم نعلم أنك صادق وتُعلم طريق الله الحق ولا تبالي بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس، فقل لنا ماذا تظن؟ أيجوز أن تُعطي جزية لقيصر أم لا، فعلم يسوع خبثهم وقال لماذا تجرَّبوننى يامراؤون". (متى ٢٢/١٥ - ١٨).

- "حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوا وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون، فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عَسَرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يُحرّكوها بإصبعهم، وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس، فيعرّضون عصائبهم ويُعظمون أهداب ثيابهم، ويحبون المتكأ الأول فى الولائم والمجالس الأولى فى المجامع والتحيات في الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي.

لكن ويل لكم أيها الكَتَبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تُغفلون ملكوت السموات قُدّام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل، ولعلَّه تُطيلون صلواتكم، لذلك تأخذون دينونة أعظم، ويل لكم أيها الكَتَبة والفريسيون المراؤون تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحدًا، ومتى حصل تصنعونه ابنًا لجهنم أكثر منكم مضاعفاً، ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشىء ولكن من حلف

بذهب الهيكل يلتزم، أيها الجُهّال والعميان أيما أعظم الذهب أم الهيكل الذي يقدس الذهب!! ومن حلف بالمذبح فليس بشيء ولكن من حلف بالقربان الذي عليه يلتزم. أيها الجُهّال والعميان أيما أعظم القربان أم المذبح الذي يُقدّس القربان!! فإن من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه، ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تُعشرون النعنع والشبّت والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان كان ينبغي أن تعملوا هذه وتتركوا تلك، أيها القادة العميان الذي يُصفون عن البعوضة ويبلغون الجمل، ويل لكم أيها الكَتَبة والفريسيون المراؤون لأنكم تُنقون خارج الكأس والصّحفة وهما من داخل مملوآن اختطافًا ودعارة أيها الفريسي الأعمى نقّ أولاً داخل الكأس والصحفة لكي يكون خارجهما أيضًا نقيًا.

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبورًا مبيَّضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملؤة عظام أموات وكل نجاسة، هكذا أنتم أيضاً من خارج تظهرون للناس أبرارًا ولكنكم من داخل مشحونون رياءً وإثمًا، ويل لكم أيها الكَتَبة والفريسيون المراؤون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتُزينون مدافن الصِّدِّيقين، وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء فاملأوا أنتم مكيال آبائكم، أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة، لكي يأتي عليكم كل دم زكي سُفِك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح، الحق أقول لكم إن هذا كله يأتي على هذا الجبل.

يا أورشليم... يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا، هو ذا بيتكم يُترَك لكم خرابًا، لأني أقول لكم إنكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا مُبارك الآتي باسم الرب، (متى الإصحاح ٢٣/ ١ - ٨، ١٣ - ٢٩).

- "ثم دخل أيضًا إلى المجتمع، وكان هناك رجلٌ يده يابسة، فصاروا يراقبونه هل يشفيه فى السبت، لكي يشتكوا عليه، فقال للرجل الذي له اليد اليابسة قم فى الوسط ثم قال لهم هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر، تخليص نفس أو قتل، فسكتوا فنظر حوله إليهم بغضب حزينا على غلاظة قلوبهم وقال الرجل: مد يدك فمدها فعادت يده صحيحة كالأخرى، فخرج الفريسيون للوقت مع الهيرودسيين وتشاوروا عليه لكى يُهلكوه". (مرقس ٣/١ -٦).

- "واجتمع إليه الفريسيون وقومٌ من الكَتَبة قادمين من أورشليم ولما رأوا بعضًا من تلاميذه يأكلون خبزًا بأيد دنسة أي مغسولة لاموا، لأن الفريسيين وكلَّ اليهود إن لم يغسلوا أيديهم باعتناء لا يأكلون، متمسكين بتقليد الشيوخ، ومن السوق إن لم يغتسلوا لا يأكلون وأشياء أخرى كثيرة تسلَّموها للتمسك بها من غسل كؤوس وأباريق وآنية نحاس وأسرّة الفريسيون والكتبة لماذا لا يسلُكُ تلاميذك حسب تقليد الشيوخ بل يأكلون خبزًا بأيد غير مغسولة، فأجاب وقال لهم حسنًا تنبأ إشعيا عنكم أنتم المرائين كما هو مكتوب، هذا الشعب يُكرمنى بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيدًا، وباطلاً يعبدونني وهم يُعلّمون تعاليم هي وصايا الناس، لأنكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس، غَسْلَ الأباريق والكؤوس وأمورًا أُخر كثيرة مثل هذه تفعلون، ثم قال لهم حسنًا رفضتم وصية الله لتحفظوا تقليدكم وأما أنتم فتقولون إن قال إنسان لأبيه أو أمه قُربان أي هدية هو الذي ينتفع به منى، فلا تدعونه فيما بعد يفعل شيئًا لأبيه أو أمه، مُبطلين كلام الله بتقليدكم الذي سلمتموه وأمورًا مثل هذه تفعلون". (مرقس ٧/١ -١٣).

- "فأجاب يسوع وقال لهم أليس لهذا! تضلّون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوّة الله" (مرقس ١٢ - ٢٤).

- "وفيما كان الجموع مزدحمين ابتدأ يقول: هذا الجيل شرير يطلب آية ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النبي" (لوقا ١١ -٢٩).

- "أنتم الآن أيها الفريسيون تُنقّون خارج الكأس والقصعة وأما باطنكم فمملوء اختطافًا وخبثا، يا أغبياء أليس الذي صنع الخارج صنع الداخل أيضًا، ولكن ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تعشرون النعنع والسّذاب وكل بقل وتتجاوزون عن الحق ومحبة الله، كان ينبغي أن تعلموا هذه ولا تتركوا تلك، ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تحبون المجلس الأول في المجاميع والتحيات في الأسواق، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون لأنكم مثل القبور المختفية والذين يمشون عليها لا يعلمون.

فأجاب واحد من الناموسيين وقال له يا مُعلّم حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضًا، فقال وويل لكم أنتم الناموسيون لأنكم تُحمّلون الناس أحمالاً عسرة الحمل وأنتم لا تَمَسُّون الأحمال بإحدى أصابعكم، ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم، إذًا تشهدون وترضون بأعمال آبائكم لأنهم هم قتلوهم، وأنتم تبنون قبورهم، لذلك أيضًا قالت حكمة الله إنى أُرسل إليهم أنبياء ورسلاً فيقتلوهم وأنتم تبنون قبورهم، لكى يُطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المُهرق منذ إنشاء العالم، من دم هابيل إلى دم زكريا الذي أهلكَ بين المذبح والبيت.

ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة، ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم (لوقا ١١/٣٩-٥٢).

- "وكان الفريسيون يسمعون هذا كله وهم محبون للمال فاستهزؤوا به، فقال لهم أنتم الذين تُبررون أنفسكم قُدَّام الناس، ولكن الله يعرف قلوبكم، إن المستعلي عند الناس هو رجس قُدام الله "(لوقا ١٦/١٤، ١٥).

- "فراقبوه وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار ولكي يُمسكوه بكلمة حتى يُسلّموه إلى حكم الوالي وسلطانه" (لوقا ٢٠ : ٢٠).

- "وفيما كان جميع الشعب يسمعون قال لتلاميذه: احذروا من الكَتَبة الذين يرغبون المشى بالطيالسة ويحبون التحيات فى الأسواق والمجالس الأولى فى

المجامع والمتَّكآت الأولى في الولائم، الذين يأكلون بيوت الأرامل ولعلّة يُطيلون الصلوات، هؤلاء يأخذون دينونة أعظم" (لوقا ٢٠/٤٥ - ٤٧).

- "ومتى رأيتم أورشليم مُحاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها، فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال، والذين في وسطها فليفرّوا خارجًا والذين فى الكُور فلا يدخلوها لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب، وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض وسُخط على هذا الشعب، ويقعون بفم السيف ويُسبون إلى جميع الأمم وتكون أورشليم مَدُوسةً من الأمم حتى تُكمّل أزمنة الأمم". (لوقا ٢١/٢٠ - ٢٤).

- "يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم، لأنكم لو كنتم تُصدّقون موسى لكنتم تُصدقوننى لأنه هو كتب عني، فإن كنتم لستم تُصدّقون كُتب ذاك فكيف تُصدّقون كلامي". (يوحنا: الإصحاح الخامس/ ٤٥ - ٤٧).

- "فكان اليهود يتذمرون عليه لأنه قال أنا هو الخبز الذي نزل من السماء". (يوحنا:٦/٤١).

- "فكان اليهود يطلبونه فى العيد ويقولون أين ذاك؟، وكان في الجموع مناجاة كثيرة من نحوه بعضهم يقولون إنه صالح، وآخرون يقولون لابل يُضِلُّ الشعب، ولكن لم يكن أحد يتكلم عنه جهارًا لسبب الخوف من اليهودً. (يوحنا: ٧/١١- ١٢).

-"أنتم من أب هو أبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا، ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق." (يوحنا: ٨/٤٥).

- "يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان أنتم تقاومون الروح القدس." (أعمال الرسل ٧ -٥١).

- فلما رأى اليهود الجموع امتلأوا غيرة وجعلوا يُقاوِمون ما قاله بولس مناقضين ومجدفين." (أعمال الرسل ١٣/٤٥).

- "ولكن اليهود غير المؤمنين غرَّوا وأفسدوا نفوس الأمم على الإخوة." (أعمال الرسل ٢/١٤).

- وكان يجلس فى لِسْتَرَة رجلٌ عاجز الرجلين مقعد من بطن أمه ولم يمش قط، هذا كان يسمع بولس يتكلم، فشخص إليه وإذ رأى أن له إيمانًا ليُشفى، قال بصوت عظيم: قم على رجليك منتصبًا، فوثب وصار يمشي، فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا صوتهم بلغة ليكاؤنيَّة قائلين إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا، فكانوا يدعون برنابا: "زفس" وبولس "هرمس" إذ كان هو المتقدم في الكلام، فأتى كاهن زفس الذي كان قُدّام المدينة بثيران وأكاليل عند الأبواب مع الجموع، وكان يريد أن يذبح فلما سمع الرسولان برنابا[1] وبولس مزقا ثيابهما واندفعا إلى الجمع صارخين وقائلين: أيها الرجال لماذا تفعلون هذا نحن أيضًا بشر تحت آلام مثلكمُ نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحي الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، الذي في الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون فى طرقهم، مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيرًا يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعامًا وسرورًا، وبقولهما هذا كفَّا الجموع بالجهد عن أن يذبحوا لهما، ثم أتى يهود من إنطاكية وإيقونية وأقنعوا الجموع فرجموا بولس وجرّوه خارج المدينة ظانين أنه قد مات" (أعمال الرسل ٨/١٤ -١٩).

نستخلص من هذه الفقرة من إنجيل (أعمال الرسل) عدة معانٍ منها:

١ - أن الديانة النصرانية في أصلها ديانة توحيدية تدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد، فلا دعاء لغير الله ولا ذبح لغير الله ولا نذر لغير الله، هكذا جاء جميع الرسل ليؤكدوا هذه المعانى، ولا يعقل أبدًا أن يأتى رسول أرسله الله إلى قومه فيقوم ويدعو لعبادة نفسه أو يشرك نفسه في العبادة مع الله خالقه ومرسله إلى

---

(١) وهذا اعتراف صريح من الإنجيل ببرنابا الذي تجاهله كثير من كُتّاب المسيحية، واعتبره البعض منهم أنه شخصية وهمية لا وجود لها، وذلك لأنه خالف التعاليم النصرانية وقال بوحدانية الله عز وجل ونفى ما تزعمه النصرانية عن الثالوث، بل اعتبر كثير من المسيحين أن إنجيل برنابا من وضع المسلمين!!

قومه، ونحن كمسلمين معتقدين بأن رسول الله عيسى -عليه السلام- هو عبد الله ورسوله، قام بتبليغ ما أوحي إليه خير قيام، ودعا إلى عبادة الله وحده لاشريك له، وأنه سينزل آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويحكم بشريعة الإسلام[١] وإذا نزل فينا الآن فسوف أذهب إليه وأُقَبِّل يديه وجبهته وأقول له: رسول الله - محمد بن عبد الله- خاتم النبيين يقرئك السلام، لأنه هكذا أوصانا[٢].

٢ - أن اليهود قوم بُهْتٌ وشعب شرير، وأنهم أبرع بني آدم في حَبْك المؤمرات وتدبير المكائد، وأن مكرهم فاق مكر إبليس، فلطالما ألَّبوا أهل الكفر والشرك على أهل التوحيد، وكم عقدوا تحالفات مع عبدة الأوثان للخلاص من عبادة رب الأرض والسموات الواحد الديان.

هذه صفاتهم من التوراة والإنجيل فماذا قال القرآن الكريم عنهم وهو آخر الكتب المُنزَّلة... هو الكتاب الذي لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، والقرآن حينما وصف بني إسرائيل بهذه الأوصاف لم يفترِ عليهم ولم يقل عنهم ما ليس فيهم، ولمزيد بيان سوف أعقد مقارنة ألخص فيها الأوصاف التي وصفهم به القرآن الكريم مع تلكم الأوصاف والنعوت التي نعتتها إياهم توراتهم التي بين أيدينا، وذلك لنُسكت ونلقم الحجر أفواه الذين يتجرءون على القرآن ويقولون بأن المسلمين استقوا حقدهم وبغضهم وتطرفهم ضد يهود من قرآنهم الذي وصف اليهود بهذه الأوصاف فما بالهم وأن وصفتهم بأوصاف أشنع وأكثر مما وصفهم القرآن، ولست أدري بما سيقولون بعد قراءتهم لهذه المقارنة.

---

(١) عن أبي هريرة -رضى الله عنه - قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عَدْلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها" رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسي ابن مريم/ فتح الباري (٦/ ٤٦٠).

(٢) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إني لأرجو إن طال بي عُمُر أن ألقى عيسي ابن مريم - عليه السلام- فإن عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام .(قال الهيثمي: رواه أحمد بإسنادين أحدهما مرفوع وهو هذا، و الآخر موقوف، ورجالهما رجال الصحيح -مجمع الزوائد للهيثمي ٨/٨.

ثالثاً: أوصافهم من القرآن الكريم:

(١) كفرهم بآيات الله.	﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ آل عمران: ١١٢
(٢) قتلهم الأنبياء بغير حق.	﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ آل عمران: ١١٢
(٣) مسخهم إلى قردة.	﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ البقرة: ٦٥
(٤) قلوبهم أقسى من الحجارة.	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ البقرة: ٧٤
(٥) تحريف الكلم.	﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ البقرة: ٧٥
(٦) قتل أنفسهم.	﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ البقرة: ٨٥
(٧) الإيمان ببعض الكتاب.	﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ البقرة: ٨٥
(٨) تفضيلهم الدنيا على الآخرة.	﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ البقرة: ٨٦
(٩) عصيانهم وعبادتهم العجل من دون الله.	﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ البقرة: ٩٣
(١٠) خوفهم ورعبهم من الموت.	﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ البقرة: ٩٤ - ٩٥
(١١) كونهم أحرص الناس على حياة.	﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾ البقرة: ٩٦

(١٢) عداؤهم لجبريل.	﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ البقرة: ٩٧
(١٣) نبذهم للعهود.	﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ البقرة: ١٠٠
(١٤) نبذهم لكتاب الله.	﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة: ١٠٠
(١٥) أكثرهم لا يؤمنون.	﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٠١
(١٦) لا يريدون الخير لأمة محمد صلى الله عليه وسلم.	﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ البقرة: ١٠٥
(١٧) الحسد.	﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ البقرة: ١٠٩
(١٨) كتمانهم للحق.	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٤٦
(١٩) كتمانهم ما أنزل الله ليشتروا به ثمنا قليلا.	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ البقرة: ١٧٤
(٢٠) لا يكلمهم الله ولا يزكيهم يوم القيامة.	﴿أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة: ١٧٤
(٢١) شراؤهم الضلالة بالهدى.	﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ البقرة: ١٧٥
(٢٢) قتلهم للذين يأمرون بالقسط من الناس.	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران: ٢١
(٢٣) قولهم بأنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودات.	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ آل عمران: ٢٤
(٢٤) صدهم عن سبيل الله.	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ آل عمران: ٩٩
(٢٥) أكثرهم فاسقون.	﴿مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ آل عمران: ١١٠
(٢٦) ضربت عليهم الذلة.	﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾ آل عمران: ١١٢
(٢٧) باءوا بغضب من الله.	﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ آل عمران: ١١٢
(٢٨) ضربت عليهم المسكنة.	﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ آل عمران: ١١٢
(٢٩) عصيانهم وعداوتهم.	﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ آل عمران: ١١٢
(٣٠) افتراؤهم على الله كذباً بقولهم: إن الله فقير ونحن أغنياء.	﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ آل عمران: ١٨١

(٣١) لعنهم الله بكفرهم.	﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء: ٤٦
(٣٢) الطمس على الوجوه ولعن أصحاب السبت منهم	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ النساء: ٤٧
(٣٣) افتراؤهم على الله الكذب.	﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ النساء: ٥٠
(٣٤) إيمانهم بالجبت والطاغوت.	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ النساء: ٥١
(٣٥) نقضهم للمواثيق.	﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ النساء: ١٥٥
(٣٦) الطبع على قلوبهم بكفرهم.	﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ النساء: ١٥٥
(٣٧) كفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما.	﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ النساء: ١٥٦
(٣٨) قولهم افتراءً على الله أنهم قتلوا المسيح ابن مريم.	﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ﴾ النساء: ١٥٧
(٣٩) تحريم الطيبات عليهم.	﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ النساء: ١٦٠
(٤٠) أخذهم الربا.	﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ النساء: ١٦١
(٤١) أكلهم أموال الناس بالباطل.	﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ النساء: ١٦١
(٤٢) عليهم لعنات الله لنقضهم المواثيق.	﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ المائدة: ١٣
(٤٣) قساة القلوب.	﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ المائدة: ١٣
(٤٤) تحريفهم لكلام الله.	﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ المائدة: ١٣
(٤٥) خونة.	﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ المائدة: ١٣
(٤٦) تجرؤهم على الله وعلى نبيهم موسى عليه السلام في معرض الكلام.	﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ المائدة: ٢٤
(٤٧) التيه فى الأرض نتيجة عصيانهم وضلالهم	﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ المائدة: ٢٦

(٤٨) كثير منهم مسرفون	﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ المائدة: ٣٢
(٤٩) سماعون للكذب.	﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ المائدة: ٤٢
(٥٠) أكالون للسحت.	﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ المائدة: ٤٢
(٥١) جعل منهم القردة والخنازير.	﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ المائدة: ٦٠
(٥٢) سريعو الإثم والعدوان.	﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ المائدة: ٦٢
(٥٣) إلقاء العداوة والبغضاء فيما بينهم.	﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ المائدة: ٦٤
(٥٤) إشعالهم نار الحرب والفتنة وسعيهم في الأرض فسادا.	﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ المائدة: ٦٤
(٥٥) لعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم لعصيانهم واعتدائهم على أنبيائهم.	﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ المائدة: ٧٨
(٥٦) إتيانهم المنكر.	﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المائدة: ٧٩
(٥٧) ولاؤهم للكافرين.	﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المائدة: ٨٠
(٥٨) استحقاقهم سخط الله وعذابه الأليم.	﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ المائدة: ٨٠
(٥٩) هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا.	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾ المائدة: ٨٢
(٦٠) إنهم قوم جاهلون لعبادتهم العجل.	﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ الأعراف: ١٣٨
(٦١) عُتاة فمسخهم الله قردة لعتوهم.	﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ الأعراف: ١٦٦
(٦٢) إفسادهم في الأرض مرتين.	﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ الإسراء: ٤
(٦٣) قذف في قلوبهم الرعب.	﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ الحشر: ٢

(٦٤) يخربون بيوتهم بأيديهم.	﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ الحشر: ٢
(٦٥) شاقوا الله ورسوله.	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الحشر: ٤
(٦٦) جبناء.	﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ الحشر: ١٤
(٦٧)بأسهم بينهم شديد.	﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ الحشر: ١٤
(٦٨) قلوبهم شتى.	﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ الحشر: ١٤
(٦٩) قوم لا يعقلون.	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ الحشر: ١٤
(٧٠) مثلهم كمثل الحمار.	﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ الجمعة: ٥

تلكم هي أوصافهم كما سطَّرها لنا القرآن العظيم، وقد قمت بحذف المكرر منها، فالحديث عن بني إسرائيل في القرآن الكريم من أكثر المسائل تنصيصًا بعد الحديث عن القضايا الإيمانية، ويعتبر الحديث عنهم من أشد الأمور وضوحًا وإجمالاً وذلك يرجع لعدة أسباب منها:

١ - تحذير المؤمنين وحملة لواء الدعوة الإسلامية من عداء اليهود لهم والمكر بهم، وأخذ الحيطة والحذر من حيلهم، والاعتبار بالأوصاف التي وصفهم بها القرآن الكريم لعدم الوقوع فى حبالهم وشراكهم الشريرة.

٢ - بيان قضية العداء لليهود أنها قضية إيمانية اعتقادية وليست وليدة موقف أو مرحلة وتنتهى فهى باقية إلى قيام الساعة، أو بمعنى أوضح هي باقية حتى معركتنا النهائية معهم، والتى لن تقوم لهم قائمة بعدها.

٣ - التحذير والتنبيه من عدم السير في طريقهم أو اتخاذهم أولياء من دون المؤمنين، لأن في طرقهم اغتصاب وسحق - والآكل من بيضهم يموت والتي تُكسر تخرج أفعى - وهذه هي أوصافهم من توراتهم كما سطَّرناها- وقد حذرنا منهم النبى صلى الله عليه وسلم كثيرًا فقال في أحد هذه التحذيرات: عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل"[١].

وهكذا نرى صفات اليهود في التوراة التي بين أيدينا، والإنجيل، والقرآن فهل سيقول اليهود بأن هذه الكتب هي أعداء لما يسمونه بالسامية...

فما هى هذه السامية التي يزعمونها...

تعال معي عزيزي القارئ لتتعرف بشىء من التفصيل عن هذه السامية.

---

(١) سبق تخريجه.

الفصل الرابع

السامية واللاسامية

4

ماذا تعني كلمة السامية؟

لغة: معناها من السمو، والعلو، يقال مقام سامٍ: أى عالٍ ورفيع، وتسامَى القوم: أي: تباروا، وتفاخروا.

اصطلاحًا: تنقسم معنى كلمة سامية إلى لغات وشعوب - فاللغات السامية هي اللهجات التي يتكلم بها سكان القسم الجنوبي من غرب آسيا من حدود الأرمن شمالاً إلى البحر العربي جنوبًا، ومن الخليج شرقا إلى البحر الأحمر غربًا، وهي منسوبة إلى سام بن نوح عليهما السلام-والشعوب السامية هي التي تتكلم بهذه اللهجات.

وعلماء اللغات يُعيِّنون الساميَّة منها في التقسيم، بحسب موقع أهلها الجغرافى، كما كانت الشعوب الساميَّة قديمًا ينسبون بعضهم بعضًا إلى موقعه من شرق الشمس وغربها، وذلك التقسيم أصبح بيانًا في اللغة، لأن أشد العوامل فى تغييرها إنما هو أمر الحضارة لا كرور الزمن وحده، فإن العبرانيين مثلاً حينما غلبهم الكلدانيون، جعلت لغتهم تفنى حتى صارت الآرامية في منطقهم ولغتهم إلا حيث يتعبدون، فإن لغة العبادة بقيت العبرانية، ولا تزال إلى اليوم، وكانت لغتهم هي العبرانية وحدها إلى الزمن الذي خرَّب فيه بختنصر مَلك الكلدانيين بيت المقدس وأوقع باليهود وأجلاهم عنها إلى بابل وذلك عام ٥٨٦ قبل الميلاد.

ويردّ علماء اللغات أصول الساميّة إلى: آرمية، وعبرانية، عربية، ويقولون إن الأصل السامي الذي انشقت منه اللغات المتقدمة إنما هو اللسان البابلي القديم ورأوا مشابهة قريبة بين اللسان البابلى وبين العربية، بل رأوا كلمات في العربية كأنما نُقلت عن البابلية نقلاً صريحًا مع أنها فى العبرانية والسريانية قد دخلها

التحريف وعللوا ذلك بأن العربية بادية، فهى قلما تتغير كلغات الحضر التي تتنازعها التبعية لغيرها والاستقلال بنفسها - كما هو الحال في العبرانية[1].

وعلى هذا نقول إن اللغة العبرية قد طرأ عليها الكثير من التبديل والتحريف والتبعية -سواء قديمًا أو حديثًا- بحيث أخرجتها عن مضمونها الأصلي من اللغات السامية.

لذلك لا تُعتبر اللغة العبرية الحالية لغة سلميّة أصلية -وبالتالي فالشعب اليهودي الذي يتكلم العبرية ليس شعباً سامياً، بل هو خليط من شعوب أخر ولغات شتى جمعتهم اللغة العبرية التى شابها الكثير من لهجات ولغات شعوب أخرى أخرجتها عن ساميتها....

إذن فما هي اللاساميّة؟

اللاسامية كلمة من أشد المصطلحات الخاصة وهي ترجمة غير دقيقة للكلمة الأوربية "أنتيسيتيزم" التي تعنى حرفياً، "المذهب المعادي للسامية" أما من حيث المقصود الفعلي منها فهو "معاداة اليهود" أو "نبذ اليهود من المجتمع" أو "مناهضة اليهود" لأنهم الممثلون الوحيدون للجنس السامي في أوروبا على حسب الدعوى العنصرية التي أشاعوها هم عن أنفسهم.

وهذه الكلمة بلفظها الأوربي مستحدثة

يقول اليهودي "ليون بولياكوف" في كتابه "تاريخ مختصر للاسامية: أنها استعملت لأول مرة على يد الكاتب الألمانى "فلهم ما" حوالي سنة ١٨٨٠م وهو صحفى يهودي من هامبورج وعنوان كتابه هو "انتصار اليهودية على الجرمانية" ويبدو أنها صادفت هوى في أفئدة اليهود، وفتحت لهم آفاقًا جديدة للهجوم والدفاع

---

(١) راجع بتوسع تاريخ آداب العرب ١/ ٧٤ للدكتور: مصطفى صادق الرافعى.

فى آن واحد، إذ جعلوها "تهمة" لكل من لا يرى رأيهم، ولا يساعدهم على تنفيذ مآربهم وإنجاز خططهم، مهما كانت هدّامة ومدمِّرة، فلا عجب بعد ذلك إذا خصص لها مفكروهم دراسات ومؤلفات، بل لكى يوهموا الآخرين أن هذه الكلمة قديمة وأنها معمول بها من أيام موسى -عليه السلام- فى حين أنها لم يمض على صنعها قرن من الزمان، ولكن مفهومها في الأذهان قديم، وذلك لعُقد الإضطهاد المتغلغلة فى كيانهم منذ القِدَم، لذلك أخذ كاتبوهم ومفكروهم يُرَوِّجون أن فرعون موسى كان رائدًا للاسامية الأول، ثم تتوالى الأجيال فيرى اليهود بختنصر الكلداني، وفسبازيان، وتيتويس وهدريان، وغيرهم من أباطرة الرومان الساخطين على اليهود وكذلك بعض البابوات فى روما في العصور الوسطى ثم مرورًا بهتلر في العصر الحديث الذي اعتبروه عدو السامية الأول في أوائل القرن الماضي.

ولا تزال تُهمة اللاسامية مُربحة جدًا سهلة الاستعمال، يضعون على عاتقها كل أوزارهم، وليس معنى ذلك أن اللاسامية فكرة وهمية، فهي واقع لا شك فيه، نلحظه في تعامل أمم العالم أحيانًا مع اليهود، ولكن أمم العالم ليست مجنونة بحيث تتنكر لفئة من الناس ظلمًا وعدوانًا وبغير سبب، فأسباب اللاسامية كثيرة جدًا، تعود المسئولية في معظمها إلى الشخصية اليهودية نفسها.

وقد ظهرت أفكار هامة من اللاسامية في كتاب اليهودي "برنار لازار" اللاسامية، تاريخها وأسبابها وقد نشر عام ١٨٩٤م وسط أجواء مشبعة بأحداث ساخنة، وكان ظهوره معصرًا أيضًا لميلاد الصهيونية السياسية على يد تيودورهرتزل... ولقد جاء كتاب برنار بمثابة رداً على أوسع المؤلفات اللاسامية انتشارًا والذي ألفه "درومونت" عام ١٨٨٦م فكتاب درو مونت كان عبارة عن هجاء مقذع لليهود، ولكن كتاب لازار على عكس ذلك وهو عبارة عن دراسة بمعنى الكلمة حتى فى نظر من لا يشاركه كل آرائه، جاء في الفصل الأول من الكتاب "الأسباب العامة اللاسامية" وتحت هذا العنوان يضع قائمة طويلة من الأسباب، كلها صادرة عن تطّرف اليهود وتعصبهم، وخلطهم السياسية بالدين، ووضع ذلك كله تحت

شعار التكتل العنصري، وما بداخل أنفسهم من كبرياء تتجلى فى إعتقادهم أنهم شعب الله المختار، مما أدى إلى تقوقعهم وعزلتهم، وتبرير تلك العزلة بالخوف من أن يتنجسوا بالاختلاط بالأمم الأخرى، وما ترتب على ذلك من أوضاع مادية وروحية وثقافية تجعلهم منبوذين مكروهين، هذا ما يقوله المؤلف اليهودي فى تعليل اللاسامية من جانب قومه، ويُضيف برنار لازار: لقد انعزل اليهود وراء أسوار أقامها حول التوراة (اسداراس) والكتبة الأولون والفريسيون والتلموديون ومُحرفوا الموسوية الأولى وأعداء الرسل، إن هذه الإنعزال قد ازداد خطورة بسبب سمة فريدة أضفاها اليهودي على ذاته فهو يتباهى بامتياز توراته مما يدفعه أن يعتبر نفسه نسيج وحده، وأن شعبه فوق كل الشعوب.

لكل ذلك ينبغى الحذر الشديد أمام لفظة اللاسامية، ويتعين التأكد من صحة استعمالها وتوجيهها توجيهًا عادلاً كلما صادفناها لاسيما عندما تروّجها أجهزة الدعاية اليهودية[1] فهم يرمون اليوم كل من خالف سياسة الدولة الصهيونية (سياسة دولة إسرائيل) باللاسامية أو معاداة السامية، ولو قيست الأمور بمقاييسهم لكان كبار رسل اليهود مثل عاموس وأشعيا وميخا وأرميا معادين للسامية بل التوراة كلها بمعاداة السامية كما أسلفنا (وأثبتناه) فقادة الدولة اليهودية لا يختارون اليوم من مأثورات اليهودية إلا ما يبرر سياستهم: مثل الترويج لرواية المذابح التى ارتكبها بوشيا ضد الكنعانيين فهي فى نظرهم ذريعة لقتل عرب فلسطين ولبنان، لقد وقع اختيارهم على "علماء الدين الذين قتلوا الرسل" وبسبب هذه الخدعة جعلوا نقد سياسة الدولة الصهيونية أو دولة إسرائيل معاديًا للسامية.

ولا يمكن لمناحم بيجن القاتل المحترف في صفوف الهاجاناه، ولا المتطرف اسحق شامير، ولا لاسحق رابين كاسر عظام الأطفال ولا لشمعون بيريز قائد مذبحة قانا اللبنانية ومؤسس المفاعل الذري الإسرائيلى ولا لأرئيل شارون السفاح

(١) الشخصية الإسرائيلية للأستاذ الدكتور - حسن ظاظا- رحمه الله تعالى.

الدموي الذي يقتل بلا هوادة... لا يمكن لهؤلاء وحدهم بما يرتكبونه من فضائح، أن يخلقوا العداء للسامية، فلا يمكن لأحد أن يضع مجرمي الحرب من أمثال هؤلاء القادة في كفة واحدة مع ما يُسمّون بالمعتدلين من الشعب الإسرائيلى وهم قلة قليلة داخل المجتمع الإسرائيلى.

أصل التسمية :

والسامية تطلق نسبة إلى (سام) الابن الأكبر لنوح ويكاد يجمع الباحثون على أن شبه جزيرة العرب هي الموطن الأصلي للساميين فمنها خرجت هجرات متتالية إلى بلاد الرافدين حتى جبال إيران وأرمينية، ومنطقة الهلال الخصيب، وكانت هجرتهم جماعية... وتشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن المنطقة الشمالية من الصحراء السورية هي الوطن الأصلي للساميين ويتسم الساميون، حتى وهم بعد في أدنى مراحل البداوة، بمقدرتهم الفائقة على الامتزاج بالعناصر البشرية المحلية فى الأماكن التي غزوها واستوطنوها واستوعبوا حضارتها دون المحلية في الأماكن دون أن يتخلوا عن سمات حضارتهم الأولى. وتاريخ العبرانيين يتراوح بين عدد من الثنائيات المتناقضة من القيم: البساطة والتركيب والمساواة والتفاوت والجماعية والفردية، وقد تجلَّى هذا فى الحضارة العبرانية في الموقف المتناقض من مؤسسة الملكية (العبرانية وفى الصراع بين الأنبياء والكهنة، وبين التوحيد والحلولية).

ويُعدُّ العرب أكثر الجماعات السامية قربًا مما يمكن تسميته بـ "الخطاب الحضاري السامي الأصلى" كما أن اللغة العربية أقرب اللغات الحيَّة إلى السامية الأصلية ومع هذا ينصرف مصطلح معاداة السامية إلى اليهود دون سواهم[1] فإذا كان للساميين وجود عرقي أو تاريخى حقيقى، فإنما نحن أبناء الأمة العربية وشعوبها من يمثلهم، حيث أن أبناء هذه الأمة هم اليوم السواد الأعظم لمن

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية للدكتور عبد الوهاب المسيري المجلد الرابع - الجزء الأول - الباب الرابع- الشعوب السامية.

يشار إليه حسب النظريات التاريخية بأنه سامي، كما أن اللغة العربية هي سيدة اللغات السامية المنتشرة فى العالم بلا منازع[1]. كما لاحظ أحد الباحثين في نهاية القرن التاسع عشر ويُدعى (دالبي) أن هناك كل الأنواع والألوان بين اليهود (البيض - والسُمر- والسود) فهناك اليهودي الربعة غليظ الملامح عريض الرأس من الأشكينار، واليهودي النحيف ودقيق الملامح طويل الرأس من السفارديم، ثم الأنف اليهودي المُحدَّب والمقعَّر بين كثير من يهود روسيا ثم العيون اللوزية في السفارديم والمكتنزة الضخمة في الأشكيناز، والعيون المغولية المسحوبة فى بعض يهود وسط روسيا.

وبشكل عام، فإن السفارديم أشبه بعنصر البحر المتوسط والأشكيناز أشبه بالصقالبة الشماليين، وفضلا عن هذا فقد أثبتت الدراسات أن اليهود من حيث فئات وفصائل الدم يبدون معدل تفاوت كبير جدًا فيما بينهم مما ينفي تجانس الأصل، وأكثر من ذلك فإن فصائل الدم تلك لا تبدي أي علامة بفصائل الدم عند السامريين وهم فرقة يهودية معاصرة يعتبرها علماء الأنثروبولوجى استمرارًا لبني اسرائيل من عصر التوراة ويحاول اليهود من أصحاب نظرية النقاء الجنسي بكل وسيلة إلصاق هذه الفرقة بحاخاماتهم اليوم واعتبارهم من سلالة أنبياء بني إسرائيل وأن من سيذبح البقرة على عتبات المذبح بعد إقامة هيكلهم على أنقاض المسجد الأقصى هو واحد منهم...

وقد حاول اليهود حديثًا بكل وسيلة إثبات نظرية النقاء الجنسي عند اليهود، غير أن الواقع اليقيني يُكذِّب هذا التصور تماما... والسؤال الذي نطرحه الآن هو:

كيف تم اختلاط أو تخليط اليهود؟ وما هي الأدلة والشواهد التاريخية علية؟

يجمع علماء الأنثروبولوجي إلى أن تزاوج اليهود من غير اليهود، وعلى دخول أعداد كبيرة من الوثنيين والمسيحيين إلى اليهودية دليل على نمو أعداد اليهود في

---

(١) عن مقدمة مركز الشرق العربي لكتاب الكنز المصور فى قواعد التلمود.

المهجر وبعد الشتات بمعدلات غير معقولة، وهذا يرجع فى جزء منه إلى التحول الضخم إلى اليهودية، وهناك طريقتان أساسيتان انتشرت بهما اليهودية وتمددت وهما:

١ - التحول الديني سواء من الوثنية أو من المسيحية عن طريق التحول الجماعي أي عن طريق اعتناق شعب بأكمله أو طائفة أو دولة لليهودية كما هو معروف في حالة الخزر وهو مملكة الخزر التترية[١] التي اعتنقت بالكامل الديانة اليهودية في القرن الثامن الميلادي، والفلاشا: وهم يهود الحبشة، واليهود السود من التاميل فى جنوب غرب الهند، واليهود القرّائين فى طوروس... هذا عن الشكل الجماعى....

٢ -"أما التحول الفردي المستمر في كل مكان وزمان فهو يتمثل في التزاوج والامتزاج الدموي، فهو إما زواج علنى أو سري وعلى الرغم من أن علماء اليهود فى العصر الحديث وكُتّابهم يُصرّون على ضآلة دور التحول إلى اليهودية بصفة خاصة فإن المصادر الدينية اليهودية تثبت عكس ذلك فهي تثبت اختلاط اليهود وتزاوجهم منذ عصورهم المبكرة وهناك شعبين من بين الشعوب المحيطة سمحت لهم بالدخول فيها والانضمام إليها، وهما الشعب المصري، والشعب الأدومي وأكدت على ذلك التوراة في أكثر من موضع منها على سبيل المثال: "الأبناء الذين يأتون من زواج مختلط من المصريين والأدوميين يصبحون من بني إسرائيل الخالصين ابتداء من الجيل الثالث." (سفر التثنية ٣٢/٨).

ومن أمثلة تزاوج بني إسرائيل من المصريين منذ عصر مبكر من تاريخهم زواج سيدنا يوسف -عليه السلام- من ابنه كاهن أون (سفر التكوين ١٤/٦٤)، ومن أمثلة الزواج المختلط الشهيرة في أسفار الأنبياء زواج شمشون وهو من بني إسرائيل من دليلة الفلسطينية (سفر القضاة ١٤/٥) وزواج سيدنا سليمان عليه

(١) سيأتى مزيد بيان عن هذه المملكة.

السلام من بنت فرعون (سفر الملوك الأول ٣/١) كما تزوج سيدنا سليمان -عليه السلام- أيضا من موآبيات، وعمونيات وآدوميات، وصيدونيات، وحيثيات(سفر ملوك الأول ١١/١).

وعند حدوث السبي البابلي الذي استمر ١٤٠ عامًا نشأت فى السبي المشناة (وهو التلمود البابلي الذي أشرنا إليه من قبل) وقد شرّع التلمود الزواج المختلط وفتح التهود، وقد قسّم أنساب اليهود العائدين من السبي إلى عشر طبقات أو أنساب، ثلاث منها صحيحي النسب وهم: طبقة الكهان، واللاويين، والاسرئيليين (وهم عامة اليهود من صحيحي النسب): تليها طبقات معيبة النسب وهم طبقة المتهودين (وهم أبناء الكهنة من زواج باطل شرعًا-عندهم)، وطبقة العبيد الذين اعتنقوا اليهودية، وطبقة أبناء الإسرائليين من زواج باطل شرعًا، ثم طبقة مجهولي النسب، ثم طبقة اللقطاء.

ويتضح من هذا التقسيم لأنساب العائدين من السبي أن غالبية العائدين من ذوي الأنساب المعيبة أي: الذين جاءوا من زواج مختلط، وقد كان الزواج المختلط منتشرًا حتى بين الكهنة، والدليل على ذلك وجود طبقة تخص أبناء الكهنة فى زيجات باطلة شرعاً -عندهم- كما يتضح أن التهود كان منتشرًا وقد ميزت (المشنا) بين ثلاث فئات من المتهودين أعلاها الأحرار الذين اعتنقوا اليهودية، يليها العبيد الذين اعتنقوا اليهودية وأعتقوا لتهودهم، ويأتى فى المؤخرة الجماعة التى تهودت عن طريق الحيلة أيام يشوع بن نون، ومن أدلة الأختلاط فى العصر الوسيط، القرارات التى أصدرتها المجالس الكنسية، وهما مجلسا توليدو عام ٥٣٨م، ٥٨٩م، وجلس روما عام ٧٤٣م، وقد قررت تلك المجالس منع زواج المسيحيين من اليهود، وقد فسَّر معظم الكُتَّاب تلك القرارات على أنها دليل على خطورة المختلط بين الجنسين في ذاك الوقت.

أما في العصر الحديث، فمع اختفاء التعصب الدينى فى أوربا الصناعية، ومع اعتناق العلمانية وتطبيقها كمبدأ أوربي انهارت الحواجز أمام التحول والزواج

المختلط وزاد بصورة لافته للنظر تحول اليهود إلى المسيحية، وفى الولايات المتحدة على سبيل المثال حيث يوجد أكبر تجمع يهودي اليوم، ينتشر الزواج المختلط ويوجد أنصاف وأرباع اليهود، لاسيما منذ أن أصبح الزواج المدني مباحًا وقانونيًا، وهذا الأمر هو ما يزعج اليهود، وهو ظاهرة ذوبان وانصهار اليهود واندماجهم أو امتصاصهم في شعوب العالم، فأقيمت المؤتمرات داخل الدولة العبرية حول من هو اليهودي، وأثيرت العديد من المناقشات والمداولات حول هذا الموضوع[1].

يقول بنيامين فريدمان: "إن الحقائق المحققة المقررة التي لا تقبل الجدل ولا الاعتراض، تُزوّدنا ببرهان لا شك فيه على صحة الحقيقة التاريخية بأن من يزعمون أنفسهم (يهودًا) من ذوي الأروقة الأوربية الشرقية في كل مكان من سلالة الخزر... ذلك الشعب الوثنى التركي الفنلندي المغولي (شبية بالمغول)، الغامض الأصول بالنسبة لوجوده التاريخى في قلب آسيا، وبسبب خفي تكتنفه الأسرار، فإن تاريخ مملكة الخزر بارز الانعدام على صفحات الكتب المدرسية لمادة التاريخ في الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى المناهج التعليمية لمادة التاريخ أيضًا فى المدارس والمعاهد... إن الوجود التاريخي لمملكة الخزر الخاصة بمن يزعمون أنفسهم (يهودًا) من ظهور وسقوط، وهذا الاختفاء الدائم المتعمد لمملكة الخزر، كشعب، عن خارطة أوربا القديمة، وكيف تحوّل الملك بولان (ملك الخزر) إلى يهودي، وصارسكان مملكة الخزر في سنة ٧٢٠م يدعون (يهوداً" بالتحوّل والأعتناق- كل هذه الحقائق أُخفيت عن مسيحيي الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة الرقابة التي فرضها مباشرة أولئك الذين يزعمون أنفسهم (يهودًا)، بينما ينحدرون من سلالة الخزر، على جميع أحهزة الإعلام العامة فى أمريكا وفي سنة ١٩٤٥م، قدّمت عن الخزر دراستي المعنونة: (حقائق الحياة) التى اعتُبرت نشرة على المستوى الشعبى العام عن نتائج بحثي العلمي المُركّز، الذي كرّست من أجله سنوات كثيرة

(١) بتصرف من مقال للدكتورة ليلى أبو المجد، عن السامية وهل اليهود الحاليون ساميون.

كان الكشف عظيما وجدّ فعّال، لكن كان واضحًا غضب من يزعمون أنفسهم (يهودًا)، وهم المنحدرون تاريخيًّا من سلالة الخزر فى أمريكا، فصبُّوا جامّ حقدهم علىّ منذ ذاك الحين، بسبب كشفي العلمي هذا وحده، وشرعوا منذ عام ١٩٤٦م بإدارة حملة تشويه سمعه شريرة ضاربة ضدي، بغية إخفاء هذه الحقائق عن مسيحيى الولايات المتحدة لأسباب واضحة..."[١].

(١) عن يهود اليوم... ليسوا يهودًا لبنيامين فريدمان ص ١٥، ١٦من إعداد زهدي الفاتح (دار الحقائق- بيروت).

مبررات اللاسامية عند اليهود:

يقول سبيوزا[1] عن اليهود:

"إنهم قد استجرّوا كراهية العالم بأسره بانفصالهم عن جميع الشعوب الأخرى... ولو لم تكن اللاسامية قد ظهرت راسخة الجذور-شديدة الاستمرار- عظيمة القوة في الحضارة المسيحية في أوربا، لما كان اليهود قد ظلوا موجودين كجماعة متميزة، ولكانوا ذابوا فى غيرهم تمامًا[2].

إذن اعتبر هذا سبينوزا أن وجود اليهود بين المجتمعات الأوربية-بالذات- مرتبط ارتباطًا وثيقًا بوجود ما يسمى باللاسامية والتي بدونها لذاب اليهود وسط تلكم المجتمعات وانمحى وجودها تمامًا...

ويُعرّف دويتشر اليهودي الهرطيقي (أي: الذي حاد عن دينه) بأنه يهودي يحتفظ بيهوديته في مختلف الأحوال الفكرية التي يمكن أن يمر فيها فيقول:

"إن الهرطيقي اليهودي الذي يجاوز اليهودية جزء من تقليد يهودي، يمكن إذا أردتم أن تعتبروا الآخر كنموذج لهؤلاء الثوريين الكبار فى الفكر الحديث: سبينوزا، وهايني، وماركس، وروزا لوكسمبورغ، وتروتسكي، وفرويد، ويمكن لمن يشاء أن يضع هؤلاء الآخرين في قلب تقليد يهودي وبعد أن يتساءل إن كان الأثر الذي تركوه في الفكر الإنسانى بسبب (عبقريتهم اليهودية الخاصة-حسب تعبيره) ينفي اعتقاده بذكاء ينفرد به عِرق، مهما كان، ثم يستطرد قائلا:

"ومع ذلك فإننى أرى من بعض وجهات النظر أنهم كانوا بالفعل يهودًا جدًا"!؟

---

(١) فيلسوف يهودي هولندي اسمه سبينوزا باروخ (١٦٣٢-١٦٧٧م).

(٢) عن مقالة من هو اليهودي..؟ قراءة في كتاب المؤرخ اليهودي البولوني "إيزاك دويتشر" لنصر الدين البحرة.

ثم يواصل دويتشر حديثه عن هؤلاء الرجال قائلاً:

"لقد عاشوا على الحدود أو في الأحياء اليهودية (الجيتو) في قومية كل منهم، وكان كل واحد منهم، في الآن نفسه، ضمن محيطه وخارجه، عضوًا فى وسطه، وغريبًا عنه"

ثم يُفجّر دويتشر هذه المفاجاة عن سيبنوزا فيقول: كان أجداده قبل وصولهم إلى البلاد الواطئة من (المُرّان)[1] وهم يهود متخفون، يهود القلب، ومسيحيون فى الظاهر، كالكثير من أبناء دينهم من الأسبان الذين فرض عهد التفتيش عليهم المعمودية، وما إن أقاموا فى هولاندا حتى عادوا إلى اليهودية[2]".

ومن ثمَّ فاليهود يقسمون اللاسامية لإلى تقليدية، وغير تقليدية، فأما اللاسامية التقليدية فهي بمفهومهم تتمحور حول كراهية اليهود بسبب التوتر الديني القائم بين اليهودية والمسيحية ويقولون:"لقد أصبحت المسيحية تكره اليهود بسبب رفضهم ليسوع مسيحا، محملة إيّاهم مسؤولية جماعية عند موته[3]، وقضت تعاليم اللاهوت المسيحي في القرن الخامس (أي الميلادي) بتحريم قتل اليهود، ولكنها أوصت بتكريس إذلالهم حتى يعترفوا بالحقيقة المسيحية، وخلال القرون الوسطى ترسخت في الأذهان الصورة السلبية لليهودي كقاتل الله[4]، مما تسبب ولا سيما في فترات التأزم في تاريخ أوروبا في حملات شعبية عنيفة على اليهود وافتراءات حول قيامهم المزعوم بقتل الأطفال المسيحين لاستعمال دمائهم في الطقوس الدينية، وقد عملت المسيحية خلال صراعها اللاهوتي ضد اليهودية واليهود على تكريس وترويج هذه الصورة السلبية على مر الأجيال،[5] وكان مركز

---

(١) أي: المارانوس، راجع كتابنا: اليهود المتخفون وأثرهم فى المسيحية والإسلام.

(٢) بتصرف من مقالة نصر الدين البحرة.

(٣) يقول إنجيل متى "دمه علينا وعلى أولادنا (الإصحاح ٢٧/١٥:٢٦) والمعنى: أن اليهود وحاخاماتهم قالوا لبيلاطس الوالي عندما قال لهم:(إني برئ من دم هذا البار (أي: السيد المسيح) أجابوا كلهم وقالوا:(دمه علينا وعلى أولادنا).

(٤) أي حسب قول المسيحية الباطل بأن عيسى هو الله-تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

(٥) هذه القصة روتها العديد من المصادر المسيحية (راجع كتابنا:اليهود المتخضون وأثرهم في المسيحية والإسلام).

اليهود في عهدما قبل الحداثة ضمن المجتمع الأوروبي باعتبارهم رعايا للحاكم، مركزا فرض عليهم قيودًا صارمة، وعلى سبيل المثال لا الحصر لم يكن لليهودي الحق في امتلاك الأراضي ولا العضوية في نقابة مهنية، هذه الأوضاع دفعت باليهود إلى تبني مهن معينة كان معظمها يتعلق بمجالي المصارف (أي المالية) والتجارة، مما أدى إلى تكوين صور سلبية عديدة لليهود باعتبارهم طماعين وبخلاء ولايهتمون إلا بأنفسهم،[1] وبذلك شكلت اللاسامية التقليدية أساسا قامت عليه اللاسامية الحديثة."[2] فهذه اللاسامية التي أطلق عليها اليهود أنها تقليدية، وهي زعمهم بأن كراهية النصارى لليهود كراهية عقدية أو دينية ولذلك اخترعوا مفهوم اللاسامية، أما عن اللاسامية غير التقليدية فقد برروها بقولهم:" تُمثل اللاسامية نظرة معينة إلى اليهود قد يتم التعبير عنها بالكراهية نحوهم، كما أن لها مظاهر لفظية وجسدية موجهة ضد أفراد من اليهود وغير اليهود أو ضد ممتلكاتهم أو الإثنين معا، وضد مؤسسات الجاليات اليهودية ومراكزها الدينية. وأحيانا تكون دولة إسرائيل هي المستهدفة من هذه الأعمال، حيث ينظر إليها على أنها كيان يهودي جماعي وكثيرًا ماتوجه اللاسامية إلى اليهود تهمة التآمر على إيذاء الإنسانية كما تستخدم كوسيلة لاتهام اليهود بكون الأمور تجري على غير ما يرام، ويتم التعبير عن المشاعر اللاسامية بالوسائل ولأعمال اللفظية والكتابية والمرئية، كما تستخدم الأفكار النمطية الشريرة وإلصاق الخصائص السلبية. ويمكننا أن نجد من بين الحالات المعاصرة للاسامية في الحياة العامة وفي وسائل الإعلام والمدارس وأماكن العمل والمشهد الديني" ثم أراد الكاتب أن يستدر عطف القراء من الناطقن بلغة الضاد وينفي حقائق هي واضحة وظاهرة ظهور الشمس في رابعة النهار، وذلك كله تحت زعم تبرير مصطلح السامية الذي اخترعه اليهود تحت دعوة حمايتهم ممن يسبهم أو يلصق بهم التهم حسب زعمهم حتى ولو كانت التوراه التي بين أيديهم، فيقول

(١) وهذه حقيقة تاريخية سطرتها أقلام كثير من المؤرخين المسيحين.

(٢)عن موقع يهودي بعنوان (عن الهولوكوست) وهو موقع إسرائيلي حديث.

الكاتب اليهودي مفندًا لتلك المزاعم الثابتة عليهم ومدافعا عن التهم الحقيقية ضاربا لذلك أمثلة أراد أن ينفيها عن اليهود ومن تلك الأمثلة قوله:

١- الدعوة إلى قتل اليهود أو المشاركة الفعلية في قتلهم، أو تبرير قتلهم أو الإقدام الفعلي على قتال اليهود أو إيذائهم باسم أيدلوجية راديكالية أو وجهة نظر دينية متشددة أو القيام بأعمال أخرى من هذا القبيل.

٢- إثارة مزاعم كاذبة أو نمطية تنطوي على شيطنة اليهود ووصفهم أو وصف قواهم المزعومة كجماعة بأوصاف لا إنسانية،[١] منها على سبيل المثال لا الحصر، الأسطورة التي تدور حول مؤامرة عالمية يهودية مزعومة، أو سيطرة اليهود على وسائل الإعلام والأقتصاد والحكم وغيرها من الأجهزة الإجتماعية[٢].

٣- اتهام اليهود كشعب بمسؤلية ظلم حقيقي أو متخيل أرتكبه فرد أو جماعة من اليهود[٣] أو حتى أفراد من غير اليهود.

٤- نفي حقيقة وقوع إبادة الشعب اليهودي على أيدي الحزب القومي الإشتراكي الألماني ومؤيديه وشركائه خلال الحرب العالمية الثانية - أي: الهولوكوست - أو نفي أبعاد الهولوكوست الحقيقية وآليته وكونه عملا مدبرًا ومعتمدًا.

٥- اتهام اليهود كشعب أو إسرائيل كدولة باختلاق الهولوكوست أو بتضخيم أبعاده[٤].

٦- اتهام المواطنين اليهود (أي: المقيمين في دول العالم) بأنهم أكثر ولاء لإسرائيل أو للأولويات المزعومة لليهود على مستوى العالم، منهم لمصالح بلدانهم.

أما عن الوسائل التي تستخدمها اللاسامية في التعبير عن نفسها بالنسبة لدولة إسرائيل فيستطرد التقرير اليهودي قائلا:

(١) وماذا سيقولون عن وصف توراتهم بأوصاف قاسية- كما ذكرنا- وكلها شيطانية، فهل توراتهم كاذبة؟

(٢) يريد الكاتب اليهودي أن ينفي حقائق أصبحت من مُسلَّمات العصر الحاضر.

(٣) وماذا عن مذابح اليهود في فلسطين منذ احتلالها وحتى الآن ؟ وكلها مسجلة بالصوت والصورة.

(٤) إن تضخيم أبعاد مايسمى بالهولوكوست هي من الحقائق المؤكدة التي أعترف بها اليهود وغير اليهود من المسيحيين الغربيين وذلك لأبتزاز الحكومات الألمانية المتعاقبة -بعد سقوط النازية - وحتى الآن، بما في ذلك أيضا الحكومات الأوروبية الأخرى وكل ذلك تحت زعم الاضطهاد لليهود.

- نفي حق الشعب اليهودي في تقرير مصيره من خلال الإدعاء بأن دولة إسرائيل مشروع عنصري[١] .

- استخدام الرموز والصور التي كانت تستخدمها اللاسامية الكلاسيكية (من إدعاء بأن اليهود قتلة المسيح وإشاعة للفرية القائلة بأن اليهود يقتلون الأطفال المسيحين لاستخدام دمائهم في طقوس دينية وما إلى ذلك، في وصف دولة إسرائيل أو الإسرائيلين،[٢] هذه هي تبريرات اليهود لأستخدام أو اختراع مصطلح اللاسامية بمعناها التقليدي وغير التقليدي- حسب مفهومهم-

إن مفهوم السامية فى الفكر الإسرائيلى يعتمد على الروابط السياسية والثقافية والجغرافية أكثر من اعتماده على صلات القرابة والروابط الشعبية، ومن المعلوم أن مفهوم السامية قد تعرّض للتسييس لخدمة أهداف اليهود، والواقع يُكذّب ادعاءهم حيث أن الكثير من اليهود اليوم ليسوا ساميين من حيث أصلهم العرقى، وذلك باعتراف اليهود أنفسهم بأن ٨٢٪ من المنضمين إلى الحركة الصهيونية هم من الأشكناز -أى: يهود غير ساميين- وليست لهم علاقة عرقية تاريخية بفلسطين.

إذن يهود اليوم عبارة عن خليط مُركَّب ومزيج مُعقَّد شاركت فيه مختلف الأجناس البشرية في العالم بسبب الانتماء الديني الضيِّق، وهى الرابطة الجامعة فيما بينهم وليس رابطة الأعراق والأنساب ولُحمة الدم، وقد اختلف اليهود أنفسهم في تعريفهم: من هو اليهودي؟

وسوف نُلقي مزيدًا من الضوء حول هذا الموضوع في الفقرة القادمة...

١- وهي كذلك باعتراف اليهود أنفسهم، فالحاخام اليهودي (ديفيد وايز) زعيم حركة (ناطوري كارتا) والناطق باسمهم يقول :إن دولة إسرائيل عنصرية وهو وجماعته ضد إنشاء دولة إسرائيل.

٢- والحقيقة تؤكد ذلك، فإن الإسرائيلين جميعا قتلة الأطفال والنساء والشيوخ ومن مصاصي دماء الشعب الفلسطيني والعربي منذ أن وطأت أقدامهم النجسة أرض فلسطين المقدسة والطاهرة، فإن أصابعهم قد تنجست بدم الأبرياء من الأطفال والنساء والعجزة من أبناء الشعب الفلسطيني وقد صدقت توراتهم التي وصفتهم بقولها : "إن أيديكم قد تنجست بالدم وأصابعكم بالإثم." (سفر إشعياء، الإصحاح ٣/٥٩)

- راجع الموقع اليهودي (الهولوكوست) والذي ألقى فيه الأمير الحسن بن طلال (ولي عهد مملكة الأردن سابقا) كلمة بمناسبة افتتاح ذلك الموقع والجدير بالذكر أن كاتب أو كُتّاب ذلك الموقع من اليهود المتعصبين لدولة إسرائيل وكتاباتهم بها كثير من التحيز للصهيونية وهم ينقلون من الكتب ما يحلوا لهم وما يؤيد فكرتهم الاستعمارية لأرض فلسطين العربية ومن ذلك نقلهم على سبيل المثال من كتاب (قصة الحضارة لول ديورانت) وذلك لاستدرار عطف القارئ العربي عما يسمى بالهولوكوست.

من هو اليهودي؟

انقسم اليهود إلى فريقين أثناء العقود الثلاثة الأخيرة حول مسألة: من هو اليهودي؟أصوليين وإصلاحيين :

١ - والنمط الأصولي هو الذي يسعى أصحابه إلى عدم إحداث أي تغيير في المفاهيم الدينية الموروثة، وهذا النمط هو الذي تتحرك حوله بقية الحركات الدينية، وتتخذه محورًا لفكرها، تُحدث فيه ما تراه من تعديلات تناسب ما تدعوا إليه من عقيدة، وهو في نفس الوقت الأصل الذي تتفرع عنه الحركات الدينية التي تضطر إلى اتخاذ موقف من هذا الأصل فتقبله أو تُغيّر منه، على حسب رؤيتها الجديدة ونظرتها إلى ما يتضمنه هذا الأصل من عقائد[١].

٢ - أما عن الإصلاحيين فهذا النمط يحاول أتباعه إدخال كثير من التعديلات على العقيدة الأصلية، وإن اضطره هذا إلى التخلي عن الأفكار التقليدية الموروثة إن ثبت عدم جدواها... وقد يكون هدف الإصلاح تنقية العقيدة الأرثوذكسية مما دخلها من عناصر غريبة عليها، والعودة إلى حالتها الأولى، وقد يكون الهدف من الإصلاح هو التجديد، ومسايرة العصر بالتخلي عن العقائد التي تقف عقبة فى سبيل تحقيق هذا الهدف[٢]".

إلا أن كلا من الأصوليين العصريين والمتعصبين يتهمون حركات الإصلاح بأنها وسعت من نطاق المواجهة في الحرب على الأصولية وخاصة حول مفهوم الانتساب إلى الدين اليهودي في العصر الحديث، فمثلاً يقولون بإن نصف اليهود الأمريكيين تزوجوا من غير اليهوديات، فهل أولادهم من اليهود؟ إن الشروط الإصلاحية للتحول إلى اليهودية غير معترف بها من قبل الأصولي، بل ويعتبرونها موضوعًا

(١) بتصرف من تاريخ الديانة اليهودية للدكتور محمد خليفة حسن ص٢٣٧.
(٢) المرجع السابق ص٢٣٩.

هزليًا... وعلى سبيل المثال يقول الحاخام (موشي سيزر) رئيس أجوادث إسرائيل في أمريكا:

"أن تلتحق بنادي رياضي بالمدينة أصعب من أن تصبح واحدًا من أبناء الشعب اليهودي" حيث أنه ينظر إلى التشريعات الإصلاحية الحديثة في الديانة اليهودية كبدعة ويقول: "إن السلوك الفردي غير المسئول فى التاريخ اليهودي المعاصر هي التى أدت إلى القواعد الإصلاحية المتعلقة بالزواج والطلاق، وهي اتجاهات هرطقة دخيلة تسمح بدخول غير اليهود بين العناصر اليهودية وستؤدي فى يوم ما إلى إلغاء الشخصية اليهودية الأصلية بالكامل"(١) وبعد الإعلان عن قيام إسرائيل أصبح اليهودي الإسرائيلي، أو الصهيوني اليهودي تعريف آخر: يقول ابن جوريون:

"إن الصهيونى هو اليهودي الذي يريد العودة إلى جبل صهيون، وهو اليهودي الذي يحس أنه إذا كان يعيش فى أي بلد آخر غير إسرائيل فهو يعيش فى المنفى، وأنه آن الأوان لانتهاء عصر النفى والتشرد، ولابد من العودة إلى أرض إسرائيل.. إن ما ربط بين اليهود وجعل تلك الصفات الأخرى، كالدين، والعنصر، واللغة، صفات قابلة لأن تجمعهم من جديد هو صفة أخرى أساسية هي: رؤيا العودة، والإيمان بأن الخلاص هو في العودة إلى جبل صهيون، حيث أقام داود معبده الأول، أي:إلى الأرض... أرض إسرائيل(٢)".

وهذا الرأي الذي اتخذه ابن جوريون جاء بعد استشارة أكثر من خمسين من علماء اليهود داخل إسرائيل ومن يهود الشتات والذين يمثلون جميع اتجاهات الفكر اليهودي ووجه إليهم سؤالاً محددًا وهو: كيف تستطيع دولة إسرائيل أن تسجل

---

(١) الأصولية اليهودية: العقيدة والقوة لديفيد لانداو ص ٣٥٥.

(٢) راجع مذكرات ابن جوريون.

الأطفال لأب يهودي ولأم غير يهودية؟ وقد وصل لابن جوريون جواب من علماء اليهود بالموافقة على تسجيل الأطفال كيهود وقد تلاشت هذه النظرية بعد أن مكنت الانتخابات ابن جوريون أن ينصب وزيرًا للداخلية ينتمى إلى الحزب القومي الديني (الأصولي) والذي أبطل بدوره على الفور جميع إجراءات سلفه وعاد السؤال من جديد: من هو اليهودي الحقيقى؟

قانون العودة:

"عندما اجتمع في قائمة متحف تل أبيب أعضاء المجلس الوطني، الذين كانوا يمثلون اليهود في فلسطين والحركة الصهيونية العالمية وأعلنوا إنشاء دولة اليهود، اجتمعت اللجنة المعنية لصياغة المسودة الأخيرة لإعلان الاستقلال، أصرّ العضو الديني في هذه اللجنة الحاخام (ي.ل. فيستمان) على أن تحتوى العبارة الأخيرة في مسودة الإعلان إشارة إلى (إله إسرائيل) بينما عارض العضو الماركسي (أ.ز. يسلينج) أية عبارة دينية، عند ذلك اقترح بن جوريون حلاً وسطًا وهو العبارة: (برعاية ودعامة إله إسرائيل) وكلمة (دعامة) هنا إما أن تعني إلها في نظر المتدينين، أو دعامة في نظر العلمانيين وأقرّ قانون العودة الذي صدر في ٥ يوليه سنة ١٩٥٠م حق العودة لكل يهودي فى العالم إلى إسرائيل والهجرة إليها بلا قيد أو شرط، بل إنه ينص فى المذكرات التفسيرية الصادرة معه على أن هذه الهجرة ليست حقًا، وإنما هي واجب على اليهود، ويطابق هذا القانون ما وردفي إعلان قيام الدولة العبرية في ١٥ مايو ١٩٤٨م والذي تسميه إسرائيل "وثيقة إعلان الاستقلال" إذ ينص على أن: "الدولة الإسرائيلية ستفتح أبوابها لهجرة اليهود المنتشرين في كافة أنحاء العالم".

أما وزير الخدمات الاجتماعية الحاخام (إسحاق مائير ليفين) من الجبهة الدينية المتحدة فقال: إن مشكلة الدستور ليست سياسية إلا أنها قضية وجود تتعلق بفحوى اليهودية، إن النقاش حول الدستور يعني تحري طبيعة الميزة التي تتميز بها

دولتنا، والتي تنقلنا من مجموعة أفراد إلى أمة موحدة... والسؤال الأول الذي تثيره المناقشات حول الدستور هو: ماذا نحن؟ وماذا هو الشعب اليهودي؟ هناك وجهتا نظر إزاء هذه المشكلة: إحداهما تقول: إننا شعب كبقية الشعوب الأخرى، أي: أنه هناك شعوب متعددة في العالم ونحن أحد هذه الشعوب مثلهم لا أكثر ولا أقل.

ووجهة النظر الثانية تقول: إننا شعب مميز ولا مثيل له، أي شعب الله، وفي الاختلاف بين هاتين النظرتين تكمن المشكلة برمتها... ولهذا عندما نحاول أن نخلق دستورًا لإسرائيل، لا يوجد أمامنا خيار سوى الرجوع إلى أنفسنا، وسنجد أنفسنا (عُدّ إلى إسرائيل، إلى ربك) يجب إيجاد أنفسنا، وعلينا أن نرفض الميراث الغريب برمته والعودة إلى أصولنا وجذورنا، والعدالة الاجتماعية واردة في الكتاب المقدس وفي رؤيا الأنبياء، واسمحوا لي بالقول بأن كل الأنبياء، وبدون تمييز، قد ركزوا على ان بإمكان الشعب اليهودي الاحتفاظ بوجوده، وذلك بتقيده بالكتاب المقدس الذي هو من الله، الذي هو مصدر كل القوانين الدينية، وإذا ما قرأتم الكتاب المقدس ستجدون أن الأنبياء قد أقروا إمكانية تواجدنا على هذه الأرض وذلك إذا ما تقيدنا بالكتاب المقدس[1].

ويقول إسحق دويتشر:

"إن كثيرين من الصهيونيين يؤمنون بالكيبوتز (هالوغوت)، أي: بعودة جميع اليهود العائشين فى بلاد المهجر، فهم يرون أن كل يهودي يقيم خارج إسرائيل، هو بالضرورة شخص منفي، إن عليه التزامات حيال الدولة الجديدة، لأن واجبه الأسمى هو أن يصبح مواطنًا إسرائيليًّا وبالمقابل فإن الشباب الإسرائيليين، ولاسيما الـ(صابرا) الذين ولدوا ونشأوا فى البلاد لا يحسون بأنهم ينتمون إلى اليهودية العالمية وبالتالي فإنهم لا يرون أن اليهودية العالمية تنتمي إلى إسرائيل،

---

(١) محاضر الكنيست بالعبرية ج ٤/٨٠٨: ٨١١ محضر جلسة ١٣/٢/١٩٥٠م نقلاً عن موقع مجلة فلسطين.

بل يذهب بعضهم إلى حد التصريح بأنهم إسرائيليون وليسوا يهوداً أما بنود قانون العودة الذي صدر فى ٥ يوليو عام ١٩٥٠م فينص على:

١ - لكل يهودي الحق فى الهجرة إلى إسرائيل.

٢ - أ - ستكون الهجرة وفق تأشيرة هجرة.

ب - سيتم إصدار تأشيرة إلى أي يهودي يرغب في العيش في إسرائيل ما عدا إذا كان وزير الهجرة مقتنعًا بأن طالب الهجرة: يعمل ضد الأمة اليهودية، أو يمكن أن يهدد الصحة العامة أو أمن الدولة أو يكون له ماض حافل بالإجرام ويهدد الأمن العام في إسرائيل.

٣ - أ - إن اليهودي الذي يأتي إلى إسرائيل، وبعد وصوله يعرض عن رغبته فى الاستقرار فيها، يحصل على شهادة مهاجر.

ب - والذين لا يحصلون على شهادة مهاجر بسبب أحد الأمور الواردة في البند (٢) من قانون العودة فإنهم سيقدمون طلبًا، بالنسبة إلى شهادة الهجرة، على أنهم لا يشكلون تهديدًا للصحة العامة نتيجة مرضهم، حيث سيتم إجراء التعاقد معهم بعد وصولهم إلى إسرائيل.

٤ - يتمتع بنفس الأوضاع التي يتمتع بها كل مهاجر وفقاً لهذا القانون، كل يهودي هاجر إلى إسرائيل قبل أن يصبح هذا القانون نافذ المفعول، وكل يهودي قد وُلِدَ فى إسرائيل قبل أو بعد أن يصبح هذا القانون نافذ المفعول.

٥ - يُفوَّض وزير الهجرة بتطبيق هذا القانون وبإجراء الترتيبات المتعلقة بتنفيذ إصدار (فيَز) وشهادات الهجرة.

إن قانون العودة متعلق، بصورة مباشرة، بقانون المواطنة، الذي ينص على أن أي يهودي يأتي إلى إسرائيل بموجب قانون العودة يصبح، بصورة أوتوماتيكية،

مواطنًا إسرائيليًّا، وليس من الداعى أن يمرَّ المهاجر اليهودي بأية إجراءات قانونية لكي يصبح مواطناً، وعلى عكس ذلك، وليس من الغرابة إذا ما وردت فى وثيقة إعلان قيام إسرائيل عبارات تُظهر الروابط ما بين الشعب اليهودي ووطنه القديم، وقد جاء في هذا الخصوص: "إن دولة إسرائيل ستفتح أبوابها أمام هجرة اليهود المتواجدين فى جميع أنحاء العالم" و في مكان آخر من وثيقة إعلان إسرائيل جاء نداء إلى: "جميع يهود العالم بأن يقفوا إلى جانبنا فى عمليتى الهجرة والبناء وفى كفاحنا من أجل تحقيق حلم الأجيال.

ويستطرد بن جوريون:

ومن حق كل يهودي، من زاوية تاريخية، العودة والاستقرار في إسرائيل سواء كان ذلك راجعًا إلى كونه قد حُرم من حقوقه في المنفى أو لحماية وجوده أو لأنه لا يستطيع أن يعيش الحياة اليهودية التى يطمح إليها، أو لأنه يحب تقاليده القديمة والثقافة العبرية، والاستقلال اليهودى وإن قانون المواطنة يُكمّل قانون العودة، وهو ينص على أن أي يهودي فى الشتات يعود إلى وطنه، يتم منحه بطاقة المواطنة"[١].

في ٢٥ يونيو من عام ١٩٥٨م، انتابت الإسرائيليين الدهشة لدى قراءتهم فى الصحف الإسرائيلية مانشيتات فحواها أن وزيرين فى الحكومة الإسرائيلية، وهما زعيمان للحزب الوطني الدينى قد استقالا من منصبيهما وذلك بسبب الإجراءات الجديدة التى وضعها وزير الداخلية (بار يهودا) وهو عضو فى حزب (المابام) (أي: حزب العمل الصهيوني الماركسي) والتى تفيد أنه إذا أعلن أي طفل إسرائيلي بأن ولدهما يهودي يجب تسجيله رسميًّا بأنه كذلك، واستنادًا إلى القانون اليهودي الدينى (هالاخا)، فإن اليهودي هو الشخص الذي وُلِدَ من أم يهودية أو الذي

(١) عن خطاب بن جوريون أما الكنيست الذي ألقاه عقب إعلان قانون العودة فى ٣ يونيو/ ١٩٥٠م.

اعتنق اليهودية، وقد صدرت الإجراءات الآنفة لتنظيم تسجيل الأولاد من زواج مختلط وخصوصًا أولئك الذين أمهاتهم غير يهوديات وهاجرن مع أزواجهن إلى إسرائيل...

وأصرت الأحزاب الدينية، فى هذا الصدد، على أنه إذا لم تعتنق الأم اليهودية الأرثوذكسية، فلا يمكن تسجيل ولدها على أنه يهودي، وأما أحزاب العمل الصهيونية فقد أصرت على أنه يجب التسجيل حسب الوضع القومي للولد، لأن ذلك سيعود إلى هيمنة الدين، ولكن هذا أغاظ الأحزاب الدينية التى كانت تصرُّ على أنه يجب عدم الفصل بين الدين والقومية كما تنص اليهودية، حدثت هذه المواجهات بين الطرفين خلال اطول مناقشات عرفها الكنيست.

فأما عضو الكنيست الذي استقال من منصبه بسبب مسألة من هو اليهودي؟ وهو الدكتور جوزيف بيرغ وزير البريد أبان حكومة بن جوريون عام ١٩٥٨م فقال فى محضر الجلسة الذي تم يوم ٨ يوليو عام ١٩٥٨م صفحة ٢٢٣٢: "إننى أعرب عن بالغ حزني وذلك بصفتي يهوديًا، مثقفًا وصهيونيًا متدينًا، وبصفتي شخص قد نشأ على التعاليم المقدسة وعلى حبه للناس، وكَوْنى من المعسكرين المتدين والعمالى، أطمح إلى تجنب النزاع ما بين المعسكرين المتدين والعمالى، وإننى أتوق إلى ردم الفجوة ما بين المعسكرين لأمنع الشقاق الذي سيبتلعنا جميعًا... ولا أرى مبررًا لمواصلة اشتراكي بالحكم وذلك في ظل القرار الذي يدور حول (من هو اليهودي؟) إذ أن هذا الخلاف يُعرّض البلاد بأسرها للخطر... فما هو معنى هذا القرار، إنه مجرد عبارة كافية لتغيير شخص غير يهودي إلى يهودي، كما أن هذا القرار ينص على انه لو كان الشخص غير يهودي، استنادًا إلى التقاليد المتوارثة، فإنه يُسجّل على أنه يهودي، وهذا يعني أنه لا توجد حاجة للقيام بعملية تحويل من معتقد إلى آخر، مما سيؤدي بدوره إلى تزعزع الوحدة التاريخية للأمة والدين... إننى أقول إلى الأمة وإلى العالم: إننا -كمتدينين- لا نطالب بتحويل معتقد إنسان غير يهودي إلى اليهودية عن طريق شخص غير يهودي، وإننى لا أحدّ الحريات المدنية لأي

شخص عن طريق وثائقة الدينية، ولكنني أقول إنه يجب عدم تسجيل أي إنسان على أنه يهودي إذا كان غير يهودي فى نظر ديانتنا، أو إذا كان غير يهودي فى ديانته أو ديانه والديه... دعوني أفترض لفترة وجيزة أن الشعب في صهيون البالغ عدده مليون و٨٠٠ ألف يهودي (فى ذاك الوقت) يعيشون فى هذه البلاد، أتفق على أن بإمكان غير اليهودي تسجيل نفسه أنه يهودي... أليس لليهودي فى بلاد الشتات رأي فى مفهوم (من هو اليهودي؟) هل لدى الحكومة الإسرائيلية الحق في تحديد من هو الإسرائيلي أو اليهودي فى الوقت الذي تعيش الغالبية العظمى من اليهود فى الخارج؟ فأين عدالة الرأي العام في هذا؟ وأين هى العدالة اليهودية؟ وهل هذا معنى المركز الروحي الذي أردنا إقامته هنا؟ وهل هذا معنى وطن الأمة الذي أردنا إنشاءه هنا؟ إن المعنى هنا قضايا مختلطة بسبب اختلاط الإرادات... علينا أن لا نعتبر اليهودية على أنها شأن يخص فردًا واحدًا أو جيلاً واحدًا، علينا أن نأخذ في الاعتبار هذا الجيل، والأجيال اللاحقة... ما هي نتيجة قرار هذه الحكومة الغامضة؟ إذ أن أولئك الذين يهاجرون فإنهم لن يلقوا تشجيعًا لتنتشر جذورهم هنا، وكلنا نعلم أن الزواج المختلط وتغيير العقيدة من دين إلى آخر يعودان إلى عمليتى الاستيعاب والامتصاص أليس دولة إسرائيل قد أقيمت للتخفيف من عملية الامتصاص؟ ألم نأت إلى هنا للبناء وليس للهدم؟ ألم يضح بعضنا بدمه والبعض الآخر بماله من أجل إقامة هذه الدولة؟ هل أتينا إلى هنا من أجل تكوين (ألبانيا) أم مونتينيغرو) أو لحفظ الميراث التاريخي لشخصيتنا التاريخية ولوعينا اليهودى، ومن أجل الهدف اليهودي...

إننى لا أتكلم هنا كوني حزبيًّا، ولا كوني أحد أفراد طائفة، إننى أتكلم من منظور يهودي واسع: دعونا ندعو إلى عدم تمزيق سلالة الشعب اليهودي وأيّ إنسان يُمزّق سلالة اليهود يُمزّق السجل الوحيد الذي يُبرز عودتنا ووجودنا هنا... لا تُمزقوا وحدة الأمة... لا تُقسِّموا الأمة بسبب قضايا فردية، لا تسمحوا بتسجيل الإنسان أنه يهودي بدون تغيير دينه ومعتقده... لا توافقوا على الفصل بين الدين والأمة، لأن من

يفعل ذلك يقضي عليهما سويًا... ومهما كان تعريف هذين اللفظين فإنهما يعبران عن الفردية التاريخية فى وجود ما نسميه بـ (الشعب اليهودي) لا تساهموا في هدم الجسور بين يهودي وآخر... إننى لا أملي عليكم درسًا في الفلسفة، بل إنى أطالب باليهودية لقد وفدنا إلى هنا لكي ننقذ اليهود واليهودية..."(١).

ومع أن خطاب العضو الدكتور (بيرغ) أمام جلسة الكنيست كان مُفعمًا بالعاطفة، إلا أنه قدّم للصهاينة ثلاثة أسئلة دبت فيهم الحيرة وهي:

أولاً: هل تريد الصهيونية تنفيذ مبادئها الإلحادية وأن تخاطر بمواجهة اليهود المتدينين مواجهة ثقافية...

ثانياً: ألا تريد الصهيونية قيام دولة يهودية كباقي الدول لامتصاص اليهود فى العالم.

ثالثاً: لماذا اختار الصهاينة فلسطين، عوضاً عن اختيارهم أوغندا، مثلاً لتكون دولتهم؟ وكيف يعللون حقوقهم الوطنية في صهيون إذا هم رفضوا الميراث الديني اليهودي؟

وعلى الرغم من أن الحياة الصهيونية قد أثبتت أن هذه التساؤلات مثمرة، إلا أن معظم أعضاء الكنيست قد تجاهلها أو رفضها ومع مرور الزمن، تراجعت الأفكار العلمانية لتحل محلها الأفكار الدينية التي لا تزال قائمة حتى أيامنا هذه...

أما عضو الكنيست (بيريتز بتر نشتين... من الصهاينة العموميين) فقد قال: "أود أن أذكركم بالفترة التي أعقبت قيام هذه الدولة: إذ كان وضع الدستور أو المشاكل التى واجهتنا، فلماذا لم نحصل على دستور؟ أعتقد أن ذلك يعود إلى المشاكل الصعبة الناجمة عن رفض بعض الناس اعتبار أنفسهم متدينين، وقد

---

(١) محاضر الكنيست، محضر يوم الخامس من يوليو/١٩٥٨، صفحات ٢٢٣٣ - ٢٢٣٥ عن موقع مجلة فلسطين.

تركوا الإيمان بالله، وعارضوا الدستور المبني على قانون التعاليم الإلهية الذي تطور من الكتاب المقدس... وكان هناك وجهة نظر بين أوساط دينية عديدة تفيد بأنه لا يمكن إقامة إسرائيل على أساس ديني، ولذا من الأفضل إرجاء وضع دستور للبلاد على أساس العيش على الحلول الوسط على أن يكون هناك تأثير ديني على الحياة العامة فى البلاد... لقد قال وزير الداخلية لا شيء جوهري قد تغيَّر مع أن إجراءاته وتوجيهاته تفيد أن الحاخامية يجب أن تقرر مَن هو اليهودي فى الدين اليهودي؟ إلا أن الحكومة يجب أن تقرر منَ هو اليهودى من الناحية القومية؟ وهذه قضية حاسمة لأنها تعنى الفصل بين سلطتين، وهذا بدوره يعني الفصل بين الأمة والدين، وهنا، فإننا نواجه مشكلة الشعب اليهودي واليهودية، وذلك على نقيض العديد من الدول الأخرى، بل كل الدول الأخرى، وحتى مائتي عام كانت الوحدة بين الدين والأمة أمرًا فرديًا جليًا... إذ أنه قبل هذا الوقت لم يكن أي يهودي يشك في هذه الوحدة.. وأما اليوم، فإن العديد منا ينظر إلى الدين نظرة سلبية، أو أننا لا نتقبل عقيدة دينية، وبالنسبة لي، من المستحيل تصور العودة إلى صهيون بدون تقبل معنى صهيون... لماذا نعتبر أورشليم عاصمتنا؟ ولماذا جعلناها عاصمتنا على الرغم من كل قرارات العالم؟ وبعد قرون من انتصار الكنعانيين، بفضل شعب إسرائيل، على أورشليم التى قهرها داود... ولذا فى رأيى من المستحيل التحدث عن الاستمرارية التاريخية للشعب اليهودي فى أرض إسرائيل ودولة اليهود فى الوقت نفسه نتجاهل تاريخنا برمته والذي يمنحنا الحق في أن نكون هنا...

لم يكن عضو الكنيست (بيرتيز بيؤتشتين) يهوديًا متدينًا، إلا أنه أدرك أن الصهيونية العلمانية، إذا كانت حركة ملحدة وانحرفت عن السلطتين الدينية واليهودية، فإنها، عندئذ، لن تُحرر نفسها من الديانة اليهودية، وعندها يمكن إقامة دولة لليهود فى أماكن عديدة غير صهيون، وأولئك الذين يُصروّن على إقامة إسرائيل في صهيون يفعلون ذلك لإيمانهم بأن قوميتهم وثيقة الصلة بالدين اليهودي.

أما الحاخام (أي. أم ليفين) أحد قادة حزب أغودات إسرائيل والذي غيّر موقفه من معاداة للصهيونية إلى داعم لها فقد قال:

"يُظهر تحليل للمناقشة التي يتداولها الكنيست أننا أمام أزمة فى الأمة ولسنا أمام أزمة حكومية، ولا تعود جذور هذه المشكلة إلى أسابيع خلت، وإنما إلى ١٥٠ أو ٦٠ سنة، إذ أن (من هو اليهودي؟) وتحديد: من هو الشعب اليهودي؟ قد تمت إثارتها في ذلك الوقت، ومن الصعب معالجة هذه المشكلة خلال دقائق معدودة، وهناك تعريفان للشعب اليهودى: أولهما، يؤكد على أننا شعب الله المختار، وأن كل يهودي هو جزء مكمل لهذا الشعب.

وثانيهما: يؤكد على أن اليهود (شعب كبقية الشعوب) وهاتان وجهتا نظر متناقضتان، فقبل ١٥٠ سنة بدأت فترة (التحرير والانعتاق)، وقبل ٦٠ سنة بدأت حركة المنظمة الصهيونية أو (الانبعاث الوطنى) واستنادا إلى هذا المفهوم، فإن الدين هو شأن خاص بينما القومية هي العلاقة الأساسية التي ترتبط بالشعب، ولم يُنقِّب المتدينون الذين انضموا إلى حركة (الانبعاث الوطنى) عن جذور الحركة الوطنية، وأخطأوا فى تفسير ادعاءاتهم، وفشلوا فى إدراك ما الذي يجعلهم فى صراع مع ضميرهم الدينى، واغتاظوا من الحكماء اليهود الذين عارضوا حركتهم ومن ثَمَّ، إدراك الحكماء اليهود أن الأزمة الروحية للأمة اليوم تعود إلى هذا المفهوم.

وتكوَّن هذا التشويش الكبير نتيجة لمحاولة اجتناب الضمير الديني من قلب اليهودي وخلق مكانه ضميرًا قوميًا، ومن ثَمَّ تمَّ إنشاء الدولة، وحاولنا إقصاء الدولة، كأداة عامة، من هيمنة الصراع الأيديولوجى، وحتى قبل قيام الدولة، تلقت حركة (أغودات إسرائيل) وعدًا بأن الدولة لن تمس الأسس الدينية، كما أنه سيتم حماية الزواج والطلاق الدينيين، وإننى آمل أن لاتساهم الدولة في تعميق هذه الأزمة بين صفوف الشعب، وعلينا ابداء المزيد من الاحترام تجاه اليهود المتدينين... وفى أعقاب تغير الأمور، رفض القادة الذين كوَّنوا هذه الدولة اعتبارها بأسرها أداة يهودية كما أن هؤلاء بدأوا يسيرون على هدي العلمانيين إننا نعلم من هو اليهودي، ومن هو الشعب اليهودي؟

وبدون ديانه... لا توجد رؤيا، وبدون رؤيا سيضيع الشعب.. لقد كوّن الكتاب المقدس منا شعبًا، وعلينا أن نحافظ عليه، وكما يقول الحاخام (سعديا عاون): إن ديننا هو الذي يخلق أمتنا... وهو الرباط القوي الذي يجمعنا في أمة لا مثيل لها"[١].

وبشهادة اليهود أنفسهم فيما نقلناه من محاضر جلساتهم في الكنيست الإسرائيلى حول تعريف من هو اليهودي؟ يتضح أنهم يُقسمون التعريف إلى قسمين:

التعريف الأول: هو ما قبل الدولة اليهودية ويعرفون اليهودي بأنه المولود من أم يهودية فقط، وذلك حسب ما نطقت به شريعتهم، أو من اعتنق الديانة اليهودية عن اقتناع.

التعريف الثانى: وهو ما تم بعد قيام الدولة العبرية واختلفوا حوله الآن وهو أن كل مولود يُولد في دولة إسرائيل فهو يهودي حتى وإن كان من أب يهودي وأم غير يهودية وقد شهدت المحاكم الإسرائيلية وحتى الآن العديد من القضايا التى رفعت لإثبات يهودية من وُلِدَ من أم يهودية...

والخلاصة:

أن الإسرائيلى في مفهوم دولة يهود هو أولاً وأخيرًا اليهودي المقيم فى إسرائيل واليهودي المقيم فى خارج إسرائيل أيضا بشرط أن يكون صهيونيًا متمسكًا بالولاء لإسرائيل وذلك حسب تعريف بن جوريون السابق وهو:

---

(١) نفس محضر الكنيست السابق بنفس التاريخ والصفحات هى: ٢٢٤٧-٢٢٧٢-٢٢٧٤.ويا ليت قادة وزعماء العرب يتعلمون من اليهود احترام دينهم وتقديسه كما يفعل اليهود.

أن الصهيوني هو اليهودي الذى يريد العودة إلى جبل صهيون وهو اليهودى الذى يُحس أنه إذا كان يعيش فى أى بلد آخر غير إسرائيل فهو يعيش فى المنفى [1] وعلى ذلك ومن خلال تعريفات من هو اليهودي؟ واللغط الدائر حوله كما أثبتنا ذلك من المصادر اليهودية نفسها يتضح أن يهود اليوم ليسوا يهودًا وبالتالي فهم لا ينتمون إلى السامية التي يدَّعون ظلمًا وعدوانًا وبهتانًا الانتساب إليها... فما هى الجذور التاريخية لمعاداة السامية؟

الجذور التاريخية لمعاداة السامية:

بعد خراب أورشليم عام ٧٠ ميلادية وتشتت اليهود فى جميع أنحاء العالم أخذ كثير منهم فى العمل التجاري المقترن بالربا مما أثار كراهية الجميع منهم، وفي الديانة المسيحية نجد أن أوريجينوس ويوحنا وأغطينوس ينظرون إلى شعب الله وأورشليم وصهيون والهيكل والذبائح بالمعنى الروحى الرمزى، فعندهم شعب الله هم المؤمنون بالمسيح فى كل زمان ومكان، وأورشليم والمذبح والهيكل عندهم هى الكنيسة والعهد الجديد، وكانت تعاليمهم بشأن اليهود مستندة إلى الآية التى وردت فى الإنجيل فى رسالة بولس إلى أهل تسالونيكى والتي تقول: "بأن غضب الله قد أدرك اليهود إلى النهاية" (٢ / ١٦) وفى الكنيسة الكاثوليكية وفى عهد البابا جريجوري (٥٩٠ - ٦٠٤م) فلقد نادى هذا البابا بأن اليهود لم يكونوا عُميانا عن رسالة السيد المسيح وأنهم مسئولون مباشرة عن صلب المسيح، ولقد كانت هذه النظرة هي البذور الأولى للعداء ضد اليهود وظهور الحروب الصليبية ومع بداية هذه الحروب أسس الصليبيون مملكة في أورشليم، وأتسمت معاملتهم لليهود بالقوة والاضطهاد، ومع ظهور محاكم التفتيش في أسبانيا وإيطاليا بدأت حقبة جديدة فى اضطهاد اليهود حيث أشاعت هذه المحاكم عن اختفاء الأطفال وذبحهم على يد

---

(١) الشخصية الإسرائيلية للدكتور حسن ظاظا.

اليهود وذلك لتقديمهم محرقة إلى الرب مع الفطير فى موسم الفصح مما عمّق من كراهية اليهود بصفة عامة، ثم جاءت الحركة البروتستانتية في القرن السادس عشر على يد مارتن لوثر، ففي البداية حاول لوثر كسب ود اليهود فكتب كتابًا بعنوان (يسوع وُلِد يهوديًا) فيه قدر كبير من المهانة لليهود وكان هدف لوثر من هذا الكتاب هو كسب اليهود وتحويلهم إلى البروتستانتية باعتبارهم قوة مؤيدة لمذهبه الجديد، ولما لم يستجب اليهود لدعوته أنقلب عليهم لوثر وكتب كتابًا آخر بعنوان (في اليهود وكذبهم) عام ١٥٤٣م وكان مما قاله لوثر (إن مجامعهم يجب أن تحرق، ولا يبقى أي أثر منهم، وكتاب الصلاة لليهود يجب أن يُزال من الوجود، ويجب منع الربيين اليهود من الوعظ، ثم يجب أن تهدم بيوت اليهود وأن يجمعوا كلهم تحت سقف واحد ليتعلموا أنهم ليسوا أسيادًا في بلادنا ويجب أن يُطردوا خارجًا باستمرار... وقد اعتبر كثير من المؤرخين اليهود أن لوثر هو الأب الروحي للنازية...

هذا وقد ظهر مصطلح معاداة السامية فى نهاية القرن التاسع عشر على أساس التمييز بين عرقين: العرق الآرى والعرق السامي وانتشر هذا الاعتقاد فى ألمانيا حيث أدى النشاط اليهودي فى مجالات الحياة إلى إثارة كراهية الألمان وحقدهم، وقد سبق ذلك كتابات بعض الأدباء فى أوربا لإشعال حالة الكراهية والبُغض ضد اليهود... وهذه بعض الأمثلة:

معاداة السامية في الأدب الإنجليزي:

جاءت مسرحية (تاجر البندقية) للكاتب المسرحي الشهير (وليم شكسبير) (١٥٦٤ - ١٦١٦م) لتعبر عن روح السخرية من الشخصية اليهودية من خلال شخصية (شيلوك) التاجر اليهودي المرابي العجوز، ولقد أصبحت هذه الكلمة جزءًا من القاموس الانجليزى وأصبح معناها: الرجل الطماع الشره الذي لا تعرف الرحمة طريقًا إلى قلبه بالمعنى الاصطلاحى للكلمة، كما كتب الروائي العالمي (تشارلز ديكنز ١٨١٢-١٨٧٠م) روايته الشهيرة (أوليفر تويست) حيث صوَّر فيها

شخصية اليهودي بشخص عجوز شرير (فاجين) وكان يعمل زعيم عصابة للنشل وهو الذي استقبل الطفل البرىء (أوليفر تويسيت) ليعلمه النشل والسرقة، ولقد قيل إن ديكنز ندم على تصويره لليهود بهذه الصورة ولقد عبّر عن هذا الندم في بعض كتاباته بعد ذلك.

معاداة السامية في الأدب الروسي:

وجاء الأديب الروسي الشهير (فيدوريستوفسيكي) ١٨٢١ -١٨٨١م ليعبّر في أدبه عن الكراهية الشديدة لليهود وله كتاب شهير بعنوان (يوميات كاتب) حيث أظهر فيه اليهود بمظهر الشعب الذي يعيش في عزلة عن كل شعوب العالم، وهو شعب تحركه القسوة في شرب الدماء، لذلك فهم يعملون فى التجارة ويستغلون الطبقات الفقيرة أسوأ استغلال، ويرى ديستوفسكى أنه حتى لو أعطيت لليهود حقوقهم كاملة، فأنهم لن يتنازلوا قط عن أن يكونوا دولة داخل دولة، وعلى أي الأحوال فإن كراهية اليهودي أمر متأصل فى الوجدان الروسي منذ القدم، فمسرح العرائس الشعبى يصوّر دائمًا اليهودي بمظهر الجشع الجبان، ولقد ظهر هذا العداء أيضًا فى أدب كل من (تورجنيف ١٨٨١ -١٨٨٣م) (وجوجول ١٨٠٩ - ١٨٥٢م)، بل وحتى الأديب الروسي العالمى (تولستوي ١٨٢٨ -١٩١٠م) الذي أظهر فى أدبة نزعة إنسانية عالية لم تخلو بعض كتاباته من المعاداة لليهود..

معاداة السامية والنازية:

كانت جذور كراهية الألمان لليهود- كما ذكرنا- ترجع إلى كتابات كل من (مارتن لوثر كينج) والصحفى الألمانى ولهم، أو (فلهم) أو (وليم مار) والذي ذكرنا من قبل أنه أول من حبك مصطلح (معاداة السامية) ثم ظهر بعد ذلك الموسيقار الألمانى (فاجنر ١٨١٣ - ١٨٨٣م) الذي تأثر بكتاب (مارتن لوثر) تأثيرًا شديدًا وكتب كتابًا بعنوان (أضواء على اليهودي فى الموسيقى) مصورًا إياهم باعتبارهم تجسيدًا لقوة المال والتجارة، ومنكرًا عليهم أي إبداع فى الموسيقى أو الثقافة، ثم

نشر سلسلة مقالات بعنوان (الفن الألمانى والسياسة) اتهم فيهم اليهود بالهيمنة على الحياة الثقافية فى ألمانيا، وطالب بحرمانهم من حقوقهم السياسية وتطهير الحياة الثقافية من اليهود بالقوة أو دمجهم تماماً عن طريق الفن والموسيقى، ولقد تركت أفكار (فاجنر) أثرًا عميقًا عند (هتلر)، ولذلك كانت موسيقى فاجنر ممنوعة في إسرائيل حتى عهد قريب... ثم جاء المفكر والسياسى الإنجليزي (تشامبر لين ١٨٥٥-١٩٢٧م) وهو بريطانى المولد، تجنس بالجنسية الألمانية، وصادق (فاجنر) وتأثر بأفكاره، ثم تزوج ابنته، ولقد آمن (تشامبر لين) بتفوق الجنس الآري وأن قدرهم هو قيادة الإنسانية جمعاء، وجاء وأكد (تشامبر لين) أن اختلاط الأجناس هو سر التخلف كما أكد أن اليهود عنصر هجين ودخيل لا جذور له، وأنهم غير قادرين على الإبداع ووجودهم فى حد ذاته جريمة ضد الإنسانية، ولقد تنبأ (تشامبر لين) بالمواجهة الحتمية بين الأوربيين والساميين.

وأخيرًا ظهر (هتلر) وأسس الحزب النازي عام ١٩٢٣م وكلمة نازي هى الحروف الأولى من كلمة حزب العمال القومي الاشتراكي الألمانى والذي جعل من معاداة اليهود أحد المبادىء الأساسية لبرنامج حزبه، وقد حصل حزب معاداة السامية التى تمكن من جمع ٢٥٥ ألف توقيع يطالب بطرد اليهود من ألمانيا بل من أوربا كلها، وفى عام ١٩٣٤م أصبح الحزب النازي هو الحزب الأوحد فى ألمانيا كلها...

هذه الكراهية من الأوربيين ضد اليهود لأفعالهم المخزية وأساليبهم الجهنمية للاستحواذ على المال الذي حقق لهم ما هم عليه الآن جعل اليهود يقابلون هذه الكراهية بكراهية أشد... فبعد أن سيطر اليهود والذين تزيّوا بزِىِّ الصهيونية على مقاليد الحكم ومفاتيحه في الولايات المتحدة الأمريكية أصدر الكونجرس الأمريكى أخيرًا قانونًا شبه جماعي يحمل اسم:

(قانون مراقبة انتقاد اليهود العالمي) وذلك يوم العاشر من أكتوبر عام ٢٠٠٤م، وهذا القانون ينص على مجموعة من الإجراءات لمراقبة (معاداة

السامية) حول العالم، وإصدار تقرير سنوي يُصنِّف مختلف الدول فى هذا المجال، وينص القانون على تأسيس مكتب جديد داخل وزارة الخارجية الأمريكية تتمثل مهمته فى جمع المعلومات حول الأعمال التي تنتقد اليهود أو تتعرض لهم حول العالم... ومن ثمَّ إصدار تقرير سنوي بذلك إلى جانب تعيين مبعوث دبلوماسي خاص لمراقبة انتقاد اليهود حول العالم، والعمل على حمايتهم من تلك الانتقادات.. وقد قدّم هذا القانون عضو الكونجرس الأمريكي اليهودي (بالطبع) عن ولاية كاليفورينا (توم لانتوس) المشهور بعدائه للعرب، وتصريحاته المطالبة بالهيمنة على الدول العربية، والذي يُوصف فى المصادر الأمريكية بأنه عضو الكونجرس الحي الوحيد الذى نجا من محرقة الهولوكست- المزعومة- فى أوربا أيام الحكم النازي فى ألمانيا...

لذلك قدَّم الرئيس الأمريكي الحالي (جورج دبليوبوش) الدعم اللامحدود للسياسات الإسرائيلية العنصرية، وموافقته الصريحة على الإبادة المنهجية للشعب الفلسطيني على يد السفاح الإسرائيلى آرئيل شارون وتابعه الحالى ايهود أولمرت ومن يأتى بعده، هذا الرئيس الأمريكى هو الذي يأمر ممثل دولته فى مجلس الأمن بأن يستخدم حق ما يسمى (الفيتو) ضد أي قرار لإدانة إسرائيل وهو نفسه الذي يسارع بتوقيع القانون الذي أصدره الكونجرس والخاص بمعاداة السامية... ليس ذلك فحسب، بل إنه وقف متحدثًا أمام آلاف من المؤيدين والمتحمسين له أثناء إعادة انتخابه قائلاً: (إن الدفاع عن الحرية يعني أيضًا مهاجمة الشر الذي تجسده معاداة السامية موضحًا أن القانون الجديد سيسمح بوضع لائحة بجميع الأعمال المعادية للسامية فى العالم، ولائحة بعمليات الرد الواضحة على هذه الأعمال...

ومن اللافت للنظر أن وزارة الخارجية الأمريكية اعترضت على القانون وقال ريتشارد باوتشر المتحدث باسم الوزارة (إن تقارير منفصلة حول الديانات المختلفة ليست ضرورة حيث اننا نصدر تقارير تبحث أوضاع حقوق الإنسان

والحريات الدينية في أكثر من ١٩٠ بلدا)[1] والواقع أن قانون معاداة السامية وخصوصًا فى مجال الجزاءات التى تكفل للرئيس الأمريكى بتوقيعها على الدول التى تحدث فيها وقائع معاداة السامية، مثله مثل قانون حماية حقوق الإنسان والحريات الدينية، والذي سبق الكونجرس أيضًا إصداره -بالطبع حرية الديانة الإسلامية خارجة عن هذا القانون- هذا القانون يُعطى للرئيس الأمريكى الحق فى إصدار الجزاءات المناسبة ضد الدول التى تخرق حقوق الإنسان... والولايات المتحدة بإصدار مثل تلك القوانيين تخرق قواعد الشرعية الدولية التي لا تسمح لدولة بإرادتها المنفردة بإصدار تشريعات عن طريق مجالسها النيابية ومن ثمّ توقيع الجزاءات وفقا لتقديرها ضد الدول التي تراها تخرق قانون حقوق الإنسان والحرية الدينية أو لقانون معاداة السامية...

هذا وقد قدَّم (دافيد هاريس) المدير التنفيذي للجنة الأمريكية اليهودية تقريرًا عن معاداة السامية في أوربا فى ٢٠٠٣/١٠/٢٢م وكذلك شهادة (بول جولدنبرج) مستشار الأمن القومى للجنة الأمريكية- اليهودية في ٢٠٠٤/٥/١٦م. وكان موضوعها: "كيف يمكن للحكومات أن تكافح معاداة السامية في منظمة الأمن والتعاون فى أوربا".

وقد أسست منظمة خاصة لهذا الغرض تسمى(منظمة العلاقات الإنسانية الأولى في أمريكا) وعدد أعضائها ١٢٥ ألف عضو ومؤيد، ولها فروع في ٣٣ مدينة عبر الولايات الأمريكية ولها أيضًا برامج ومكاتب فى أجزاء أخرى من العالم بما فيها أوربا، مثل: مكتب برلين، وجنيف، وبروكسل.

وهذه المنظمة تروّج من خلال برامجها وندواتها ومنشوراتها لوجهة النظر الصهيونية فى الأحداث العالمية، بالإضافة إلى وظيفتها الرئيسية وهي الدفاع

---

(١) وهذا ليس اعتراضًا ولكنه تبرير من الإدارة التي يعمل بها المتحدث باسم وزارة خارجيتها لإصدار مثل هذا القانون من دولة تدعى أنها بلد الحريات -وإلا فقل لى بربك لماذا لم يصدر الكونجرس قانونًا عن معاداة الإسلام صراحة، أو عن معاداة النصرانية.

المطلق عن السياسات الإسرائيلية، والنقد العنيف لكل من ينتقدها، وليس ذلك فحسب بل المطالبة لعقابه... وهناك بعض الحوادث التي تثبت مدى فاعلية هذه المنظمة عالميًا منها:

نماذج من اضطهاد اليهود للمعادين للسامية:

١ - ما تعرّض له المفكر الفرنسى المعروف (باسكال يونيفاس) حين أصدر كتابه الشهير "من يجرؤ على نقد إسرائيل" الذي ترجمه إلى العربية الكاتب الصحفى أحمد الشيخ، حيث طالبت الدوائر اليهودية الصهيونية فى فرنسا بفصله من عمله كمدير لمركز الأبحاث الأستراتيجية، بل إن باسكال نفسه قرر فى مقابلة أجراها معه أحمد الشيخ أنه أخفى أطفاله فترة من الزمان خوفًا على حياتهم...

٢ - أما المفكر الفرنسى الذي أعلن إسلامه (رجاء جارودي - أو روجيه جارودي) فيقول:

"إنه بعد أكثر من نصف قرن صدرت خلاله كتبي عن أكبر دور نشر فرنسية، فإننى مضطر اليوم لأن أطبع هذا الكتاب على نفقتى الخاصة، لأننى منذ عام ١٩٨٢م قد خرقت أحدى المحرمات عندما انتقدت السياسة الإسرائيلية، التى يدافع عنها الآن قانون: (جيسو فايوش) الغاشم الذي صدر فى ١٣ يوليه ١٩٩٠م، والذى يُعيد فى فرنسا جريمة الرأى التى سادت عصر نابليون الثالث وجعلت قانونًا قمعيًا يعوّض ضعف الحجج..."[١]

وعندما سُئل جارودي عن تفاصيل الحملة الصهيونية عليه في فرنسا وخاصة بعد صدور كتابة (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) رد قائلاً:

---

(١) عن تنويه من المؤلف من كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية).

"رفضت كافة الصحف التى تشن حملة تشهير واسعة النطاق على مجرد نشر رد، مع أن هذا حقي القانوني، وقد هوجم موزع كتبي من العصابات الصهيونية الفرنسية وتم تشويه وجهه وأحرقت واجهات المكتبات التي تعرض كتبي، فضلاً عن الملاحقة في كل مكان والتهديد بالقتل، وهذه الحالة ليست حالتي فقط ففي السبعينيات تم فصل البروفيسور (روبير فوريسون) من جامعة ليدن (بهولندا) وتم اغتياله معنوياً، لأنه قدم بحثًا علميًا يقول إن عملية حرق اليهود في غرف الغاز فى ألمانيا هي أكذوبة صهيونية، وفي الثمانينيات عندما حصل الباحث (هنري روكيه) على درجة الدكتوراه فى جامعة (نانت) في موضوع غرف الغاز وشكك فيها سحبت منه درجة الدكتوراة لأول مرة فى تاريخ فرنسا وفصل الأستاذ الذي أشرف عليه بقرار من وزير التعليم... وسبق لى أن قُدّمت للمحاكمة ثلاث مرات أوائل الثمانينيات بسبب مقال في (اللوموند) يدين الغزو الإسرائيلى للبنان"[١].

٣ - ومشكلة الصحفي الفرنسى (آلان مينارك) والذي سمح لنفسه بانتقاد تصرفات شارون وأعماله في السنوات الماضية وقال: إن الإسرائيليين يقتلون الفلسطينيين فيصيرون أبطالاً، ولكن عندما يقاوم الفلسطينيون ذلك يُعتبر إرهابًا، وقال: كيف تكون إسرائيل دولة ديمقراطية: وقانون العودة فيها تمييز عنصري، إذ يُعطي هذا الحق لليهود فقط، أيّا كان أصولهم وانتماءاتهم الوطنية والقومية، ويحرم الفلسطينيون من العودة إلى وطنهم، فعندما تجرأ هذا الصحفي الفرنسي وقال هذا الكلام كان نصيبه الطرد من ظيفته، كما سبق وأن حُوكِم عدد من الفرنسيين فى السنوات الماضية بتهمة معاداة السامية، وحُكم عليهم بالسجن أو الغرامة أو الطرد من وظائفهم.

٤ - أما عن حكاية/رئيس هيئة الإذاعة الفرنسية فهي كانت بمثابة فضيحة لفرنسا ممثلة فى رئيسها وحكومته..

فقد أدلى نائب رئيس هيئة الإذاعة الفرنسية بتصريحات قرر فيها أن إسرائيل دولة عنصرية وليست دولة ديمقراطية كما تزعم هى، أو كما تزعم الدوائر الأمريكية

---

(١) لقاء جارودي مع المثقفين والمفكرين المصريين أثناء زيارة جارودي للقاهرة عام ١٩٩٦م.

ومن أجل هذه التصريحات فقد أجبر الرجل على تقديم استقالته وحاولت الحكومة الفرنسية تبرئة نفسها من هذه التهمة الخطيرة، وهو مجرد انتقاد السياسات الإسرائيلية، مقررة أن تصريحاته لا تعبّر عن الموقف الرسمي الفرنسي.

وهناك حوادث كثيرة وقعت في فرنسا بالذات وفي كل حادث تستثمره الادارة الإسرائيلية والعصابات الصهيونية فى فرنسا لرفع شعار معاداة السامية حتى ولو كان الحادث من فعل أحد اليهود... وعلى سبيل المثال:

٥ - فمن الحوادث الفرنسية التي حظيت باهتمام إعلامي وسياسي كبير حادث إضرام النار في مركز اجتماعي يهودي في باريس، وكتبت على الجدران عبارات وصفت بأنها معادية للصهيونية فقامت الدنيا ولم تقعد، وكان وزير الخارجية الإسرائيلى سلوفان شالوم ممن أدلوا بعبارات شديدة اللهجة للتعبير عن قلق إسرائيل العميق نتيجة وقوع اعتداء آخر مُخز ينطوى على معاداة السامية في فرنسا، ولم يكد يمر أسبوع على الحادث حتى ألقت السلطات الفرنسية القبض على رجل يهودي اعتبرته المشتبه به في القضية وألمحت إلى أنه كان يعمل حارسًا فى المركز فى وقت ما، ثم فُصِلَ دون استبعاد أن يكون قد أقدم على إحراق المركز بدافع الانتقام.

٦ - الغرامة لمصرية مقيمة بفرنسا بمعاداة السامية: فقد نقلت وكالة الأنباء عن راديو (أرويون الفرنسي) أن محكمة الجنح العليا فى بوبينى... إحدى ضواحي باريس حكمت بغرامة قدرها ٦٠٠ يورو على سارة محمود، طالبة من أصل مصري بحجة كتابة عبارات معادية للسامية على واجهة محل جزاره يمتلكه يهودي.

وأذاع الراديو الفرنسي أن سارة محمود البالغة من العمر ١٨ سنة مثلت أمام المحكمة بتهمة إجراء مكالمات تلفونية سيئة النية، وإلحاق الضرر بممتلكات بالكتابة أو الرسم عليها وطالبت وزارة المنافع العامة الفرنسية توقيع عقوبة السجن مع إيقاف التنفيذ على الفتاة... وقال الراديو إن الفتاة اعترفت خلال جلسة المحاكمة

بأنها أجرت اتصالات هاتفية بجزار يهودي، وكتبت على المحل: ما هو الفارق بين هتلر وشارون؟ غير أنها نفت أن تكون قد تلفظت بعبارات معادية للسامية أو كتبت شعارات معادية للسامية وبررت ما فعلته بشعورها بالضيق بعد ما شاهدت صورًا عن الانتفاضة على شبكة الإنترنت وبرغبتها في انتقاد سياسة شارون.

٧ - وفى تطور أوروبي وجهت انتقادات شديدة للمفوضية الأوربية مع اتهامها بتشجيع معاداة السامية عندما رعت استطلاع قالت نتائجه: إن إسرائيل تُمثِّل أكبر تهديد على السلام العالمى، مما دعا تل أبيب لاتهام المفوضية، بتشجيع معاداة السامية في أوربا وقد أفاد أحدث استفتاء للرأي (وكانت مدة التصويت من ٢٠٠٤/١٠/١٧ إلى ٢٠٠٤/١٠/٢٠م) أجرته الجزيرة نت من أن ٦٦,٦٪ من المشاركين فيه قالوا إن ما تسمى معاداة السامية أضحت ظاهرة عالمية، فى حين رأى ٣٣,٤٪ من الذين شاركوا، والبالغ عددهم ٢٢ ألف صوت عكس ذلك... وتأتي هذه النتيجة بعد توقيع الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش على الموافقة على القانون الجديد لإحصاء الأعمال المعادية للسامية حول العالم، وتقويم مواقف الدول من هذه المسألة القانونية.

القانون الأمريكي الجديد والمسمَّى

بالقانون العالمي لمناهضة معاداة السامية

بعد صدور القانون وموافقة الكونجرس الأمريكي عليه، ومن ثمَّ توقيع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية جورج دبليو بوش عليه واعتماده أحدث ضجة وبلبلة واستياءً عالميًّا وقد تناوله العديد من المتخصصين بالنقد والتحليل وكان من بين هؤلاء الأستاذ المصرى: السيد ياسين الذي حلل هذا القانون وفنّد ثغراته وقد نشرت جريدة الاتحاد الإماراتية، هذا التحليل ونحن نذكره بتفاصيله، قال السيد ياسين:

"لو قمنا بتحليل قانوني دقيق للقانون الذي أصدره الكونجرس من ناحية الشكل لاكتشفنا أنه ينقسم إلى عدة أقسام:

القسم الأول: بعنوان وجيز، ويُقصد به عنوان القانون، وهو القانون العالمى لمناهضة السامية فى ٢٠٠٤م.

والقسم الثانى: بعنوان "نتائج البحث" وهو يعني أن الكونجرس قام ببحث ظواهر معاداة السامية واكتشف مجموعة من الوقائع وأبرز هذه الوقائع المنصوص عليها فى صلب القانون هى كما يلى:

١ - أن الأفعال المناهضة للسامية قد زادت زيادة ملحوظة سواء فى عددها أو فى اتساع مجالاتها في الأقطار المختلفة عبر العالم بما فى ذلك البلاد التي تتمتع بأنظمة ديمقراطية قوية...

٢ - أنه في الشهور الثلاثة الأخيرة من عام ٢٠٠٣م والشهور الثلاثة الأولى من عام ٢٠٠٤م وقعت حالات عديدة من العنف المضاد للسامية حول العالم وتتضمن هذه الوقائع حالات عنف وقعت فى (بتروجابا) بماليزيا في ١٦/١٠/٢٠٠٣م، حيث صرح (مهاتير محمد) رئيس الوزراء الماليزي فى هذا الوقت أمام منظمة المؤتمر الإسلامى قائلاً: "إن اليهود يحكمون العالم بشكل غير مباشر، ودعا إلى النصر النهائى عليهم بواسطة المليار مسلم في العالم، والذين لا يمكن أن تهزمهم ملايين قليلة من اليهود".

وتتضمن الوقائع أيضًا انفجار قنابل فى ١٥/١١/٢٠٠٣م في اسطنبول بتركيا أمام معبدين يهوديين، حيث قتل ٢٤ شخصًا وجرح أكثر من ٢٥٠ آخرين، ويعدد القانون وقائع أخرى حدثت فى استراليا وروسيا وكندا وفرنسا...

واللافت للنظر أن القانون في الفقرة الثالثة من الفصل الثاني يُقرِّر أن معاداة السامية أخذت شكل إدانة الصهيونية، والحركة القومية اليهودية، والتحريض ضد إسرائيل غير أن القانون يفرد الفقرة الخامسة والسادسة للأفعال المناهضة للسامية التي وقعت في العالم العربى والإسلامى بطريقة -كما يقرر- دائمة، ويتضمن ذلك توزيع كتب نشرتها دور نشر حكومية في مصر ودول عربية أخرى (يقصد البروتوكولات) ومن المدهش حقًا من وجهة نظر أصول الصياغة التشريعية أن يشير صلب القانون فى فقرته الخامسة إلى المسلسل التليفزيوني المصري (فارس بلا وجواد) الذي مثله الفنان المصري (محمد صبحي) وعُرض في نوفمبر ٢٠٠٢م باعتباره عملاً مضادًا للصهيونية لأنه قام على أساس كتاب مزيف وهو (برتوكولات صهيون) وتشير الفقرة السادسة إلى مسلسل تلفزيونى عربي آخر وهو (الشتات) والذي يتضمن إدانة لليهود، لأنهم يتآمرون لكى يحكموا العالم، ويشير القانون فى المادة السابقة إلى أن الصعود الحاد للأفعال المناهضة للسامية دفع المنظمات الدولية وعلى رأسها منظمة الأمن والتعاون الأوربى لعقد مؤتمرات لمواجهه الظاهرة ويخلص القسم الثاني من القانون إلى أن الكونجرس دعم جهود مكافحة معاداة السامية.

وأما القسم الثالث من القانون: فعنوانه: (تقدير الكونجرس) وهو يبدأ بأنه في تقدير الكونجرس فإن على أمريكا التزامات معينة إزاء معاداة السامية تتلخص في الآتى:

أ - على أمريكا أن تستمر بقوة في دعم الجهود لمكافحة معاداة السامية عبر العالم من خلال العلاقات الثنائية، وعن طريق التعاون مع المنظمات الدولية، مثل منظمة الأمن والتعاون الأوربى.

ب - إن الوفد الأمريكي في مؤتمر الأمن والتعاون في إبريل المقبل عليه أن يطالب بتعيين مبعوث رفيع المستوى لمناهضة معاداة السامية.

جـ - على رئيس الجمهورية أن يوجه سفير أمريكا فى الأمم المتحدة لكي يتصدر بالطريقة المثلى قرارًا لإدانة معاداة السامية...

هـ - على وزير الخارجية أن ينشىء مكتبًا في وزارة الخارجية لرصد الأفعال المعادية للسامية ومناهضتها.

و - على وزارة الخارجية أن تسجل بصورة شاملة الأفعال المعادية للسامية أو التحريض عليها التي تحدث حول العالم...

أما القسم الرابع: فهو يتضمن تخويل وزارة الخارجية الأمريكية الحق في إنشاء مكتب خاص لرصد الوقائع المعادية للسامية ومكافحتها، ويتم ذلك عن طريق تعديل القانون الخاص باختصاصات وزارة الخارجية الصادر عام ١٩٥٦م لكي تندمج فيه فقرة جديدة خاصة بهذا المكتب واختصاصاته، أهمها إدماج تقريره عن معاداة السامية فى التقرير السنوي لوزارة الخارجية أو حق مدير المكتب في عقد جلسات استماع يتحدث فيها شهود، وحقه فى تلقي الأدلة المناسبة على وقوع أحداث ووقائع منافية للسامية.

وبغض النظر عن مخالفة القانون لأصول الصياغة التشريعية والتى لا تجيز ذكر حوادث فردية كمبرر لإصدار القانون، لأن القاعدة القانونية كما تنص أصول القانون فى كل البلاد ينبغى أن تتسم بالعمومية والتجريد، إلا أن الشق الموضوعي من القانون يخالف العديد من القواعد القانونية الدولية المستمرة.

فالقانون ينص على تعيين مبعوث خاص لمكافحة معاداة السامية ومن حقه أن (يفتش) على مختلف بلاد العالم لكي يرصد المخالفات التي تدل على معاداة السامية سواء صدرت من حكومات أو مؤسسات أو أفراد... وله أن يناقش الحكومات فى ذلك ويحثها على إصدار التشريعات الداخلية فى بلادها التى تمنع وقوع هذه الأحداث أو تعاقب عليها، كما أنه من حقه أن يُسائل المؤسسات والأفراد الذين يرتكبون هذه الوقائع.

وهو فى تقريره السنوي الذي سيرفع لرئيس الجمهورية عليه أن يوثق الوقائع المعادية للسامية في أى بلد فى العالم ولرئيس الجمهورية أن يتخذ -حسب تقريره- الاجراءات العقابية المناسبة والتي قد تكون عقوبات اقتصادية أو سياسية.

والواقع أن الولايات المتحدة بإصدارها هذا القانون المنحرف تكون قد أعطت لنفسها حقًا غير مشروع في أن تكون هي المُشرِّع العالمي، والمدعى العام العالمي، وأخيراً القاضى العالمي، إن هذا القانون ينضم إلى القانون الذي سبق أن أصدره الكونجرس للعقاب على مخالفات حقوق الإنسان والحرية الدينية في العالم، وهو في الحقيقة ليس إلا إعلانًا جهريًا بأن الإمبراطورية الأمريكية قد فرضت على العالم هيمنتها المطلقة السياسية والعسكرية والثقافية، وتريد أن تتجاوز ذلك كله لتفرض هيمنتها القانونية.

غير أن أخطر نتائج هذا القانون هو التأويل الذي أعطته لنصوصه للمنظمات الصهيونية فى العالم، من كون أيّة انتقادات توجه للحكومة الإسرائيلية مهما ارتكبت من مخالفات صارخة للقانون الدولي، وجرائم ضد الإنسانية، ستعد أفعالاً معادية للسامية...

تقرير وزارة الخارجية الأمريكية حول حقوق الإنسان في مصر.

أما تقرير وزارة الخارجية الأمريكية حول حقوق الإنسان في مصر والصادر عن السفارة الأمريكية فى القاهرة عام ٢٠٠٤ م فأشار إلى الآتي:

١ - توجد معاداة للسامية في الصحافة الحكومية والمعارضة على حد سواء، ورغم ذلك لم تقع حوادث عنف معادية للسامية في السنوات الأخيرة.

٢ - وأشار التقرير أيضًا إلى أنه ظهرت في الإعلام المطبوع والصحافة الإلكترونية مقالات وآراء معادية للسامية وافتتاحيات كاريكاتورية، فعلى سبيل المثال فى ١٨/٣/٢٠٠٤م، اتهم عبد الوهاب عدس نائب رئيس تحرير الجمهورية اليهود بارتكاب تفجيرات ١١ مارس في مدريد، كذلك هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م فى الولايات المتحدة.

٣ - وقال التقرير: فى ٢٤ يونيو، وأول يوليو، نشرت جريدة الحزب الوطنى الديمقراطى (اللواء الإسلامى) مقالات للبروفيسور رفعت سيد أحمد، أنكر فيها الهولوكست، وفى ٢٥ أغسطس أعلن الحزب الوطنى أنه حظّر على البروفيسور سيد أحمد النشر مستقبلاً، وأن المحرر الذي وافق على مقالته قد تم فصله، وأن الحزب الوطني الديمقراطي والحكومة يرفضان معاداة السامية ويعترفان بوقوع الهولوكست...

٤ - وتقول التقارير إن الحكومة قد نصحت الصحفيين ورسامي الكاريكاتير بتجنب معاداة السامية، وقد أصرّ مسئولو الحكومة أن البيانات المعادية للسامية كانت بمثابة رد فعل على تصرفات الحكومة الإسرائيلية ضد الفلسطينيين، ولا تعكس معاداة تاريخية للسامية، وإن كانت المحاولات العلنية للتمييز بين معاداة السامية، ومعاداة إسرائيل ظلت قليلة نسبيًا[١].

(١) عن تقرير وزارة الخارجية الأمريكية التي أصدرته السفارة الأمريكية فى القاهرة عن حقوق الإنسان والحرية الدينية عام ٢٠٠٤م.

نداء إلى الشعب المصري والعالم العربي:

أيتها الشعوب العربية المقهورة والمغلوبة على أمرها:

إياكم والاقتراب والمساس من إيذاء مشاعر يهود سواء في داخل فلسطين أو خارجها، حتى ولو انتهكوا الأعراض وسلبوا الأرض والدار وقتلوا الشيوخ والنساء والأطفال فعلى كل عربى أن يُعبّر عما يجيش في صدره من جرّاء ما يشاهده أو يسمعه فى وسائل الإعلام المختلفة وما يفعله اليهود بأبناء شعبنا في فلسطين عليه أن يحمد الله على أن ما يشاهده أو يسمعه لا يقع فى بلده، وإن وقع فى بلده فيحمد الله على أنه لم يقع فى الحي الذي يسكن فيه، وإن وقع فى الحي الذي يسكن فيه فيحمد الله أنه لم يقع فى عقر داره، وأما إن وصلوا إلى عقر داره فيحمد الله أنه لم يقع ولم يصلوا إلى سريره، وأما إن وصلوا إلى سريره وامرأته وأولاده فليقل الحمد الله الذي وقع هذا الانتهاك لحرمة بيتى وأولادي، ولم يقع أويمسنى شخصيا[1].. فيا أمة ضحكت من جهلها الأمم هل وصل الهوان بأمتنا العربية والإسلامية أن تتحكم سفارات الأوغاد فى مقدراتنا وحرياتنا بحماية ورعاية حكومتنا، إن من يقرأ التقارير الاستفزازية التي تصدرها السفارة الصهيونية (الأمريكية) وليس الإسرائيلية يصاب بحالة من الإحباط واليأس على ما آل إليه حال أمتنا بأن يتحكم فينا حفنة من اليهود الذين استطاعوا بدهائهم وخبثهم الشيطانية أن يسيطروا على مقدرات الأمور في الولايات المتحدة الأمريكية الذين يُحرِّكونها حسب رغباتهم وشهواتهم العدوانية وبالتالي استطاعوا أن يعدُّوا ويحصوا أنفاس العالم من خلال سفاراتهم ومخابراتهم وتقارير أسيادهم في إسرائيل، فالأخيرة ما عليها إلا أن تعدَّ العُدَّة لمن تريد أن تجهز عليه فتقوم بعمل التقارير عن طريق أعوانها ومخابراتها،

---

(١) مستوحاة من حكاية جحا الساخرة التي ذكرتها كتب الأدب العربي.

ثم تقدم هذه التقارير إلى ذراعها التى تضرب بها من تشاء فتقوم الأخيرة بضرب من أشارت إليه أصابع كبراء اليهود الذين يتحكمون فى العالم عن طريق أمريكا... كما حدث في العراق من خلال تقارير المدعو (باتلر) المزيفة...

وكما يحاولون الآن ضرب سوريا عن طريق تقارير (ميليس) الخادعة... وهكذا والشعب العربي لا حول له ولا قوة وذلك لأن حكوماته فى واد... والتخطيط اليهودي لأكل بقية كعكة الوطن فى وادٍ آخر.

وحسبنا الله ونعم الوكيل

نستخلص مما سبق:

١ - أن فكرة اللاسامية عنصرية استمدتها الأقلام اليهودية واستوحتها من التراث التلمودي والتوراتي منذ ما يقرب من قرن من الزمان.

٢ - أن يهود اليوم ليسوا من سلالة الساميين، ودمهم ليس من دماء الساميين الأصليين، بل وحتى اللغة العبرية الحديثة قد دخلها كثير من التزييف والتحريف، وأنها ليست لغة العبرانيين الأصلية، والتى كانت فى يوم ما من اللغات السامية، واللغة العبرية الموجودة الآن هي خليط من عدة لغات مع وجود بعض اللهجات العبرية القديمة بها... إذن هي لغة مهجنة بالضبط كالجنس اليهودي المهجن الموجود حاليًا.

٣ - أن فكرةاللاسامية استحدثها بعض المفكرين اليهود بمفهومها الحالى لأغراض خاصة شرحناها بين ثنايا هذا الكتاب وكان أول خروج لها من فرنسا بلد الحريات الزائفة.

٤ - أن الصهيونية العالمية تبنت هذه الفكرة ونشرتها وتلقفتها أجهزة الإعلام الصهيونية وروَّجت لها فى أنحاء العالم جميعًا وذلك لإسكات كل معارض لفكرة الصهيونية أو لليهود.

٥ - أن القارئ لنصوص التوراة (الموجودة الآن يجد أنها من أشد وألد أعداء السامية وذلك من خلال انتقاد التوراة العنيف لليهود -كما أثبتنا ذلك- فهل سيعتبر اليهود أن التوراة من ألد أعدائهم بعد ما أوردنا النصوص التى فضحتهم؟؟

الفصل الخامس

رؤية الصحافة الإسرائيلية لمعاداة السامية والتطرف اليهودي

5

درس تربوي عن معاداة السامية والعنصري

المصدر: صحيفة معاريف: ملحق ها مجازين ص٦ في ٢٠٠٥/١/٣ بقلم: الدكتور/جادي راونر-كيبوتس يكوم.

"نشر موخرًا أن مشجعى فريق بيتار يروشاليم (القدس) يعارضون ضم لاعب إلى صفوف الفريق، لمجرد أنه يعتنق ديانة مختلفة، سألت نفسي: ما الداعي إذن لتدريس موضوع معاداة السامية في المدرسة؟ وهل يتم تدريسها لكى يعى الشباب مدى خطورة أن يكون المرء يهوديًا في عالم معاد، نابذ لليهود؟ عالم يوجد فى كل ركن فيه معاد للسامية صغير يحاول أن يوهن من عزيمتنا؟ ولذلك يجب أن نكون على أهبة الاستعداد وأن نكون أقوياء، ونقول كفى، وأن نكون متكتلين في دولتنا اليهودية-اليهودية، وأن نعزز الشعور بالفخر القومى، لأننا نتعرض لأخطار رهيبة من خارج الوطن؟ ولذلك يجدر بنا أن ندرس، وأن نستوعب المعلومات إدانة معاداة السامية على مر العصور، تلك التى دفعتنا إلى الانعزال، وجعلتنا خارج الأسرة البشرية، وأدت بنا إلى غرف الغاز، كل ذلك مهم، ولكن ربما يكون هناك شىء آخر، فعلى سبيل المثال، عندما نسمع أن مشجعى فريق بيتار بروشاليم (القدس) يعارضون ضم اللاعب الغاني لأنه مسلم، فإن هذا هو الوقت المناسب لتعلم المشجعين أنه لا يجب تقرير مصير إنسان آخر وفقًا لمعايير الانتماء، وأنهم لا يجب أن يكونوا عنصريين، ولا متطرفين يهود- صهيونيين، يرفضون غيرهم من البشر بسبب دياناتهم وأصلهم، وقوميتهم، وما إلى ذلك، هذا لا يجوز، وأنا أبحث عن سبب وجيه لتدريس معاداة السامية في المدرسة، وأقول إننا يجب أن نتعلم ونُعلِّم العبر، وأهم هذه العبر هو أننا لا يجب أن نفعل ما فعله بنا الآخرون...

إن كل مُدرِّس تاريخ يبحث عن المغزى، ويريد أن يكون واقعيًا أمام تلاميذه، كل مدرس تاريخ يريد أن يربط بين الماضي والحاضر، وها هو الواقع الاجتماعي للدولة يوفر لنا مثل هذه الفرص، وهناك إمكانية للربط بين المادة الدراسية القديمة، التي يصعب تخيلها وبين مواقفنا الآن تجاه الآخر.

من الأفضل إصلاح الذاكرة الجماعية المشوهة التى تؤكد مرارًا وتكرارًا على أن (الشعب سيسكن وحده)، وتؤكد على الجيتو والانعزالية، واستبدالها بمفاهيم جديدة، لكي نتحرر من عقدة الضحية الأزلية، ولا نتحول إلى منتقم مريض، وليس في استطاعة التعليم إصلاح الظلم الاجتماعى، ولكن بمقدوره أن يردد صوته المتزن، وبذلك يساهم ولو بأقل القليل حتى يصبح المجتمع أفضل ويستحق أن نعيش فيه.

كيف أصبح مظلي إسرائيلي

بوق دعاية معادي للسامية؟[١]

لقد أرسل إليَّ صديق فلسطينى منذ فترة مقالاً لم يكتبه هو، قرأت المقال واغتظت، وسألته: كيف ترسل لي مثل هذه الإهانات والسخافات؟ فأجابنى لماذا تغضب، هل تعلم من كاتب هذا المقال؟ قلت له: لا، ولكني حسب مضمونة يبدو لي أن كاتبه معادٍ للسامية، فقال: إنك مخطئ، إن كاتبة يهودي إسرائيلى اسمه يسرائيل شامير: وأخذت أقلب في الأرشيف وفى مواقع الإنترنت فوجدت مقالات أخرى للرجل لم تزد إلا من دهشتي، إن شامير ليس شخصية مجهولة، وحتى إن كان قد اختفى فى الأعوام العشرة الأخيرة واحتجب عن الوعى في إسرائيل، فإنه لا يزال حيًا يُرزق، يزور الولايات المتحدة وأوربا، ويهاجم ويستنكر إسرائيل، ويدين اليهود، حتى من فوق منابر محترمة معتبرة كالجامعات الأمريكية، هارفارد وكلومبيا وباركلي، وكان قد جلس فى ندوة واحدة منذ قليل مع البروفيسور إدوارد سعيد، أحد المثقفين[٢]، وهو وإن كان ليس صديقًا بالضبط لإسرائيل إلا أنه غير مهتم بمعادة السامية ومن المتصور أن يكون شامير قد قدَّم نفسه فى هذه الندوة على أنه "أديب وصحفى إسرائيلي من يافا" وذلك حسب ما اعتاد فى كل لقاءاته وندواته، وكذلك يُقدِّم نفسه فى مقالاته السخيفة الهجومية.

ومن خلال عملية النبش والتنقيب الأخرى التى قمت بها اتضح لى - ومن فرط الدهشة إن لشامير ماضيًا أصيلاً متأصلاً، فوالديه، وهما من رافضي الهجرة

(١) ملحق صحيفة معاريف بتاريخ ٢٠٠٣/١/١٠ م بقلم: ابن درور باميني.

(٢) هو: الدكتور إدوارد سعيد أستاذ الأدب المقارن في جامعة كولومبيا بأمريكا، والكاتب والناقد الأكاديمي الفلسطيني والمتوفى في ٢٠٠٣/٩/٢٥م، والمولود في مدينة القدس ١٩٣٥/١١/١م لعائلة مسيحية.

الروس، قد سجلا فصلاً صهيونيًا مجيدًا فى حياتهما، وهو ذاته تربى فى سيبيريا بعد نفى والديه إلى هناك وكان من أحد الحركيين الصهاينة البارزين والنشطين والذين عرفوه وخبروه ويعرفون عنه أنه كان فتى شابًا ذا قدرة إقناع هائلة فى حق دولة إسرائيل، وعندما نجح فى الهجرة إلى إسرائيل مع جده، بعد حرب الأيام الستة، وجنّد بالجيش الإسرائيلى وخدم به في سلاح المظلات ، وفى سياق ماضيه عمل صحفيًا فى إحدى الصحف الاسرائيلية وعندما التحق بالدوائر اليسارية عمل لفترة قصيرة متحدثًا باسم حزب المابام (العمال الإسرائيليين)، ولم يختف تمامًا من الخارطة في إسرائيل، فهو لا يزال يكتب بين الفينة والأخرى في أشهر صحيفة تصدر باللغة الروسية في إسرائيل/ وهى صحيفة "وستي" وهو لديه شقة فى تل أبيب، يعيش فيها مع زوجته الثانية "أليس" التى هاجرت هي الأخرى من روسيا، وهؤلاء الذين لم يقرءوا مقالاته المسمومة الأخيرة بالصحيفة يتحدثون عنه بإعزاز وتقدير.

غسيل مخ بالحضانة: إن أحب مقارنة على شامير هي مقارنة الإسرئيليين واليهود بالنازيين فهو يتساءل في مقالاته التى يمكن أن نجدها على الانترنت "ما الذي لم نحبه فى النازيين الألمان ويجيب نفسه على هذا السؤال فيقول: "إن عنصريتنا نحن اليهود لا تقل انتشارًا وسمومًا عن العنصرية النازية" وعندما يقارن شامير بين الجو السائد في إسرائيل اليوم والمناخ الذي كان سائدًا في ألمانيا يقول فى مقالاته:"حتى النازيين لم يتعمدوا قتل أعدائهم ممن هم دون ٤١ عامًا إذ كيف ومتى أصبح يهود أوربا "أعداء الألمان" ومتى أعلنوا الحرب عليهم -غير واضح تمامًا في مقالات شامير المسمومة التى بينها فى موقعة على شبكة الإنترنت، ويضيف شامير "إن الزوندر كوماندو اليهودي هو موضع تقديرنا اليوم... إن اليهود يخضعون لعملية غسيل مخ بدءًا من التحاقهم بالحضانة بأنهم "أوفر الاس" كما هو فى النشيد الوطني النازي: "ألمانيا فوق الجميع" ويغرس فيهم وهم فى هذه السن عقيدة إن الجوييم (غير اليهود) ليسوا إطلاقًا من بني الإنسان ولذلك فإن قتلهم حلال".

ونظرًا لأنه رجل من اليشوف (تربى ونشأ فى المستوطنات الجماعية)، وصحفى تُنشر مقالاته فى جميع أنحاء العالم، ورجل يحظى -كما سيتضح- بتأييد ودعم ما حتى في إسرائيل، فإن أهم ما قاله بصفة رئيسية وأساسية عن نظرية العنصر والعرق سوف نوردها هنا حرفيًا وبالنص كما جاءت في مقالاته، وقد وردت هذه الآراء منشورة فى مقال له تحت عنوان "هجوم عيد الفصح" ونشر في جزئين.

لكنه وقبل أن نصل إلى النغمة المعادية للسامية اللاذعة والمباشرة التى تتردد فى مقاله الذي يتمحور حول "معاداة السامية" تجدد الإشارة إلى عدة دوافع أخرى تعد بمثابة مقدمة للجرعة الأساسية، فشامير يحب المقارنة بين معاناة يسوع المسيح التى لاقاها فى أشقاءه اليهود، وبين المعاناة التى يلقاها الفلسطينيون من اليهود فى الوقت الحاضر: "إن السؤال المركزى والرئيسى هنا هو: هل يتعين على هذا الرجل (يسوع الذي يجسد هنا الفلسطينيين ويرمز لهم) أن يصلب صلبًا موجه لنا نحن جميعًا، إننا إذا ما أوقفنا عمليات الإعدام فإننا سوف نُغيِّر التاريخ، لقد تحولت الحرب الدائرة في فلسطين الآن وأصبحت جزءًا من الحرب الكونية الدائرة بين مؤيدي ومنكري يسوع... وليس من قبيل الصدفة أن تبدأ أجهزة الإعلام الأمريكية التي يسيطر عليها اليهود فى شن حملة تشهير آثمة ضد القساوسة الكاثوليك (يقصد كشف حالات الاعتداء الجنسي على الأطفال من جانب القساوسة فى الولايات المتحدة) فى نفس الوقت الذي كانت تقوم فيه الدبابات الإسرائيلية بقصف عذراء بيت لحم، وأن يبدأ فى فرنسا عرض فيلم "آمين" الذي يشوه صورة البابا الراحل بيوس (البابا الذي اتهم في الحرب العالمية الثانية بالصمت إزاء إبادة اليهود).

وها نحن أمام نظرية أخرى من نظريات المؤامرة اليهودية العالمية، فيستطرد شامير: "لقد اقترف العالم المسيحى خطأ جسيمًا عندما ترك - بشكل منفرد- النضال ضد اليهود التي سترد الأضرار التى ألحقتها بمليارات الأشخاص بالتفصيل فيما يلي، إننا لازلنا في الميدان الديني، في مقارنة بين عيد الفصح اليهودي وعيد

الفصح المسيحي، فعند المسيحيين -حسب اليهودي شامير-هو عيد قيامة وعودة الروح إلى من ضحَّى بنفسه من أجل الجميع، ولكن عند اليهود-وعلى النقيض من المسيحيين، فإن الموقف مختلف ومناقض وهو: الإنقاذ لليهود والموت للآخرين، إنه عيد للأنانية وحب الذات عند اليهود، واحتفال بالغير عند المسيحيين.

وبعد التمييزات والتفريق الثيولوجى -عنصري، يبدأ فى التحدث بالتفصيل عن "البراديجاما اليهودية" وكان قد أشار قبل ذلك إلى أن الأمر لا يعد قضية مذهبية أو نظرية، وإنما هو قضية عملية، ثم إلى معاداته للسامية فيقول: "منذ ظهور ونشأة البريدجاما اليهودية" والأمم المزدهرة اقتصاديا تضحى بالأمم الفقيرة لكي تزيد من ازدهارها وثراءها، والدليل على ذلك ازدياد الفقر فى العالم الثالث... لقد كان هناك نمو وازدهار اقتصادي فى العالم الثالث في الستينيات والسبعينيات، ثم انقلب هذا الاتجاه فى الثمانينيات وهى سنوات نشوء البراديجاما اليهودية، وأخذ الفقر يتزايد بإضطراد فى العالم الثالث، ويواصل شامير زعمه بأن هذا الكلام ينطبق على الدول ذاتها أيضًا ذلك أن اليهود هم الرابحون الرئيسيون، والمستفيدون الرئيسيون أيضًا من البراديجاما اليهودية.

وفى السياق، وعندما يتحدث شامير عن الاستغلال الذي يقوم به اليهود للعرب فإنه يستشهد بما جاء فى التلمود فيقول: "إن حاجة اليهود لماء الغسيل تسبق حاجة الجوييم للماء لكى يعيشوا"، وهذا كذب من صنع المعادين للسامية، إن النص التلمودي، يتحدث عن نظام أولويات استخدام مياه البئر أو الينبوع الخاص بمدينة ما، فقد جاء فى النص الأصلى: "الآخرون وغسيلهم: حياة الآخرين تسبق غسيلهم، ويقول ربي (الحاخام)يوساي: إن غسيلهم يسبق حياة اليهود، أي: أن غسيلهم مقدم على حياة الآخرين"، أي: أنه، لا توجد كلمة واحدة عن الجوييم (غير اليهود)، والهلاخاة بالذات (الشائع في التوراة) هو تفضيل "الآخرين" يهود أو جوييم، بينما الحاخام (ربي) يوساي له رأي آخر، وهو كذلك يعين أيضًا غير من لا ينتمي إلى المدينة ولا يقتصد "الجوييم"، وهنا يسير شامير أيضًا على درب

عظماء المعادين للسامية، وهؤلاء دائمًا ما استخدموا ووظفوا المصادر التلمودية في خدمة النظريات العرقية والعنصرية، وشامير يتفوق عليهم، لأنه مضلل ومُحرِّف أيضًا.

ويبدو أنه منذ بروتوكولات حكماء صهيون لم يظهر عالم نظريات يحاول إلغاء تبعة كل أمراض العالم على اليهود، ولا توجد جامعة فى العالم الديقراطي استضافت شخص ما من الدعاة والوعاظ للسامية الذين يحاولون تسويق بضاعتهم وترويجها، إلا أن يسرائيل شامير، الذي يقول ما يحاول المعادون للسامية إخفاءه أحيانًا يحظى بالاحترام والتقدير، فهو يدعى لإلقاء المحاضرات، ولإجراء الأحاديث الصحفية معه، وللكتابة وللندوات والحلقات النقاشية، كل ذلك مسموح له، فهو يهودي وإسرائيلى، وكان يخدم بسلاح المظلات بالجيش الإسرائيلى إنه من الداخل من قلب إسرائيل وليس من الغريب أن تظهر مقتبسات ومقتطفات من مقالات شامير فى مكان محترم بمواقع الإنترنت المعادية للسامية.

وفي الجزء الثاني من "هجوم الفصح" يكرر شامير تلك الاتهامات، بل ويضيف عليها، ففي سياق حديثه ومزاعمه ضد أجهزة الإعلام الأمريكية -التى يسيطر عليها اليهود كما تقدم- التي تتناول وتوجه الاتهامات بالاعتداء الجنسي من جانب القساوسة يتساءل شامير: كيف يكون هناك هناك انقضاض وتهجم على القساوسة ولا يكون هناك تهجم وانقضاض على "أمة الكهان" -يقصد اليهود- الذين يقومون بالفعل بتنفيذ مؤامرة مالية يهودية.

كذلك يثبت كشف المحاولة الفاشلة لاغتيال رئيس زيمبابوي -على حد قوله- والتي كان أحد المتآمرين فيها إسرائيلياً، ويحاول شامير جاهدًا إثبات وجود علاقة بين اغتيال اللورد موين بالقاهرة وبين محاولة لينين وبين اغتيال الكونت برنادوت وبين اغتيال ابن بركة ومحاولة اختطاف وزير نيجيري، وهذا يثبت بالطبع أن هناك ارتباطًا طويلاً وتاريخيًا يقف وراء سلسلة طويلة من عمليات القتل والاغتيال لزعماء

العالم، ومن غير المهم إطلاقًا أن تكون كل هذه الحالات لاتعدو أن تكون مجرد قطرة فى محيط عمليات الاغتيال السياسية، وعند شامير، إن ذلك يمثل مؤامرة يُسكت عنها ويقيم عليها إزاء السيطرة اليهودية على أجهزة الإعلام الأمريكية وعلى عالم السينما فى هوليود، وكل هذا مرتبط بحبل ما غير مرئي من المؤامرة اليهودية، لاغتيال الفلسطينيين فى الأراضى (المحتلة) والقضاء عليهم أيضًا، وفي ختام ذلك المقال يشير إلى أن هناك يهود آخرين يعتبرهم رفاق على الدرب مثل: البروفيسور ناعوم حوسكى من كبار علماء فقه اللغة المقارن فى العالم والذي يدير حملة دعائية ضد إسرائيل ونورمان فينكلشتاين الذي أثار كتابة "صناعة المحرقة النازية" عاصفة عامة منذ حوالي عام، ويوجد لكومسكى عدد كبير من المعجبين في إسرائيل، وليس من المؤكد إنهم سيشعرون بالراحة مع رجل يصف نفسه بأنه رفيق لهم.

ولا ينبغي عند قراءة مقالات شامير التى تتضمن إشارات وعبارات تصف الإسرائيليين بأنهم "يهود نازيين" -لاينبغى السقوط فى الفخ فنعتبره شخصا هامشيا غريب الأطوار، إن شامير رجل مثقف يملك قدرة بارزة على التعبير، وهو يتحدث لغات عديدة منها اليابانية، ومقالاته تنشر بكل اللغات الأوربية تقريبًا وقد قام بترجمة أعمال رائعة للروسية وحظى بالإعجاب والمديح، في إسرائيل أيضًا، وبدأ مشروعًا كبيرًا وهائلاً وهو ترجمة التلمود للروسية وهو يعتلي -كما تقدم- منابر معتبرة ومهمة إلى جانب شخصيات ذات صيت عالمي، ومن التقارير يمكن أن نجد تعليقات متعاطفة ومؤيدة لمقالاته، على أية حال فهو "يكتفى" بمعاداة لاذعة وفجة للإسرائيلية، وللصهيونية، وهذا بالتأكيد يعتبر تعاطفًا فى دوائر معينة لكنه، وكما سيتضح -فإنه ليس كل الناس يقبلون على بضاعته.

استنسخ كتبًا فى سيبيريا: لقد كانت بداية شامير مختلفة فهو قد ولد بعد قيام الدولة بفترة ما وبسبب ذلك منحه أبواه الاسم الملزم -يسرائيل، وأبوه -يوسف شمرلار- كان يهوديًا بولنديًا حكم عليه بالسجن لمدة عشرة أعوام مع الأشغال

الشاقة، حينما طلب مغادرة الاتحاد السوفيتى لكي يخدم بالجيش الإسرائيلى، ثم مات بعد خروجه من السجن، وأمه -أستير تزوجت مرة ثانية من وولت لومبسكى، وتحول الزوجان إلى حركيين من الرافضين للبقاء في الاتحاد السوفيتى والراغبين فى الهجرة إلى إسرائيل، وتربى يسرائيل الشاب فى سيبيريا ودرس الفيزياء والرياضيات وشرع في دراسة القانون، وأصبح هو الآخر نشطًا صهيونيًا متحمسًا، وفى إحدى الحالات، عندما طلب يهود من موسكو استنساخ كتاب دراسي بالعبرية، نجح -منتهكًا قانون حماية حقوق المؤلفين- في استنساخ ألف كتاب، وقام بنقلها إلى موسكو أيضاً، إن نشاطاته التى قام بها في هذه الأيام موثَّقة فى ملفه الشخصي المودع فى الجامعة العبرية.

وبعد حرب الأيام الستة، وكان موجودا فى إسرائيل -قام بتغيير اسمه إلى شامير، وفى بداية السبعينيات التحق بسلاح المظليين وأنهى خدمته فى كتائب الشباب الطلائعى المظلى (الساحلى)، وتظاهرت أمه استير وزوجها فى موسكو أمام المحكمة التى كانت تنظر في الاستئناف الذي قدمه سجناء محاكمة لينتجراد، واتهمت هى وزوجها بالارتزاق وأمضيا فترة قصيرة فى السجن لكنهما نجحا فى الهجرة إلى إسرائيل بعد ذلك بفترة غير كبيرة، وأقاما فى القدس فى البداية، ثم انتقلا للإقامة في مستوطنة عالى بالسامرة (الضفة الغربية).

ولكي يزور أمه اضطر يسرائيل شامير إلى عبور الخط الأخضر، وفعل ذلك، وكان اللقاء غريبًا، فالأم حركية في حزب "موليدت"- والابن يعارض ويهاجم اليهودية ودولة إسرائيل- وتقول أمه أستير "إنني أنتمي إلى حركة "موليدت" منذ قيامها وأنا مستوطنة، وموضوع يسرائيل صعب عليَّ وبصفتي أمًا، أُفضِّل عدم الإضافة والاسهاب، لقد كان حركيًا صهيونيًا، وقام بأعمال عظيمة لخدمة اليهودية والصهيونية، وأظن أنه مريض حقيقة، إنه مريض نفسيًا، وهو يبدو عاقلا شفافا، إنه يبدو كما لو كان حاخامًا لكن هناك شيء ما غير مُعقل، قالتها وهي تبكي.

وبعد الخدمة بالجيش التحق شامير بالدوائر اليسارية، إن حركيى اليسار الذين كانوا يديرون مقهى طعمون بالقدس فى بداية السبعينيات يتذكرون شامير، الذي كان يبدو لهم مثقفًا قدم من المنفى، وفى عام ١٩٧٤م كان مرشحًا للكنيست في دورته الثامنة أيضًا ضمن قائمة حركة "موكيد" التي كان يرأسها ميئير ياعيل، وقد طلب منا ياعيل -الذي لم يعرف بتدهور آراء شامير- إلقاء السلام عليه.

ثم سافر شامير فيما بعد إلى فيتنام وكمبوديا وكان يبعث بتقارير إخبارية لمحطة البى. بى. سي، وفي لندن تعرف على من أصبحت زوجته وأم ولديه (وهى مطلقته حاليًا) ابنة أحد قادة الحزب الشيوعى فى السويد، وفى إطار رحلاته بالشرق كان يكتب شامير لصحف أخرى بما فيها صحيف "ها أرتس" و "عل همشمار" و"معاريف"، وفى مرحله ما -في السبعينيات- عاد إلى إسرائيل وأصبح متحدثًا لكتلة المابام في الكنيست، ويقول يائير تسيفين-الوزير ورئيس حزب مابام السابق- إنه عمل في هذا المنصب لفترة قصيرة فقط.

وفي بداية التسعينيات أصبح شامير مراسلا لصحيفة "البرافدا" الروسية في إسرائيل ولم يتولَّ هذا المنصب إلا بعد أن أمضى فترة ما في موسكو، وفى نهاية عام ١٩٩٣م، وعندما أغلقت "البرافدا" نظَّم شامير اعتصامًا، وقدم شكوى لاستمرار صدورها، وفى فترة بقائه بموسكو كان يبدي مواقفا انتقادية جدًا تجاه إسرائيل، إلا أن هذه المواقف لم يكن يشيبها بعد ذرة من العداء للسامية وأصدر كتابًا باللغة الروسية، اسمه "شجرة الزيتون" عن النزاع الفلسطينى -الإسرائيلى قتل فيه إسرائيل تقتيلاً، وفي موقعه على شبكة الانترنت كتب يقول إنه بعد أن أبدى موقفًا مؤيدا لحق الفلسطينيين فى العودة -فُصِلَ من صحيفة "ها أرتس" وبدءًا من تلك الأعوام أخذ أيضًا يترجم كتبًا مختلفة إلى الروسية بأسلوب أدبي نموذجي، وبين هذا وذاك، تمكن من العمل كمرشد سياحي.

ولا يزال يسرائيل شامير صاحب بيت في مجموعة مهاجري روسيا من الأدباء والمفكرين المتحدثين حول مجلة "زرقالو"، ويقول ميخال جروبمان -أحد الكُتَّاب

بالمجلة -"إن هناك اثنين يسرائيل شامير، أحدهما أديب موهوب، يكتب عندنا أيضًا ومترجم ممتاز لعجنون ولجبرائيل موكير، أما شامير الآخر فهو بارانويد، وفي المرة الأخيرة، روي أنه بعد هزيمة النازيين قام الحلفاء بقتل ١٧ مليون ألماني من الأبرياء، ومرة أخرى كتب يقول: إنه من الخير أن تكون لصدام حسين قنبلة نووية، إنه صديقنا، وليست لدينا مشكلة معه".

وعندما تضررت السياحة مع نشوب الانتفاضة الثانية ترك شامير عمله كمرشد سياحي وعاد إلى نشر المقالات، وكانت هذه المرحلة على ما يبدو هي المرحلة التى بدأ فيها نشر وترويج آرائه ضد الديانة اليهودية، وهذه المقالات تنشر بالانترنت وبمختلف المجلات، وبلغات عديدة.

الفلسطينيون يخشون:

منذ حوالي عام ونصف حاول شامير الارتباط بالمجموعة التي تعمل من أجل حقوق الإنسان للفلسطينيين، وتضم هذه المجموعة -التي تمارس عملها في الولايات المتحدة - أعضاء إسرائليين ويهودا وفلسطينيين، وعندما بدأ شامير في نشر أفكاره بين أفراد المجموعة حظى بتعاطف وبتأييد كبيرين- على الأقل في المراحل الأولى من التحاقه بالمجموعة، وبعد فترة ما وصف شامير اليهود بأنهم "قتلة المسيح" وهذا التعبير من تعابير المعادين للسامية، وتبدل التعاطف الأولى معه بسحائب من القلق، وأخذ اثنان من أعضاء المجموعة- هما علي ابو نعيمة وحسين عبيش يتحريان عنه ويُقلِّبون فى مقالاته الأخرى، وكانوا قد فعلا ذلك قبل نشرة لمقال "هجوم الفصح الذي تضمن النظرية العنصرية عن "البارا ويجما اليهودية" (السلوكيات اليهودية).

والتقى أبو نعيمة وعبيش مع شامير وطلبا منه تفسيرًا لتعبيراته وتصريحاته هذه، ولم يزد هذا اللقاء إلا من تفاقم حدة النتائج والاستنتاجات، وعلى حد قولهما فإنه لم يتراجع أثناء النقاش معه عن تعبير "قتلة المسيح" بل وأضاف قائلاً: "إن

اليهود ما هم إلا فيروس، وقد نشروا استنتاجاتهما في خطاب علني مفتوح قالا فيه إن التعميمات العنصرية ضد اليهود لا يمكن أن تكون جزءًا من كفاحهم.

ومن خلال عملية التحري والفحص هذه عثر الاثنان على تقرير نشرته صحيفة "الجيروز اليم بوست" ويرجع تاريخه إلى شهر مارس عام ٢٠٠١م كتبه الصحفي جوناثان روزنبلوم يقول فيه إن شامير قال أثناء محاضرة ما في إسرائيل إن "اليهود خلقوا فقط لكى يريقوا دماء الأطفال الفلسطينيين ويعجنونها بفطائرهم، وفي محادثة توضيحية أجرياها مع شامير حاول شامير نفى هذا الكلام، إلا أنهما لم يُصدِّقاه، وفى مقال لهما كتبا يقولان: كيف لم يهتم شامير بالتوجه إلى الصحيفة لكى ينفي ما هو منسوب إليه، وكان استنتاجهما واضح وصريح حيث قالا: يبدو أن هذا الكلام صحيح وأن شامير قاله حقا، وبالمناسبة فإنه من خلال عملية تحري واستقصاء قمت بها مع إحدى المشتركات اللاتى حضرن هذه المحاضرة لم تستبعد احتمال أن يكون شامير قد قال ذلك بالفعل ويختتم أبو نعيمة وعبيش خطابهما بقولهما: "أحيانا نميل إلى تجاهل تعبيرات معادية للسامية لأنها صدرت عن يهودي إلا أن هوية المتحدث لا تقلل من بشاعة هذه التعبيرات والعبارات... إننا نناشد كل من ينتمي إلى النضال من أجل منح حقوق الإنسان للفلسطينيين إعادة النظر والتفكير فى أفكار شامير وآراءه والتعامل معه بما يتلائم وهذه الآراء والأفكار".

وقد رد عليهما شامير بخطاب مُفصَّل حاول فيه نفي التهم، إلا أن نفيه لم يفد، في تلك الأثناء نشر شامير مقاله عن "البارادیجم اليهودي" (السلوكيات اليهودية) وأصبحت الاستنتاجات بالنسبة لشامير أكثر قطعية ووضوحًا.

ودخل الجدال بين الفلسطينيين وبين شامير الصحفي والمعلق الرياضي بالقناة الأولى حاييم برعم الذي يصفه شامير بأنه "كاتب عمود لامع" ويتضح من هذا الجدال أن المحبة كانت ذات اتجاهين -قبل عام على الأقل، وفي سياق هذا الجدل يستشهد شامير بكلمات كتبها برعم ردًا على المخاوف التى أثارها عبيش

وأبي نعيمة "إن مقالاته شيقة جدًا ومثيرة وموقفة غير موافق للآراء والمعتقدات الرسمية بل إنه لم يكتف بدفاعه عن شامير وإنما وجه إدانات لمنتقديه فيقول في إحدى مقالاته: إنكم لم تأتوا لكي تلتمسوا له الأعذار أو لتبرروا مواقفه وإنما جئتم لكي تفوضوا الثقة به، إننى أرفض جهدكما المشكوك فيه (ربما نيابة عن المستوطنين الفاشيين) باختصار مطلق".

وتعليقًا عن هذه المقالات وغيرها يقول اليوم: لقد كتبت هذه المقالات قبل أن يتجاوز شامير الخطوط وبدأ في نشر مقالات تعارض وتهاجم الديانة اليهودية واليهود، لقد تعرفت عليه منذ عدة سنوات عندما كان فى "المابام" وفى "عل همشمار"، وهو رجل يملك خبرة هائلة، لقد قرأ تقريبيًا كل كتب العالم، وكلما كان يكتب في معارضة الصهيونية، كان لذلك تبريرات في نظري، ولكن أن تكون كتاباته ضد اليهود ، فإن هذا مشين، وعلى الرغم من أننى أعارض ٩٠٪ من هذه الأمور إلا أنني أؤيد أن يكون هناك أيضًا أناس أمثاله، أؤيد وجود رؤية أخرى، إن ما نقله عني، وما استشهد به من مقالات -صحيح، وبعد أن أطلعت على مقالات أخرى له فإننى أعتقد أن الأشخاص الذين تشككوا فيه ووجهوا إليه الاتهامات كانوا على ما يبدو محقين، وموقفي هو الرفض العميق لكل ما قاله منذ أن تجاوز الخطوط فبالنسبة لي فإن العداء للسامية يعد نوعًا بغيضًا من العنصرية.

وثائق نازية للبيع:

هل هو روائى وأديب تذأب وتوحش قليلاً أم ربما كان كان رجلاً صافى الفكر تحول تدريجيًا إلى رجل ظالم وطاغية بحق إسرائيل؟ إن الاحتكاك بالآراء والأفكار المعادية للسامية تماما هو الذي مهَّد الطريق لشامير الذي يعتبر نفسه يساريا إلى الارتماء في أحضان اليمين المتطرف ، لقد بدأت العقدة فى المكان الذي كان يعمل فيه وهو: المجلة الروسية "زابترا" التى تصدر فى روسيا والمعروفة بعنصريتها وعدائها للسامية، وصاحب المجلة ألكسندر بروكنوف -كان هو الذي استضاف ديفيد دابوك،

ودابوك هو من قادة اليمين المتطرف الأمريكى ومعادي للسامية وله ماضية فى المنظمة المتطرفة (كوف كلوكاس كالان) ومن مؤيدي فكرة تفوق الجنس الأبيض.

فماذا يفعل اليساري المتطرف فى حصن اليمين المتعصب؟ من هذا تبدو الأطراف والخطوط متصلة، إذ شامير يجسد هذا الارتباط وهذا الاتصال، فقد كان معاديًا لإسرائيل ومعاديًا للصهيونية، وبالتالي كان الطريق للعداء لليهودية، إن ذلك لم يعق، ولم يمنع شامير من أن يدرج اسمه في عرائض ودعاوى إلى جانب شخصيات مثل أوري افنيرى ونوعم حومسكي وتنيا رينهرت باعتباره أحد المؤيدين للفلسطينيين بشكل عام ولحق العودة بصفة خاصة.

إن الكتابة فى مجلة عنصرية معادية للسامية تصدر باللغة الروسية قد دفعت شامير إلى إبداء التعاطف والتبادل مع منكري وقوع المحرقات النازية، وفي موقع المؤرخين التنقحيين على شبكة الانترنت، والمعروف عنهم أيضًا إنكارهم لوقوع المحرقات النازية نجد الكثير من الإشارات -التي تتضمن أيضًا قدرًا كبيرًا من الوضع المريح لموقع مقالات شامير على الشبكة، ولكى يرد الجميل، كتب مقالا امتدحهم فيه وتعاطف معهم وأبدى تقديره لشجاعتهم.

وتحولت هذه العلاقة إلى علاقة تجارية، فصحيفة "تايمز" اللندنية كتبت فى بداية سبتمبر عام ١٩٩٨م عن محاولة مجموعة من الروس بيع وثائق نازية موثوق فيها، كانت قد تبقت فى مخازن مختلفة منذ عهد ستالين، والرجل المحوري في هذه القصة -كممثل للمجموعة الروسية هو يسرائيل شامير، لقد اتصل -كما يتضح- شامير بديفيد إيرفينج- الذي يعد من أهم المؤرخين الإصلاحيين والتقنيين بالعالم والذي مني منذ فترة غير طويلة بخسارة فادحة ومدوية فى محاكمة عقدت فى لندن بسبب إصداراته التى تنكر وقوع المحرقات النازية.

ولسبب ما لم يرفع إيرفينج سماعة التليفون للاتصال بشامير، بيد أن تبادل الرسائل عبر البريد الالكترونى قد استمر، وقد وردت هذه المعلومة بموقع إيرفينج

بالانترنت، وفى مرحلة ما قال ايرفينج إن كل من سيشترى هذه الوثائق سوف يتورط مع السلطات الألمانية أو الروسية ذلك إن هذه الوثائق مسروقة، وفي المقابل أبلغ ايرفينج أيضًا الشرطة الألمانية بالعرض الذي عرضه عليه شامير، واستمر شامير فى اتصالاته بايرفينج إلا أن ايرفنج توقف عن الرد عليه في مرحلة ما.

وقبل أكثر من عام سافر شامير إلى باريس لحضور مؤتمر اليونسكو حيث كان الممثلون الإسرائيليون فى هذا المؤتمر هما الوزيران السابقان أمانون ليفكين شاحال ويولي تامير، وشرح شامير هناك نظريته وفلسفته فيما يتعلق بالغطاء الصحفي للنزاع الفلسطينيين الإسرائيلي، ولم تفاجىء نظريته أحدا فى هذا المؤتمر حيث قال: "إن مصدر الانحياز الإعلامى ضد الفلسطينيين وسببه إنما يرجع إلى أن عددًا كبيرًا من (لوردات الميديا) يؤيدون نظرية التفوق اليهودي، وهؤلاء منتشرين فى جميع أنحاء العالم، وتقول الأستاذة بولي تامير تعقيبًا على حديث شامير بالمؤتمر "إنه معادي للسامية يقدم نفسه على أنه إسرائيلى لقد أمضيت كل أيام المؤتمر في تفنيد ودحض أكاذيبه، لقد كان حديثه صدمة لي، وبعد المؤتمر عملت تامير -حسب قولها- لدى رجال الأمم المتحدة لكي لا يُدع شامير إلى مؤتمرات أخرى بصفته إسرائيلى [١].

شامير: هرتزل أوصى بالاعتذار:

وفى محادثة هاتفية أجريناها معه من الخارج سعى يسرائيل شامير إلى الرد بصفة منظمة على ما أثير ضده في مقال بالبريد الالكترونى، ولم يقدم إجابات موضوعية على سلسة الأسئلة التى أرسلت له، وإنما أخذ يمتدح نفسه ويمجدها، وقال إن التعليق على مواقفه وآرائه فقط سوف يكون بمثابة "تعامل سوفيتى -بمعناه السىء للغاية- مع مُعارضى النظام"، وفيما يتعلق بالاقتباس الكاذب من التلمود-

(١) إذا كانوا يتعاملون هكذا مع يهودي إسرائيلي فما بالكم بغير اليهودي..!!

فقد حاول شامير أن يوضح أن "الأخرى" هم الجوييم (غير اليهود)، حسب تفسير الحاخام عادين شتا ينزيلس والحاخامات الآخرين، وفيما يتعلق بمعاداة السامية الفجة كتب شامير يقول: "إذا حاولت أن تقرأ لهرتزل أو نورداو: أو جا بوتنسكى وجوردن فإنك ستجد أن أي منهم لم يكن يحب اليهودية، وإذا كانت اليهودية رائعة إلى هذا الحد فلماذا اقترح نبي الدولة تعميد اليهود كحل ثاني، إن التفوق اليهودي هو روح التوراة والهلاخاه، ومن الممكن أن نعثر على هذا التعبير فى الكتابات المعادية للسامية الخاصة بمارتين بوفر والحاخام ملوفافيتشى.

لقد صدق آباء الصهيونية عندما حلموا برفض المنفى (رفض اليهودية) لكنهم لم يداوموا على ذلك ولذا وصلنا إلى هذه الحالة.

وسألت شامير أين بالضبط فى تلك الكتابات "التفوق اليهودى" بمفهوم المؤامرة المالية حيث إن معظم اليهود في ذلك الوقت كانوا فقراء وكان آباء الصهيونية يريدون إنقاذهم وتخليصهم مما هم فيه، وفي العصر الحالى، وحسب افتراءاته فإن اليهود هم "اللوردات" الذين يلحقون الخسائر والأضرار لكل العالم وفى كل مكان بالعالم، وكذلك الأمر أيضًا بالنسبة لتحريف التلمود والنظريات الأخرى، أيضًا منحت له الفرصة لكي يُفسِّر علاقاته بايرفينج ومديحه لمنكرى وقوع المحرقة النازية الآخرين، وفضَّل شامير الصمت ورفض تقديم تفسيرات[1].

---

(١) آثرت أن أُلحق قصة المدعو يسيرائيل شامير لنتعرف على أفكار اليهود ونغوص فى أعماقهم من خلال ما يكتبونه عن أنفسهم ولتتضح الرؤية عن شخصية اليهودي الحقيقية من الداخل...

- موقع انترنت (يسرائيل شامير).
- موقع انترنت معاريف ويتضمن مقال شامير وإشارات للمقالات الأخرى التي وردت بالتحقيق.

حان وقت العمل:

هاتسوفيه ١٩٩٥/٩/٢٩

بقلم: إفرايم باعير

لأول مرة في تاريخ الدولة يحدث منذ انتخابات الكنيست الأخيرة أن تتجاهل حكومة انتخبت (بصعوبة) كل المُثُل السامية التى قامت عليها دولتنا جميعا، وهناك انخفاض متزايد فى الصهيونية وفى الاستيطان سواء في يهود أو السامرة (الضفة وغزة، أو فى مرتفعات الجولان، أو فى غور نهر الأردن، والحكومة مستعدة لاستخدام كل ذلك وتوظيفه كمواضيع للمفاوضات من أجل "السلام" حتى الأوامر الشرعية التوراتية بالاستيطان فى أرض إسرائيل لم تعد بعد تشكل قيمة مقدسة لهذه الحكومة، بل وحتى بالنسبة للقدس الكبرى، فإنك تشعر أن هذه الحكومة مستعدة لإعادة تقسيمها، ولم تعد هناك آية مُثُل صهيونية مقدسة في نظر هذه الحكومة بالمرة.

لقد كنا دائما-منذ قيام الدولة وحتى الآن- نلتزم ونضع في اعتبارنا موقفًا معينًا، والسبب في ذلك بسيط وهو أنه: بدون أن توضع فى الاعتبار الأقلية الصهيونية ما كانت هناك حكومة، فحتى ابن جوريون كان مستعدًا للتعاون مع أي حزب ولكن بدون العرب ومكاى (الحزب الشيوعى الإسرائيلى)، وكان يسعى لأن تكون الحكومة صهيونية، أما الآن فإن هذه الحكومة مشكلة من ميريتسي (المعادية الصهيونية والمعادية للتدين) ومن الكتلات العربية.

واليوم تفضل ميريتسى وتؤثر بالفعل على كل عنصر آخر، ومن المشكوك فيه أن يكون رابين قد انتوى ذلك منذ البداية، ولكن من الواضح أنه توجد هنا أحلام وأوهام من أجل كل ما يحمل مفهوم "السلام"، وصحيح أن السلام يعد قيمة عظيمة جدًا في نظر كل يهودي ديني ولكن بشرط أن يخدم هذا السلام الهدف الصهيوني الديني.

إن بيريز يخدع نفسه حينما يقول: إن أبناءنا لن يضطروا بعد لأن يحاربوا وعندئذ سنحقق الغاية السامية التي وردت بالتوراة: "وسيضعون سيوفهم في جعباتها"، إلا أننا في الواقع لم ننل هذه القمية المثلى، فنحن قد أعطينا ولكن العرب أخذوا فقط، ولم يعطوا شيئًا... والإرهاب لا يزال يدق أعناقنا(١).

إن الجميع يعلمون أن العرب قد كسبوا أكثر بكثير مما توقعوا وانتظروا، فقد كسبوا مرتين، كسبوا الضعف، فنحن نجرى معهم مفاوضات حول إقامة دولة عربية هي "فلسطين" مع عاصمتها القدس، وإلى جانب هذه المفاوضات فالإرهاب لا يزال مستمرًا بل يزداد عنفا وضراوة، وأصبح الخوف والرعب يسيطران علينا، وأصبح من المستحيل السير فى شوارع تل أبيب أو الذهاب بالباص إلى القدس بلا خوف من المنتحرين، وأصبحت حربنا حرب انسحاب، ولا أمل فى إصلاح هذا الوضع.

نتحدث عن "السلام" وأصبح المشروع الصهيونى معرَّضًا لخطر الدمار والانهيار، وهناك أضرار وخسائر من المستحيل ومن المتعذر إصلاحها، فقد أصيبت السياحة بالاضرار، وكذلك أصيب كل مواطن يريد السير بحرية وبهدوء في دولتنا في دولة إسرائيل.

والعرب-منظمة التحرير وأعضاءها وغيرها من المنظمات الأخرى قد تمكنوا من إعادة بتر القدس، إنهم لم يقولوا ولو لمرة واحدة: "كفى لأنهم قد رأوا أن أسلوبهم هذا قد أثمر وقد حمل لهم الخيرات، أي أنهم قد أخذوا ما نعطيه لهم، ثم يستمرون في الشكاية والصراخ بأننا لم نُعطهم ما يكفى، إنهم لم يلغوا ولو ظاهريا- وثيقة الميثاق الفلسطيني التى تدعو إلى تدمير دولة إسرائيل، بل إنهم لم يسعوا فقط، ولكنهم يحققون أهدافهم خطوة وراء خطوة، بثبات وبمداومة مروعة.

ويصبح السؤال التالي مُلحًا: هل نريد حقا وجود دولة صهيونية؟

---

(١) لاحظ تحريف الكلم وقلب الحقائق، فاليهود هم الذين أعطوا كل شئ!!

إننا إذا أردنا الحفاظ على الطابع اليهودي لإسرائيل -فلا مفر إلا من بناء مركز صهيونى- ديني تشكل قوة جذب لكل يهودي، وليست ثمة حاجة لإلغاء أو لتدمير الأطراف السياسية الموجودة (المعذل وأجودات إسرائيل وميماد وغيرها)، ولكن ينبغي أن يكون هناك قرار صلب بأن تصطبغ كلها بحزب واحد، ترأسه شخصيات دينية مقبولة لدى الشعب، ينبغى أن نتوحد ونتجمع حول برنامج واحد[1]، ولو حول حد أدنى من مشروع، ينبغى أن يجمعنا حب الله، حول حب التوارة، حب كل شعب إسرائيل، وحب كل أرض إسرائيل.

ونفس الأمر ينطبق أيضا على اليمين العلمانى، فكذلك يتعين عليهم هم الآخرون أن يلغوا كل الأطراف المنفصلة وأن يتوحدوا من أجل أرض إسرائيل الصهيونية، وإن لم يفعلوا ذلك فكل واحد سوف يعترف بعد الانتخابات ويقول: ألم نقل لكم: لقد تظاهرنا، وأضربنا عن الطعام ولم يعد هناك أي أمل في تغيير نظام الحكم.

وبالنسبة لكل أحزاب المعارضة -حسب اقتراح اليشع هاس- ينبغى أن يتبلور تفكيره حول بناء إطار أعلى وهذا يتطلب كثيرًا من العمل التنظيمى، وكثيرًا من جهود الإقناع، وينبغى أن يتم ذلك الآن، والآن فقط، لا أن يتم ذلك قبل أسبوعين من الانتخابات، فليست هذه حرب من أجل (المعذال) أو (اليمين) أو (ميماد) لكنها من أجل دولة إسرائيل، من أجل بقائها، وإذا ما ظللنا نمكن رابين وبيريز من إتمام مؤتمريهما -فإنه لن تكون هناك طريق للعودة.

وحسب رأي شولاميت ألوني ورفاقها، فإنه كان من الخطأ الأخلاقى أن نقيم دولة إسرائيل على أساس تفضيل العنصر اليهودي فقط، ومن وجهة نظرها أنه ينبغي إقامة دولة لشعبين متساويين في الحقوق، وأنه ليس من الصحيح أن للعرب دولة يمكنهم فيها أن يقيموا ويواطنوا كل لاجئيهم إذا أرادوا ذلك.

---

(١) صدق قول ربنا -سبحانه وتعالى- فيهم ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ﴾ (الحشر: ١٤).

إلا أن هدفهم حتى الآن هو إبادة وتدمير دولة إسرائيل ولذا فإنهم غير مستعدين لأي حل وسط، فهناك دائما واحد يتراجع وآخر يتقدم، (وليس لرابين تفويض بالتنازل عن أرض إسرائيل).

وفيما وجد اليسار طريقًا إلى الحكم والسلطة بواسطة تحالف رابين- بيريز- ميريتسى- من خلال تنازل متبادل، فإن النقيض يحدث تمامًا في اليهودية الدينية وكل (حزب) يبني منبرًا لنفسه.

وبدلاً من أن يضع الدينيون المتطرقون والدينيون المعتدلون في أيدي بعض ويتحدوا، فإنهم يحاربوا بعضهم البعض.

ونجد هذه الظاهرة تحدث فى الأحزاب اليمينية أيضًا، فقد كثرت الفرق اليمينية، وكذلك ديفيد ليفي يفكر فى إقامة منبر آخر لنفسه يدمر الليكود، فأي هزر هذا؟

وأخشى ما أخشاه أن تظل كل دائرة أو كل (الأحزاب) تتقوقع داخل نفسها، فتتدمر دولتنا الصهيونية -لاسمح الله- فتتدمر وتنهار بما يتعذر إصلاحه.

وكما تقدم فإنه ليست ثمة حاجة لـ (تدمير) الأطراف الحزبية القائمة، ولكن ينبغى اتخاذ قرار صلب من جانب كل الأحزاب معًا: ألا نصوت لصالح... ولا نصوت ضد... وإذا ما خفضنا عدد الأحزاب بصورة حادة بهذه الوسيلة فقط- يصبح هناك أمل فى هزيمة اليسار، وفي إبعاده عن الحكم.

وإذا لم يحصل على أغلبية من أجل إسقاط اليسارية - فإننا سنكون نحن المتهمون والمذنبون.

علينا أن نعترف بصراحة: لقد خيب شعب إسرائيل الآمال فى قمة أحلامنا بعد حرب الأيام الستة، إن شعب إسرائيل لم يهاجر إلى إسرائيل بكامل جموعه وجماهيره، إن شعب إسرائيل لم يأت ليستوطن فى كل أرجاء أرض إسرائيل وذلك ذنبنا نحن

ومسؤوليتنا، ولكننا في أشد أحلامنا السوداوية وأحلكها لم نتنبأ بما سوف يفعله رابين وبيريز ورفاقهما لنا، وهو: تدمير الدولة الصهيونية - والعياذ بالله[1].

وقُتل رابين، وتولى شمعون بيريز رئاسة دولة إسرائيل حاليًا، ولازالت عملية السلام (الذى يتباكى منها كاتب المقال إلى وقتنا الحاضر) لَم تُقَدِّم شيئًا إلا الجوع والقتل والتدمير، وصدقت فيهم توراتهم التى تقول عنهم: "طريق السلام لم يعرفوه، ليس فى مسالكهم عدل، جعلوا لأنفسهم سُبلاً معوّجة، كل من يسير فى طُرُقهم لا يعرف سلامًا" (إشعياء الإصحاح ٥٩- ٨) ومع ذلك يلهث زعماء العرب وراء سراب السلام اليهودى والذى لم تجن منه الشعوب إلا الفقر والجوع وتدهور الأوضاع على جميع الأصعدة سواء السياسية أو الاقتصادية أو الأجتماعية أو حتى الثقافية، فكل الحكومات التى تسالمت مع يهود شعوبها تُعانى الأمرِّين من جرّاء هذا السلام الزائف الذى لا يعرف اليهود له طريقًا- كما تقول توراتهم.

---

(١) اطمئن أيها الأفرايم، فإن تدمير الدولة الصهيونية سيكون -إنشاء الله- على أيدي أبناء إسماعيل، وهم المسلمون الموحدون العالمون ببواطن هذا الشعب الشرير، أولاد الأفاعي.

١ - رابين وتوراته: [١]

هاتسوفيه ٦/١٠/١٩٩٥

بقلم: موشى إيشون

صحيح إن التوراة ليست سجلا للعقارات والأراضى، فرئيس الحكومة محق فى ذلك، إلا أن عليه أيضا أن يعترف بأن التوراة أكثر من ذلك بكثير، فهى تحمل فى طياتها حلفا أبديا للشعب الإسرائيلي مع أرض إسرائيل، وبالتالى تصبح قدسية إسرائيل ليست "أملاكا غير منقولة" فقط إنها أبعد وأكثر من ذلك بكثير، إنها تبرز القيم اليهودية المقدسة لدينا منذ أجيال عديدة، أيضًا تلفت التوراة اهتمامنا وانتباهنا إلى الواجبات الملقاه على عاتقنا كشعب متميز عن كل شعوب، ومن ثم فأنه لا ينبغى بحال الاستخفاف بالتوراة -أقدس الكتب ومن اليقين أنه لا مجال أيضًا لتجاهل ما ورد بها، ولا ينبغى تطويعها لاحتياجات وأغراض هذا الزعيم أو ذاك وبالأحرى لا ينبغى أن نمحو أو أن نحذف أجزاء منها كما يفعل الآن رئيس الحكومة عقب توقيع اتفاقية أوسلو الثانية.

إن القيم اليهودية لا تقاس بالمقاييس التي تبدو في نظر السيد رابين ملائمة للعصر الجديد الذي نعيش فيه، فالقيم اليهودية قيم أبدية خالدة، وهي مرتبطة أيما ارتباط بشعب أبدي، بأرضه وبتوراته على حد سواء، ولا يمكن الفصل بينهم، ومن يحاول أن يفعل ذلك فهو يتنكر، سواء عن وعى أو عن غير وعى لقيم شعب إسرائيل المقدسة، التى بحكمها أصبحت شعبًا وبفضلها بقينا طيلة آلاف أعوام النفي بعد أن نفينا عن بلادنا وأبعدنا من أرضنا.

---

(١) هذه المقالة نثبتها كوثيقة من الصحف الإسرائيلية وإن كان مرّ عليها سبعة عشر عاماً، وذلك لنؤكد على العقلية الإسرائيلية التي تستمد تعاليمها وقيمها من التوراة المتطرفة -كما ذكرنا- فانتبه.

إن رئيس الحكومة الذي حاول تلقيننا درسًا في التوراة لم يشوه ولم يعرف مغزى لقدسية أقدس الكتب السماوية فحسب، ولكنه أظهر -في آن واحد- استهتارًا واستخفافًا بأرض إسرائيل، فقد قال من بين ما قاله: "بالنسبة لي فإن القدسية لا تكمن فى الأرض بل فى القيم... وبعبارة أخرى، فقد تخلى السيد رابين بجرة قلم عن أرض الوطن، وفضل عليها "القيم اليهودية"، بدون أن يُفصِّل لنا ماهية القيمة المقدسة منذ أجيال الأجيال.

إن رابين لم يشر ولو بكلمة واحدة إلى قدسية السبت الذي يعد رباطًا أبديًا بين الشعب وبين خالق السموات والأرض، كذلك لم يشر إلى الشرائع السماوية التي تربط بين الإنسان ورفيقة وبين الإنسان وخالقه، لكنه اكتفى -كعادته- بقول بلاغي غير ملزم وإن كان فى ظاهره يشير إلى تمسك بالقيم اليهودية، إلا أنه يعمل مؤشرات واضحة تشير إلى التحلل من قيم شعب إسرائيل الأبدية التي تعد أرض إسرائيل جزءًا لا يتجزأ منه.

لقد علمنا ربّي سعاديا [١]: إن أمتنا لا تعد أمة إلا بتوراتيها[٢]: التوراة المكتوبة والتوراة الشفهية على حد سواء، أن شعب إسرائيل بدون التوراة كالعبد بلا روح، ومن يتنكر للتوراة التى أعطيت لنا فى سيناء، يتنكر بالفعل لشعب إسرائيل، ولأرض إسرائيل أيضًا.

لقد حرص إسرائيل منذ أن أصبح شعبًا وحتى أيامنا هذه على أن يؤكد العلاقة الأبدية بينه وبين أرض إسرائيل وتوراة إسرائيل على حد سواء، حتى في ظلمات المنفى كانت أعيننا ترنو إلى أرض صهيون والقدس إلى الأرض المقدسة، لم نكن نرى فيها، ولا نعتبرها "أملاكا غير منقولة" بل كنا نعتبرها جزءًا لا يتجزأ من الكينونة اليهودية بكل ما تعني الكلمة من دلالة ومعنى.

كانت التوراة بالنسبة لنا وثيقة هوية تدلل على التفرد اليهودي وخصوصيته، وتشير أيضاً إلى الاختلاف اليهودي الذي يفرق بين إسرائيل وبقية الشعوب الأخرى[٣]

(١) أحد أحبارهم-وربي مفرد: ربيون (والربي بمعنى السيد). وهو: سعديا الفيومي

(٢) يقصد التوراة والتلمود.

(٣) النزعة الاستعلائية وأنهم شعب الله المختار -على حد زعمهم الباطل.

وهذا الخلاف تعكسه القيم اليهودية التى تعد أرض إسرائيل بمثابة قمتها ومنهاجها، وفى الواقع، فقد أكد رئيس الحكومة إسحاق رابين[1] أيضا ذلك فى خطابه الذي ألقاه في "البيت الأبيض" حينما قال: "إن كل كرمة وكل حقل وكل شجرة زيتون، وكل زهرة محفورة بعمق فى التاريخ اليهودي، فى التوراة التى أورثناها للعالم كله، في القيم الأخلاقية والقانونية العادلة، إنه لم يتجاهل الحق التاريخي الذي يربط بين شعب إسرائيل وبلده، وينبغى الافتراض بأنه أيضا في ذلك الموقف، أو فرض عليه أن يقول: إن البلاد -أرض إسرائيل- وهي أرضنا، حتى لو كان من أجل السلام، فإننا مستعدون للعيش جنبا إلى جانب، يهود وفلسطينيين من خلال تنازلات متبادلة.

وبهذه الروح، وبهذا المعنى تحدث فى حينه منذ حوالي ستين عاما ديفيد بن جوريون أمام لجنة بيل التى كانت تبحث النزاع اليهودي العربى، لقد حضر أمام اللجنة وهو يحمل في يده كتاب التوراة وأعلن بصوت عال: "تلك حجتنا على أرض إسرائيل"، وهكذا أيضًا عرض قادة الاستيطان اليهودي حق شعب إسرائيل الدينى والتاريخى فى أرض الأجداد، ولم يخجلوا من إبراز ما كتب فيها: اذهب، ولنسلك أعطيها.

فماذا حدث إذن لإسحاق رابين الذي تراجع فجأة عشية التوقيع على اتفاقية "أوسلو" وبدا وكأنه تنكر لما قاله وأعلنه فى البيت الأبيض عن الرابطة التي تربط شعب إسرائيل بأرضه، وبأن هذه الرابطة محفورة إلى أبد الآبدين فى التوراة.

ربما لم يول رابين اهتمامًا بالخطاب الذي أعدّ له، أو من المحتمل أنه قرر فى أعقاب التوقيع أن يكشف الحقيقة عن تفسيره الحقيقى لاتفاقية "أوسلوا" الثانية.

حقًا إن تفسير اتفاقية "أوسلوا" الواضح والصريح هو التنازل عن حق شعب إسرائيل التاريخي والديني فى أرضه، ولكي يفسر للشعب سبب الانسحاب، فقد قرر

(١) هلك على يد أحد المتطرفين اليهود.-كما ذكرنا آنفا-

رئيس الحكومة أن يعلمه الحكمة، وأن يعلمه كيف يفهم التوراة وما جاء فيها بكل ما يتعلق بالحلف الأبدي بين شعب إسرائيل وأرض إسرائيل، لقد أراد -أول ما أراد- وعلى حد قول رابين ذاته: إنه يعلمه أنه لا ينبغى اعتبار التوراه حجة لشعب إسرائيل على إسرائيل وأن قدسية البلاد لا تكمن في الأرض -أرض دولة إسرائيل- إنما تكمن في القيم اليهودية إلا أن السيد رابين لم يوضح كما تقدم- ماهية القيم الأخلاقية فى رأيه ولو أنه فكر بعمق، أو أراد المشورة من أهل الذكر -العالمين بالتوراة- لكان قد عاد بالتأكيد إلى الخطاب الذي أعده له أحد سكرتيريه من العالمين بالكتاب ولكان قد علم أنه لا يمكن فصل أرض إسرائيل عن القيم اليهودية المقدسة لدى شعب إسرائيل منذ فجر التاريخ.

بيد أن إسحاق رابين لم يعتد التشاور مع الخبراء والرجوع إليهم، فهو يعتبر نفسه في مرتبة فوقية عنهم، فلا يستمع إلى مشورات الخبراء العسكريين قبل أن يقرر التوقيع على الاتفاقية مع منظمة التحرير، كما أنه أيضا لا يلقي بالاً لرأي رجالات الدولة، لا في إسرائيل فقط ولكن أولئك الموجودون بالساحة الدولية الذين حذَّروا إسرائيل مرارًا وتكرارًا من أنها سوف تجد صعوبة بالغة فى التوقيع على اتفاقية "أوسلوا" الثانية في مفاوضات التسوية النهائية، نظرًا لأنها قد تحللت الآن من ممتلكات صلبة كانت تملكها، والتى كان من الممكن أن تساعدها في المفاوضات النهائية.

إن رابين غير مستعد -حتى وهو يملك هذا المسلك- لأن يتعلم فصلا في التوراة من العلماء بالتوراة القادرين على أن يفسروا له ويضحوا مغزى التوراة الحقيقى، فبدلاً من ذلك يفضل العودة إلى أضغاث الآيات التي تكتب له بدون أن يفهم جيدًا دلالاتها ومعانيها لكي يكون "مؤمنا" بما يقول باعتباره رئيسًا للحكومة الإسرائيلية.

إننا لا نحيا على أضغاث الآيات، وبالتأكيد لا يمكننا العيش على هراء وسفاهة الساسة، بل نعيش على قوة التوراة التى بالنسبة لنا طريقة حياة أو توراة حياتنا تعكس أبدية إسرائيل، إن أرض إسرائيل تعد لا تنحصر فى المفهوم الدارج على

لسان السيد رابين إسرائيل "أملاك غير منقولة" إن أرض إسرائيل تعد بالنسبة للشعب إسرائيل ملكا لا يُقدَّر بمال وهي تضيء طريقنا كشعب مختار متميز عن كل الشعوب.(١)

إن من لا يقدر علو أرض إسرائيل، فلا معنى أيضًا لتصريحاته بأنه متمسك بالقيم اليهودية.

إن القيم اليهودية محمولة في طيات كتاب تاريخ شعب إسرائيل في أرض صهيون والقدس التي تعبر وتعكس أبدية إسرائيل، وعلى حد قول حكمائنا وربانينا فإن الأبدية هي القدس، وبناءً على ذلك فإنه من الصعب أن نقبل أو نسلم بما قاله إسحاق رابين ليلة السبت، منذ أسبوع فى فندق "دولدورف استوريا" فى نيويورك، فما قاله إسحاق رابين قد نسى مشاعر الشعب اليهودي فى إسرائيل وفي شتات إسرائيل على حد سواء، ففي الحقيقة، فقد كشف ما قاله المآل الذي يقودنا إليه دين حكومة الانسحاب فهو لا يتعامل باستهزاء تجاه الأرض المقدسة فقط ولكنه يستهزئ أيضا بالشعب المقدس المتمسك بكل روحه، وبكل قوته بأرض الأجداد والآباء.

وربما لم يكن من المصادفة أيضًا أن يهاجم رابين يهود الولايات المتحدة فى نفس الوقت الذي أسمعنا فيه رابين استهزاءه بكل ما يتعلق بقدسية الأرض -فقد أتهم يهود الولايات المتحدة بأنهم يشغلون أنفسهم بمواضيع حاشية كالاستيطان اليهودي في الخليل فى الوقت الذي لا توجد فيه أية أهمية لهذا الاستيطان من الناحية السياسية والاستراتيجية لدولة إسرائيل.

ولا عجب فى أن يستهزئ بالخليل -مدينة الأجداد- لا أن تكون له علاقة خاصة بالأبناء الذين لا يزالون يقيمون فى دول الغربة الذين تربطهم علاقات حب قوية بأرض إسرائيل.

---

(١) هذا ما نريد أن نؤكد عليه من خلال هذه الوثيقة التي تؤيد رأينا في مدى تأثير كتاب التوراة والتلمود على اليهود، وما نظرية الاستعلاء التى طرحها كتاب التوراة والتلمود إلا ثمرة من ثمرات تطرف هذا الكتاب أو تلك الكتب التي يعتبرونها مقدّسة....

إن من يفصل بين أرض إسرائيل وبين القيم اليهودية لا يمكن أن ينتظر منه أن يظهر عاطفة خاصة بالأرض المقدسة، فهو يتنازل عنها بل ولا يرتدع عن نقل أجزاء من الأرض المقدسة وتسليمها لياسر عرفات وعصابته كذلك فإنه لن يظل مخلصا للقيم اليهودية البعيد عنا بُعد الشرق من الغرب.

ولو أن السيد رابين تعلم ودرس دلالة القيم اليهودية وعرف ماهية العلاقة بين الشعب وأرضه لكان هنا احتمال بألا يفرق بين التوراة وبين أراضى أرض إسرائيل.

وبالنسبة لنا وبالنسبة لشعب إسرائيل، فقد ظلت التوراة مَعْلَمًا وهاديا، لا باعتبارها تاريخا لشعب وأرض إسرائيل فقط ولكن باعتبارها أيضا حلفا أبديا بين هذا الشعب وأرضه، منذ أجداد الأمة وحتى أيامنا هذه.

ومن المحزن جدًا ألا يفهم رئيس حكومة إسرائيل ذلك ومن المؤسف أيضا أن تنحصر علاقته بأرض إسرائيل في المفهوم الضيق "أملاك غير منقولة" التي تنتقل للتاجر، وإن القلب اليهودي ليحزن على ذلك، حتى أرض إسرائيل ذاتها تبكى على ذلك، إن التوراة وفق تفسير رابين تختلف عن توراتنا اختلافًا تامًا فحسب توراة شعب إسرائيل أرضنا إلى الأبد.

وهذا هو الفارق الصغير بيننا وبين رابين، ولكنه فارق جوهري جدًا وله دلالته العظيمة جدًا، نظرًا لأنه يمس القيم اليهودية التى نقدسها من جيل إلى آخر، ونظرًا لأن هذه القيم قيم أبدية توراثتها كل أجيال شعب إسرائيل[١].

---

(١) وأحيل كاتب هذا المقال "موشي إيشون" إلى قراءة كتابنا هذا بأناة وتؤدة عسى أن يرجع عن استعلاته هو وأترابه ويرجعوا عن غيهم ويعترفوا بأن أرض فلسطين هي أرض عربية إسلامية، وأن دعواهم بأنها أرض أبدية لبنى إسرائيل هي دعوة باطلة وزائفة لأن من طباع هذا الشعب الشرير أولاد فاعلى الشر تزييف الحقائق وتحريف الكلم عن مواضعه، وأحيل هذا الموشي إلى توراته التى يقدسها، وأقول له: افتح التوراة التى بين يديك وقف عند سفر حزقيال الإصحاح الخامس والسادس الذي يقول: "هكذا قال السيد الرب: هذه أورشليم، فى وسط الشعوب أقمتها وحواليها الأراضي، فخالفت أحكامى بأشر من الأمم وفرائضى بأشر من الأراضي التى حواليها... إلى أن قال: "لأجل ذلك تأكل الآباء الأبناء والأبناء يأكلون آباءهم وأجرى فيك أحكاما وأذري بقيتك كلها في كل ريح".

هذه هى توراته تعترف بأن اليهود ليس لهم حق فى دولة فلسطين فهل يعتبر هذا الموشى؟ أم يعاند ويكابر كسلفه الطالح.

تزايد معاداة السامية في الدول العربية

الموقعة على اتفاقيات سلام مع (إسرائيل)

دافار ٢٦/١٢/١٩٩٥

قال أمس رئيس لجنة الهجرة والاستيعاب بالكنيست -عمانؤيل زيسمان- (من حركة الطريق الثالث): "إن الحكومة لا تضمن أجندة اهتماماتها النضال ضد ظاهرة معاداة السامية على الرغم من تزايد مظاهرها، وتكرار وقوع الكارثة النازية.

وقد جاء تصريحه هذا فى الجلسة الخاصة التى عقدتها اللجنة لبحث موضوع معاداة السامية في العالم، وقال سكرتير الحكومة شمؤيل هولندر ورئيس اللجنة الوزارية لمكافحة معاداة السامية بالعالم: إن هناك تزايدًا فى السنوات الأخيرة فى ظاهرة معاداة السامية، لا على أساس ديني فحسب ولكن أيضًا فى الدول التى يعيش فيها يهود كاليابان، وهناك تزايد فى معاداة السامية فى دول أوربا الغربية والولايات المتحدة، ومن الصعب مكافحة الظاهرة فى الدول الديمقراطية بسبب قدسية حرية التعبير والرأي، وضرب هولندر مثالا على ذلك بالمظاهرة التى قام بها السود فى الولايات المتحدة بزعامة فرحان والتي نعتت اليهود فيها بأنهم مصاصو دماء وبأنهم (ديدان طفيلية).

وبالنسبة للدول العربية -قال هولندر: إن هناك مظاهر خطيرة لمعاداة السامية حتى فى الدول التي نرتبط معها باتفاقيات سلام، وقال هولندر: "إن الرسوم الكاريكاتورية التي تنشر بالصحف المصرية لا تقل خطورة عن تلك التي كانت تنشر فى صحف ألمانيا النازية كما كتب "بروتوكولات حكماء صهيون" طبعت هناك عدّة طبعات، وإنه سوف يطالب رئيس الحكومة بعقد جلسة خاصة للحكومة لبحث هذا الموضوع".

صحيفة "هاتسوفية" الدينية

٢٩/ ١١ / ٢٠٠٢

"فارس بلا جواد" تحريض مُعَادِ للسامية على الطريقة المصرية

رد الرئيس المصري حسني مبارك هذا الأسبوع على الخطاب الذي بعث به رئيس الدولة موشي كتساب والذي أعرب فيه عن احتجاجه على عرض "مسلسل فارس بلا جواد" بالتليفزيون المصري الذي أخرج من غيابات الجب "بروتوكولات حكماء صهيون" واستأنف بذلك مجددًا التحريض ضد الشعب اليهودي، وعلى حد قول مبارك فإنه ليست هناك أية علاقة بين المسلسل المعروض في مصر وبين "برتوكولات حكماء صهيون"، وقال مبارك في خطابه لرئيس الدولة إن المسلسل المصري إبداع سينمائى لا يمت بأية صلة للتحريض المعادي للسامية كذلك رفض أسانيد وأقوال كل أجهزة الإعلام العالمية أيضا بموقف عرضه، "إن فارس بلا جواد" في رأي الرئيس المصري يعد إبداعًا سينمائيًّا ملتزمًا بمعايير الإبداع الثقافي الشائعة.

وحتى بعد تأويلات وتفسيرات حسني مبارك، فإن قولهم فارس بلا جواد يمثل استمرارًا لحملات التحريض المعادية للسامية بالأسلوب الذي تتضمنه "بروتوكولات حكماء صهيون" وقد كانت هذه هي نية محرري المسلسل والمخرجين الحقيقية على ما يبدو، وبالتالى فإن أي تفسير آخر-يعد تفسيرًا مرفوضًا، وغير مقبول.

وفى حقيقة الأمر، فإنه لا يمكن أيضًا إخفاء التطابق بين "فارس بلا جواد" وبين "بروتوكولات حكماء صهيون".

ولم يتبق سوى الأسف والأسي على عودة مصر لأكثر من مائتي عام إلى الوراء لكى تنفث مجددا سموم الكراهية تجاه اليهود، مستخدمة فى ذلك مؤامرات وادعاءات ترجع إلى العصور القديمة.

ومن المؤسف أن يتراجع فجأة الرئيس حسني مبارك الذي هو إنسان مثقف ويسعى إلىوضع مصر في العالم الثقافى والحضاري فى مكان متقدم بالمجتمع العربي، وينساق إلى حيل وألاعيب لا تتفق ولا تتناسب إلا مع حكام ينتمون إلى العصور الوسطى من نوع هؤلاء الذين زوروا "بروتوكولات حكماء صهيون" ووظفوها في خدمة الأغراض المعادية للسامية لقد منح موافقة على إنتاج مسلسل يعيد مصر إلى عصور الظلام.

لقد أطلع رئيس دولة إسرائيل الرئيس مبارك في رسالته التي بعث بها إليه على النغمة المعادية للسامية التي تتردد بالمسلسل، وعلى التشابه بينه وبين "بروتوكولات حكماء صهيون" على الرغم من محاولة إضفاء الروح العصرية عليه التى تتعامل مع فلسطين باعتبارها "فلسطين الحبيبة التي سلبت منا بسبب مؤامرة".

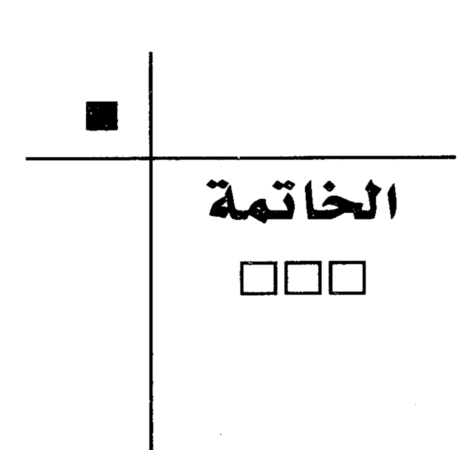
وعلى الرغم من أن المسلسل يتسم بنظرة عصرية إلا أنه في أساسه -وكما تقدم- يعد نسخة من "بروتوكولات حكماء صهيون" من ذلك على سبيل المثال قيام أحد المشتركين في المسلسل ويدعى بنيامين بالهمس في أذن الحكماء قائلاً: انتبهوا، لا ينبغى أن تقع "البروتوكولات" في أيدي السلطات المصرية، وإلا تشككوا فينا وعرفوا أننا نتآمر لننفذ هنا ما خططنا له في روسيا وهو: الاستيلاء على العالم".

ومن البادي أن الأمور واضحة لا تحتاج إلى تأويل أو تفسير آخر، ولسنا فى حاجة إلى إعمال الجهد لكى نثبت العلاقة بين "بروتوكولات العصور إياها وبين "البروتوكولات" الواردة في المسلسل المعروض في مصر، إن التشابه والتطابق بارز للعيان، التزوير هو نفس التزوير، والنية هي نفس النية، وكما حدث فيما مضى

يحدث الآن أيضًا، فى ذلك الوقت كانت السلطات الروسية تقف وراء "البروتوكولات" المزيفة، فيما يدافع الرئيس المصري بشحمه ولحمه الآن عن المسلسل بدعوى حرية الإبداع، لقد رفض حتى الآن كل الطلبات التي وصلت إليه لا من إسرائيل فقط ولكن من جميع أنحاء العالم وعلى رأس هؤلاء الولايات المتحدة ولاسيما من البيت الأبيض بوقف عرض المسلسل ، إنه يدافع عن التحريضات المعادية للسامية بالأسلوب سيئ السمعة المعروف "ببروتوكولات حكماء صهيون"

إن وقوف الرئيس مبارك وراء المسلسل المعادي للسامية لا يضيف له احترامًا وإجلالا، وللدولة التى يرأسها، ولم يتبق لنا سوى تكرار الطلب الموجه إليه من جميع أنحاء العالم بوقف عرض "فارس بلا جواد"

انتهت المقالة..



الخاتمة

وبعد عزيزي القارئ:

فهل نقف مكتوفي الأيدي، ومعصوبي الأعين، أمام ما يجري أمامنا من أحداث جسام وأمام ما يدبره أعداء الأمة للقضاء عليها قضاءًا مبرمًا، وكما نرى ونشاهد فإن العراق هى أول قضمة في الكعكة وستتبعها سوريا ثم بقية الدول العربية وعندها سنقول أُكلنا يوم أكل الثور الأبيض...

إن استرداد كل شبر من أرضنا المحتلة لابد أن يقابله جهد وعمل بالبنان واللسان مع استنهاض الهمم وشحذ الذمم الناصعة وإبعاد الذمم الخربة من العملاء والخونة وما أروع ما خطه شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى في خاتمة كتابه "بنو إسرائيل في القرآن والسنة" والذي وضع من خلاله خطة وورقة عمل لاستعادة أرضنا وإن كانت هذه الخطة وضعت إبان وقت معين وسطَّرها آنذاك فى ظروف معينة سمحت له أن يكتب ويشرح الأسباب التي من أجلها سقطت فلسطين بين براثن وأنياب اليهود، ثم عرّج على العلاج أو الخطة أو ورقة العمل- سمها ما شئت- لاستعادة فلسطين وإن كانت أسباب الماضي هي أسباب الحاضر فلابد وأن يكون العلاج أيضًا واحدًا فى كلتا الحالتين فأما الأسباب التى حددها شيخ الأزهر الدكتور سيد طنطاوى لسقوط فلسطين فهى:

(١) ضعف الوازع الديني في نفوس الكثير من المسلمين، أدى بهم فساد الأخلاق وانحلال العزيمة وفتور الشهامة والغيرة، والتفريط في أداء فرائض الله والتعدي لحدوده، وعدم التفكير إلا فى مُتع الحياة وزينتها وعدم المبالاة بما نزل بالأمة الإسلامية من نكبات، وقد رأينا الكثير ممن ينتسبون إلى الإسلام لا يعيرون كارثة فلسطين أي اهتمام.

(٢) الغفلة الشديدة عن تعرف مواطن الخطر المحيط بالأمة الإسلامية من جرَّاء تسرب الصهيونية العالمية غزو للأرض المقدسة وعدم معالجة هذا الخطر منذ البداية بالجد والحزم، والجهل بما تُبيته الصهيونية العالمية للأمة الإسلامية من أحقاد دفينة وشرور كبيرة وبلغ من استخفاف بعض العرب بالخطر اليهودي ومن وهنهم وخورهم خلال مقابلاتهم الرسمية للمسئولين الإنجليز والأمريكيين بشأن قضية فلسطين، أنهم كانوا يقفون منها موقف الوسطاء المترددين الخائرين على حين كان زعماء اليهود فى مثل هذه المقابلات يظهرون أقصى التطرف والشدة ومنتهى الجد والعزيمة والصلابة.

وقد اغتر المسئولون من العرب بخداع الإنجليز الذين أوهموهم أن اليهود لن ينالوا من فلسطين سوى منطقة صغيرة واستطاعوا بوسائلهم المتنوعة أن يملكوا عليهم أمرهم، وأن يجعلوهم يعالجون قضية فلسطين بالكلام الأجوف، وأن يحملوهم على إبعاد العناصر المخلصة عن الاشتراك فى الدفاع عن فلسطين بحجة أنهم فعالون ويعيدون عن الحكمة والكياسة.

(٣) الجهود المادية والأدبية التى بذلها العالم العربى والإسلامى في سبيل بقاء فلسطين عربية إسلامية، أقل بكثير من الجهود التى بذلتها اليهودية العالمية لتهويد فلسطين واستلابها من أيدي أصحابها الشرعيين... وعلى سبيل المثال لو نظرنا إلى ما جمعه اليهود من أموال فى سبيل السيطرة على فلسطين لوجدناه أضعاف ما جمع من العالم الإسلامي والعربي من أجل الدفاع عن الأرض المقدسة.

ولقد لفت هذا الشح الشديد أنظار بعض الأجانب فقد سأل المستر (كروسمان) عضو مجلس العموم البريطانى، أحد أصدقائه العرب المسلمين: قائلاً: هل فى الدين الإسلامى ما يمنع التعاون بين المسلمين فأجابه صديقه بالنفي و سأله عن السبب في هذا السؤال فقال (كروسمان): إذًا لماذا لا يساعد بعضكم بعضًا ولا تبذلون شيئاً حتى للاجئين المشردين....؟

(٤) من أكبر العوامل التي أدت إلى خسارة العرب فى حرب فلسطين تفرق قيادتهم وعدم خضوعها لرأي يدير المعركة بحزم وإخلاص وكفاءة فقد خاضت الجيوش العربية المعركة بقيادات متفرقة، وسياسات متخاذلة مترددة، ولم يقاتلوا صفًا واحدًا كأنهم بنيان مرصوص وبذلك ضاعت الفرصة من أيديهم في الانتصار على عدوهم.

ومما لا شك فيه أن الجيوش العربية -عندما دخلت معركة فلسطين ١٩٤٨م، وفيما بعد هذا التاريخ من معارك كانت أقوى عُدة وأكثر عددًا من اليهود ولكن هذه القوة والكثرة لم تجد من يقودها لإنقاذ فلسطين بأمانة وحماسة وإخلاص... بل بالعكس وجدت من يتآمر عليها ويمزق صفوفها، ويُمكِّن عدوها منها ولئن قيل بأن الجيوش العربية كانت موحدة فإن هذا القول مردود بأن هذا التوحيد كان شكليا وأن ضرره كان أكبر من نفعه.

ولقد صرح (بن جوريون) رئيس وزراء إسرائيل بان انتصارهم في معركة فلسطين مرده إلى حُسن سياستهم وليس إلى قوتهم الحربية فقد قال فى خطاب له فى الكنيست اليهودي: (نحن مدينون بنجاحنا فى إقامة دولة إسرائيل بـ ٩٧٪ للسياسة وبـ٣٪ للحرب والجيش فقط.)

(٥) وأيضًا من أكبر العوامل التي أدت إلى خسارة الحرب فى فلسطين توقيع الهدنتين الأولى والثانية بين العرب واليهود نتيجة ضغط انجلترا وأمريكا على بعض الدول العربية.

والخلاصة: أنهم استطاعوا من خلال فترتى الهدنة أن يُقلبوا الوضع رأسًا على عقب ولو أن زعماء العرب وقادتهم رفضوا الهدنتين رفضًا تامًا واستمروا على القتال مهما كانت الظروف لما تمكن اليهود مما تمكنوا منه بعد ذلك.

(٦) الذين اشتركوا في الدفاع عن فلسطين من الجيوش العربية والمنظمات المختلفة -فى مجموعهم- كان اشتراكم بدافع النعرة الوطنية والسياسية ولم تكن الحماسة الدينية لفلسطين تملأ وتفيض بها عواطفهم ومشاعرهم وتسيطر على سلوكهمْ وأخلاقهم... بينما اليهود يعتبرون حربهم في فلسطين إنما هي حروب دينية محضة، وإن موتهم على ترابها شرف لهم، وقد استغلوا هذه النواحي الدينية فى التأثير على الإنجليز والأمريكان ليساعدوهم فى بلوغ غايتهم وذلك عن طريق الدعاية الدينية اليهودية التى سخرت لخدمتها رجال الدين فى انجلترا وأمريكا وغيرها من دول الكفر...

(٧) هذه الأسباب فى مجموعها أسباب داخلية لكارثة فلسطين وهناك أسباب خارجية من أهمها:

تلاقي أهداف الاستعمار البريطانى ومصالحه مع مصالح اليهود فى القضية الفلسطينية، ثم انضمام أمريكا إليها في أوائل هذا القرن، وذلك لأن **الاستعمار يرمي إلى ما يأتي:**

أ - جعل الدولة اليهودية في فلسطين متكأ له، وخنجرًا مسمومًا يشهره فى وجه الدول العربية كلما أحسَّ منها تمردًا عليه ومقاومة له.

ب - اتخاذ الوطن اليهودي حاجزًا يفصل به الأقطار العربية فى آسيا عن الأقطار العربية فى أفريقيا، ويقطع كل صلة برِّية بين هاتين القارتين.

جـ - اتخاذ اليهود عائقًا دون تقدم الأمة العربية فى أقطارها الواسعة والتى تقع فى أهم مراكز العالم التجارية والجغرافية والعسكرية والتى تقع فى أهم مراكز العالم التجارية والجغرافية والعسكرية والتى يزداد عدد سكانها زيادة مستمرة... والتى يريد الاستعمار أن يجعله دائمًا تحت سيطرته واستغلاله...

هذا.... ومحاولات الاستعمار لخلق دولة غريبة فى قلب العالم العربى ليست وليدة سنوات قريبة، بل هي محاولات مضت عليها عشرات السنوات ففى سنه١٩٠٧م تولى (كامبل بنرمان) رئاسة الوزارة البريطانية فقام بتشكيل لجنة مكونة من بعض علماء التاريخ، ورجال القانون، ومما جاء: (إن الإمبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تنحل رويدًا رويدًا وتزول، والتاريخ ملىء بمثل هذه الأمثلة، وهى لا تتغير بالنسبة لكل نهضة ولكل أمة فهناك إمبراطوريات روما وأثينا والهند والصين، وقبلها بابل وآشور والفراعنة وغيرها، فهل لديكم وسائل يمكن أن تمنع سقوط إمبراطوريتنا، أو تأخر مصير الاستعمار الأوربى بعد أن بلغ الآن الذروة؟

وبعد أن ظلت هذه اللجنة سبعة أشهر فى دراسة وبحوث... قدموا تقريرًا إلى وزارة المستعمرات البريطانية ومما جاء فيه قولهم: (إن الخطر ضد الاستعمار فى آسيا وفى أفريقيا ضئيل، ولكن الخطر الضخم يكمن فى البحر المتوسط...

وبناء عليه:

فعلى الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزؤ هذه المنطقة... وتأخرها.... وإبقاء شعوبها على ما هي عليه من تفكك وتأخر وجهل...

وعليها أيضًا -ضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقى في هذه المنطقة عن الجزء الآسيوى، وتقترح للجنة لذلك إقامة حاجز بشري قوي، غريب، يمثل الجسر البري الذي يربط آسيا بأفريقيا، حيث يشكل فى هذه المنطقة، وعلى مقربة من قناة السويس، قوة صديقة للاستعمار، وعدوه لسكان المنطقة).

وبعد أن خضعت فلسطين للانتداب البريطانى (إبان تقسيم المنطقة بين انجلترا وفرنسا) أخذ الإنجليز يسعون لجعل فلسطين وطنًا قوميًا لليهود... ثم انضمت إليها بعد ذلك دول الكفر وخصوصًا أمريكا التى بذلت جهودًا جبارة لإنشاء دولة اليهود، وأنفقت فى سبيلها مئات الملايين من الدولارات...

هذه هي الأسباب التى ساقها شيخ الأزهر لضياع فلسطين ثم عرّج إلى الحل لاستعادة فلسطين **ووضع ورقة العمل فى النقاط التالية :**

١ - يجب علينا أن نعلم أن حربًا فاصلة ستقع بين المسلميين واليهود وأن النصر فيها سيكون للمسلمين ما داموا معتصمين بدينهم، ومنفذين لتعاليم قرآنهم وعاملين بسنة نبيهم، فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما -أن رسول الله- صلي الله عليه وسلم قال: (تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول: يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله).

وفي حديث آخر للشيخين عن أبي هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم - قال: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفى فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود).

فهذان الحديثان فيهما إخبار للمسلمين بأن قتالاً عظيمًا سيقع بين المسلمين واليهود قبل الساعة وأن النصر سيكون للمسلمين، حتى استجابوا للأوامر التى أمرهم الله بها وأن الله تعالى سيكرمهم بأن يخبر الحجر والشجر المسلم بأن يهوديًا وراءه فعليه أن يقتله.

٢ - يجب علينا أن نوقن بأن الأيام دُول وأن ما أصبنا بفلسطين من الممكن تداركه، متى تحلينا بالإيمان الصادق وبالعزم القوي وبالتصميم على استعادة أرضنا المقدسة، وباتخاذ الوسائل الكفيلة بذلك.

لقد سقطت بلادنا المقدسة فى أيدى المعتدين أكثر من مرة ثم استطعنا بفضل الله ومعونته أن نستردها منهم: بل إن عشرات الأمم كانت رازحة تحت سلطان الاستعمار عقب انتهاء الحرب العالمية الأخيرة ثم استطاعت بعد ذلك أن تنال حريتها وكرامتها.

٣ - يجب على الأمة الإسلامية والعربية، أن توحد قيادة المعركة وأن تسلَّمها لأيد أمينة مخلصة، وأن تحوطها بالتأييد إذا أحسنت واستقامت، وبالتوجيه والإصلاح والتقويم إذا أخطأت وضلَّت وأن تنأى بها عن الخلافات والمنازعات التى قد تحدث بين الزعماء والملوك والرؤساء ..أريد أن أقول:

إن إنقاذ فلسطين من السرطان الصهيونى، يحتاج إلى جيش مُوحَّد القيادة مُحدَّد الهدف معدًا إعدادًا كاملاً قويًا من جميع النواحي، مؤمنا بقدسية المعركة التي يخوضها بعيدًا عن التأثر بخلافات السياسيين الذين بيدهم مقاليد الحكم فى البلاد العربية...

٤ - يجب أن تبذل الأمة العربية والإسلامية قصارى جهدها في التذكير بقضية فلسطين وأن تقوم وسائل الإعلام المختلفة فى كل دولة بالدعاية الواسعة لها، وأن يُدَرَّس تاريخها فى المدارس والمعاهد والجامعات وأن توزع خريطتها وصور أماكنها المقدسة فى كل مكان، وبذلك تبقى نكبة فلسطين حية فى القلوب والمشاعر...

إن هذا الجيل الذي عاصر مأساة فلسطين سوف ينقرض وستأتى بعده أجيال أخرى إذا لم نذكِّرها بهذه المأساة ونربطها بقلوبهم دينيًّا وسياسيًّا وثقافيًّا واقتصاديًّا فإنها ستصبح نسياً منسيًّا، ولن يمر وقت طويل حتى تختفى مأساة فلسطين من قلوبهم كما اختفت مأساة الأندلس بمرور الأيام وتعاقب السنين إن فلسطين هي من بلاد المسلمين المقدسة ففيها أحد المساجد الثلاثة التى لا تُشدَّ الرحال إلا إليها.

٥ - يجب أن تقف الأمة العربية والإسلامية من الدول التي ناصرت الصهيونية موقفا قويًّا حاسمًا، وأن تستعمل أسلحتها المتنوعة في صرف الدول عن مناصرتها الباطلة لليهود، ومن أقوى الأسلحة سلاح البترول الذي يوجد فى بلادنا بكميات هائلة والذي لو أحسنا استغلاله، لكفت دول الكفر عن تأييدها للصهونية الباغية، ولن يأتي هذا السلاح وغيره بالثمار المرجوَّة منه إلا إذا وحّد العرب كلمتهم ووقفوا صفًا واحدًا أمام مؤامرات الاستعمار واليهودية العالمية...

٦ - يجب أن تعمل الدول العربية والإسلامية على تقوية (الفدائيين من كل النواحي وأن تختارهم من العناصر المأمونة بربها وبدينها وبوطنها... وأن تعطيهم من الإمكانيات ما يجعلهم يستطيعون أن يزلزلوا كيان الصهيونيين، عن طريق (حرب العصابات) لأن هذه الحرب من شأنها أن تهدد أمن إسرائيل واستقرارها واقتصادها وجميع مرافقها.

وتكون هذه الحرب كمقدمة للمعركة الفاصلة التى يجب على الأمة الإسلامية أن تخوضها ضد إسرائيل حتى تطهر الأرض المقدسة من اليهود.

٧ - يجب أن نخوض معركة فلسطين المقبلة على أساس من الجهاد الدينى، وليس على أساس النعرة الوطنية وحدها، وذلك لأن فلسطين بلد إسلامى مقدس، وهي ملك لجميع المسلمين وواجب الذود عنها فرض على كل مسلم على وجه الأرض.

٨ - يجب على الأمة العربية الإسلامية (قبل ذلك وبعد ذلك)، إذا أرادت أن تعيد فلسطين، أن تعود هى إلى تعاليم الإسلام فتطبقها على نفسها تطبيقا كاملاً وأن تحارب الرذائل فيها، وأن تقيم حياتها وسلوكها ونظمها ومعاملتها على وفق تعاليم الدين الحنيف وأن تعد العدة الكاملة لقتال عدو الله وعدوها، إذا فعلت ذلك فإن النصر سيكون حليفها، والآيات التى تشهد بذلك أكثر من أن تحصى منها:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾

(محمد آية ٧)

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

(الحج آية ٤٠)

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ (غافر آية ٥١)

ومن وصايا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته فى شخص ابن عباس- رضي الله عنهما قوله احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك...

وقد وصَّى عمر بن الخطاب -رضى الله عنه - سعد بن أبى وقاص فقال له: فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العُدة على العدو، وأقوى المكيدة فى الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصي منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصيه عدوهم لله، ولو لا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عُدتنا كعدتهم، فإن استوفينا فى المعصية كان لهم علينا فى القوة).

واعلموا أن عليكم فى سيركم حَفَظَةً من الله يعلمون ما يفعلون، فاستحيوا منهم ولا تعلموا بمعاصي الله وأنتم فى سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا، فلن يسلط علينا وإن أسأنا، فرَبَّ قوم سلّط عليهم شر منهم، كما سلَّط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفرة المجوس (فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولاً)، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم... أسأل الله ذلك لنا ولكم...[١].

هذا هو البرنانج العملي الذي وضعه د. محمد سيد طنطاوي الذي أصبح شيخًا للأزهر الشريف الآن، وكما نرى أن هذا البرنامج يصلح أيضًا اليوم التى زادت فيه نكبة الدول العربية بالاحتلال الأنجلو أمريكى للعراق والتهديدات التى تلوّح بها الإدارة الأمريكية لسوريا، فما أحوجنا لورقة العمل التى وضعها الدكتور طنطاوي لاستعادة فلسطين أن تكون هي نفسها ورقة العمل التى ينبغى على الأمة الإسلامية أن تسير عليها فى وقتنا الحاضر... حتى وإن تبرأ منها من تبرأ إلا أن الحق واضح وأبلج، والباطل مُظلم ولجلج، ونحن مع الحق وبه نعرف الرجال، ونتبرأ من الباطل

(١) بتصرف من خاتمة كتاب (بنو إسرائيل في القرآن والسنة) للدكتور محمد سيد طنطاوى -الزهراء للإعلام العربي - الطبعة الثالثة.

ورجاله... لذا حرصت على أنقل ما قاله الدكتور محمد سيد طنطاوي فى خاتمة كتابه والذي قال في مقدمته: "أما الخاتمة فقد تحدثت فيها عن فلسطين والغزو الصهيونى لها فى مراحله المختلفة، وبينت فى نهايتها أهم الأسباب التى أدت إلى كارثة فلسطين وأهم الوسائل التى متى اتبعناها - نحن المسلمين عادت إلينا فلسطين[٢]."

وأنا أناشد العالم العربى والإسلامى باتباع الوسائل التى ذكرها شيخ الأزهر لاستعادة أرضنا المحتلة فى العراق وفي فلسطين... والله من وراء القصد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(٢) ذيّل الدكتور طنطاوى مقدمة الطبعة الثالثة بمفتى الديار المصرية وكان تاريخ كتابة المقدمة ٨ من جمادى الأولى ١٤٠٧هـ الموافق ٨ من يناير ١٩٨٧م.

فهـرس الكتـاب

فهـرس الكتـاب

الفصل الثالث:

فهـرس الكتـاب

هذا الكتاب يبين لك عزيزى القارئ بكل وضوح وجلاء كيف استقر اليهود تعاليمهم المتطرفة ومن أين اكتسوبها، ومن هو العدو اللدود للسامية؟

فالتوراة التى عندهم والتى تحمل بين طيّاتها العديد من الصفات الذميمة التى اكتسبها هذا الشعب اليهودى المعاند المتهور- حسب وصف التوراة- وأن قادة اليهود كلهم منذ انشاء دولة إسرائيل وقبل إنشائها وحتى الآن جميعهم تلاميذ نجباء لتعاليم التوراة وكذلك التلمود الذى يعتبر بمثابة المرجع الرئيسى والأساسى الذي يستقون منه تطرفهم وغلوهم، بل ويعتبرونه الكتاب المقدس والأسمى مقاماً، ويقتبسون منه العبارات القاسية لتأصيل فكرة التطرف والإرهاب.. فمن خلال تعاليم وأقوال التوراة والتلمود تربت الأجيال اليهودية جيلاً بعد جيل ونشأت وتشربت الحقد والكراهية وترعرعت ونمت فى أحضان الحاخامات الذين أوقدوا فى صدورهم نار البغضاء وفى قلوبهم تغلى مراجل العداوة ممن هم ليسوا يهوداً، أو ممن يسمونهم بالأغيار أو الجوييم..

لذلك ستجد عزيزى القارئ بين ثنايا هذا الكتاب المفاجأة التى ستزلزل أركان فكرة العداء للسامية، وأن التطرف فى إسرائيل له مرجعيته الدينية على جميع المستويات، وأن التوراة هى العدو اللدود للسامية.



